أسست عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Wael AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٦٥) رمضان ١٤٣٣ هـ - يوليو / أغسطس ٢٠١٢ م

رئيس التحرير الأسبق
في ذمة الله

الدعوة والتحديات المعاصرة

العمل الاجتماعي ودوره في التنمية

دروس من أقوال عمر رضي الله عنه

بُست.. مدينة العظماء

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

رمضان..
أفلا يتدبرون؟!

هدية العدد
أسطوانة
أعداد ٢٠١١
وإصداراتنا

جمعية قرية الأمل
القاهرة

عضو في الائتلاف الدولي لمنظمة EveryChild باكلترا

معاً
لمستقبل أفضل
لأطفال الشوارع

للإتصال بنا

مقر الإدارة الرئيسي :
٢١ ش د. احمد الخشاب - خلف مكتب مصر للطيران -
عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة .
تليفون وفاكس : ٢٢٧٢٤٥٦٣ - ٢٢٧٤٥١٩٩ - ٢٢٧٢٨٦٨٣
البريد الالكتروني : info@egyhopevillage.com
الموقع على الانترنت : www.egyhopevillage.com

المراكز والوحدات المتنقلة بالجمعية

الوحدات المتنقلة :

- تمتلك الجمعية عدد ٤ وحدات خدمة متنقلة تخدم اطفال الشوارع في اماكن تواجدهم بالقاهرة الكبرى والاسكندرية لتعريفهم بالجمعية وتقديم خدمات اسعافية فورية لهم تمهيدا لنقلهم الى مراكز الاستقبال النهارية .

مراكز أستقبال نهارية :

- تضم الجمعية عدد اربعة مراكز للاستقبال بروض الفرج للفتيات و السيدة زينب للبنين ومنطقة عزبة الهجانة للبنين والفتيات والاسكندرية للفتيات وذلك للخدمة النهارية والرعاية الخرجة للأطفال بلا مأوي أو للاطفال المعرضين للخطر .

مراكز اقامة مؤقتة :

- تضم الجمعية عدد ثلاثة مراكز للرعاية المؤقتة في الاسكندرية للامهات الصغيرات ومركزين في مدينة العاشر من رمضان احدهم للبنين والاخر للبنات بهدف تعديل سلوكهم واعادة تأهيلهم و إكسابهم مهارات تعليمية وسلوكية بغرض اعادة الطفل لأسرته أو خويله للإقامة الدائمة أو جمعيات أخري مع تدريبة . من خلال الورش التدريبية بهذة المراكز .

مراكز اقامة دائمة :

- تضم الجمعية عدد ستة مراكز للرعاية الدائمة مركزين بمدينة نصر للبنين ومركزين بالعاشر من رمضان احدهم للبنين والاخر للبنات ومركز للامهات الصغيرات بالقطم ومركز احلام الاطفال بالقطم . حيث يتم في هذه المراكز استكمال الأطفال للمراحل التعليمية المختلفة أو التدريب المهني للمتسربين من التعليم وخويلهم للمسار الحرفي والمهني سواء بالورش الداخلية بالجمعية أو من خلال المصانع المجاورة تمهيدا لاعداد الجمعية مسكنهم الخاص بهم عند التخرج .

كيف يمكنكم المشاركة

الكفالة

كفالة الطفل تبدأ من ٥٠ جنيها شهريا أو ٦٠٠ جنيه سنويا . فقط إملأ الإستمارة في أي مقر من مراكزنا .

التبرع النقدي

حساب الجمعية :
البنك التجاري الدولي فرع عباس العقاد - مدينة نصر
رقم الحساب :
١٤ - ٩٠ - ١٠٥٠٤ - ٤

التبرعات العينية

- كفالة مصاريف أحد المراكز (مأكل - ملبس - مأوى - إيجار)
- المساهمة في بناء مركز إيواء وتأهيل الأطفال بأرض الجمعية بمركز خدمات التجمع الثالث - القاهرة الجديدة .

إنت عارف

- إزاي طفل الشارع بياكل وينام ؟
- ليه طفل الشارع بيعيش في الشارع وعمره ماراح مدرسه ؟
- إن طفل الشارع بيتعرض لاستغلال بدني وجنسي ونفسي ؟
- إن في بنات أصبحوا أمهات في سن ١٣ سنة ؟
- إن قرية الأمل منذ إنشائها قدمت خدمات لحوالي ٥٠٠٠٠ طفل صبيان وبنات وأمهات صغيرات تحت ١٨ سنه !

جمعية قرية الأمل

جمعية أهلية مشهرة تحت رقم ٣٥٥٤ بتاريخ ١٣ / ٤ / ١٩٨٨ بوزارة التضامن الإجتماعي
أسسها الراحل / ريتشارد هيسيلي الانجليزي الجنسية بالإشتراك مع الكثيرين من المتطوعين والمهتمين من المصريين

إنجازات الجمعية منذ عام ١٩٨٨ وحتى عام ٢٠١٢

عدد الحالات التي تعاملت معها الجمعية على مدار ٢٢ عام تعدى ٥٠ ألف حالة بين طفل وطفلة وأم صغيرة .

اجمالي عدد الأسر التي تم منحها قروض صغيرة بلغ ١١٨٤ أسرة بمتوسط ١٠٠٠ جنيه مصري للأسرة الواحدة .

محو أمية ٢٠٠٠ فرد من سكان المناطق المحيطة بمراكز الجمعية خلال الخمسة عشر عام الأخيرة .

تدريب ٢٠٨ أم معيلة على حرفة الخياطة والتطريز والطهي وذلك لضمان دخل ثابت مما يساعد على إستقرار الأسرة وأطفالها .

تخريج ١١٢ شاب بعد إتمام تأهيلهم بمراكز الإقامة عند عمر ٢١ عاما بشهادات جامعية ومساعدتهم على الزواج وإقامة أسرة جديدة .

الافتتاحية

المواسم تعود

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

المواسم تعود، والإنسان لا يعود، فينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، وقد جعل الله للأعمار مواسم، فهي موضوعة لبلوغ الأمل، ورفع الخلل، فهذا شهر شعبان قد قوّض للرحيل خيامهْ، وآذن بالفراق بعد الإقامهْ، وبشائر الهناء تهنئ الأمة بقدوم رمضان وتبشرهم بنيل الكرامهْ، موسم من مواسم الخيرات، تتجلى فيه البركات والرحمات، فيجب على الإنسان أن يتلقاه بالقبول والفرح والاهتمام، بأداء حقوقه، فيعمر نهاره بالصيام، وليله بالقيام، فواخيبة المفرط الكسلان، الذي لا يعرف قدر المكان والزمان، كزمان شهر رمضان، فالأيام تبسط ساعات، والساعات تبسط أنفاسًا، وكل نفَس خزانة، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء، فترى في القيامة خزانة فارغة فتندم..

أهل يعود ما مضى لي راجعا؟ أم هل أرى نجومه طوالعا
إذا تذكّـــرت زمـــانا ماضيا جدّد حزنا أنقض الأضالعا
بادر بذي الباقي وأدرك ما مضى لعل ما يبـقى يكون نافعا

فعلى العاقل أن يعرف قدر عمره، وأن ينظر لنفسه في أمره، فيغتنم ما يفوت استدراكه، وربما حصل بتضييعه هلاكه، فمن عرف شرف العمر وقيمته، لم يفرِّط في لحظة منه.

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٦٥

رمضان ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

يوليو – أغسطس ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية

للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ

الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ – ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

مكتب مصر : دار الإعلام العربية– ٤ش الجلاء– مبنى دوحة ماسبيرو– الطابق ٦– مكتب ٦٠٦– تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

في هذا العدد

موضوع الغلاف

نرسم خارطة طريق مفصلة للفوز في هذا الشهر الكريم للتطهر من ذنوب مضت والتدبر في كتاب الله وللتحرك الإيجابي لمساعدة الغير وللإندماج في تلك الحالة الثقافية الإسلامية.

نبينا وجوامع الكلم

الزمن.. باعتباره غزلًا

العيد والشعراء الحزانى

المجمع العلمي المصري

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١– ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) – فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- اليمن – صنعاء – الدار العربية للنشر والتوزيع ت – ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان – شركة نعنوع الصحفية – ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا – دمشق – برامكة – ص.ب ١٢٠٣٥ – ت: ٢١٢٤٨٣١ (٠٠٩٦٣ ١١) ف: ٢١٢٨٦٦٤ – المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن – عمان – شركة وكالة التوزيع الأردنية – ص.ب ٣٧٥ ـ رمز بريدي ١١١١٨ – ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر – القاهرة – شارع الصحافة – جريدة أخبار اليوم ـ – ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤–(٠٠٢٠٢)
- المغرب – الدار البيضاء – ص.ب ١٣٦٨٣ – ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سبان ساتس – ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ – الشركة الشريفية
- مملكة البحرين – المنامة – ص.ب ٣٢٦٢ – ت: ٧٢٥١١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ – مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمـارات العربيـة المتحدة – ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ – شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية – الرياض – ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ – ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ – الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان – مسقط – ص.ب ٤٧٣ العذيبة ـ رمز بريدي ١٣٠ – ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ – مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر – الدوحة – ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا– شركة – المصطفى ميديا جروب سندرين برحد – ت– ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر – شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٦)
- تونس – الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة – لندن – شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار •الكويت : ٥٠٠ فلس •السعودية: ٥ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٥ ريالات • الإمارات : ٥ درهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن:دينار واحد • مصر : ٢ جنيه •اليمن : ١٠٠ ريال •لبنان: ٢٠٠٠ ليرة • سوريا: ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • الجزائر: ٤ دينار جزائري •تونس: دينار واحد تونسي • المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني • باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية / المواسم تعود	فيصل يوسف العلي
٦	ملف العدد/ رمضان.. أفلا يتدبرون؟!	علاء عبدالفتاح
٨	ملف العدد/ ينبوع للطهر وموسم للتجدد	د. محمد سعيد باه
١٢	ملف العدد/ نزول القرآن.. دلالات وواجبات	د. وصفي عاشور
١٥	ملف العدد/ المنحة الربانية في السنة النبوية	د. ماهر عباس
١٧	ملف العدد/ مخاطر الإعلام.. في شهر الصيام	د. عبدالصبور فاضل
٢٠	ملف العدد/ رمضان .. نهضة شاملة	علاء الدين حسن
٢٢	ملف العدد/ همة عالية وثبات قلب	منى الشريف
٢٥	ملف العدد/ الإفراط.. خطر محقق	أماني عبدالراضي - بشرى شاكر
٢٩	ملف العدد/ هوس التسوق الرمضاني	دعاء الفولي
٣٢	ملف العدد/ صيام الأطفال في الإسلام	سهير الشاذلي
٣٤	ملف العدد/ ماذا أعلم أبنائي في شهر رمضان	د. آندي حجازي
٣٦	سيرة/ نبينا وجوامع الكلم	فتح الله كولن
٣٨	تراث/ رسالة لطيفة لقوله: صوموا لرؤيته	محمود الكبش
٤١	خواطر/ الاستقامة بعد الفريضة	رومي الرومي
٤٢	تاريخ/ مؤتة.. أرض الشهداء	أحمد أبودلو
٤٦	دعوة/ الدعوة والتحديات المعاصرة	محمد الدسوقي
٥٠	حوار/ القارئ عبدالرشيد صوفي	عامر أحمد
٥٣	أعلام/ في رحاب الشيخ محمد أمين سراج	التحرير
٥٤	تحقيق/ إعلامنا المطبوع في الألفية الثالثة	هالة عبدالحافظ
٥٨	دراسات/ العمل الاجتماعي والتنمية	إدريس بوحوت
٦٢	دراسات/ الموريسكيون في إسبانيا	د. علاء عبدالمنعم
٦٥	إدارة/ السلوك الأخلاقي لعلم المحاسبة	د. سلطان السهو
٦٦	لغة وأدب/ دورس من أقوال عمر	د.محمد حسان الطيان
٦٨	لغة وأدب/ الزمن.. باعتباره غزلًا	أمين عبدالجبار
٧٠	لغة وأدب/ هكذا مضت ومضيت	عطية الويشي
٧٢	لغة وأدب/ القول المأثور في إحياء الصواب المهجور	عبدالله الأعشير
٧٤	لغة وأدب/ العيد والشعراء الحزانى	مصطفى عباس
٧٦	أنباء الكتب/ عوامل قيام الحضارات	مريم عبدالحميد
٧٨	معاقل العلم والعلماء/ بست.. مدينة العظماء	د.محمد المحمدي
٨٢	أسرة/ تحفيز الناشئة على القراءة	أحمد الخميسي
٨٤	أسرة/ السعادة كما يراها طالب	تسنيم الكيالي
٨٦	أسرة/ أزواج على المقهى	نعيم السلاموني
٨٨	منارات/ المجمع العلمي المصري	إبراهيم عبدالرحيم
٩٠	فتاوى الوعي	محمود الكبش
٩٢	بريد القراء	التحرير
٩٦	من غرر الحكم	بشار بكور
٩٨	مسك الختام/ ويعود العيد	د. محمد باباعمي

كلمة العدد

الحيادية المنحازة!

لأول مرة في تاريخ العالم العربي تعيش الساحة الإعلامية حالة من التخبط والضبابية والالتباس في ممارسة وسائلها لدورها المنوط بها تجاه الرأي العام، فبالرغم من وجود أطر وأدبيات وأدوات علمية ومنهجية للمهنة فإن الواقع يكشف مدى تجاوز بعض الإعلاميين لأبجديات السلطة الرابعة وانغماسهم في بحر الأهواء والمصالح والقربات.

المتابع للمشهد الإعلامي يلاحظ تخلي كثير من وسائل الإعلام عن أخلاقيات الإعلام وميثاق شرف المهنة، حتى بات الضمير المهني في خبر كان مع توالي المغريات من قبل تجار الإعلام.

ولعل أحد أهم أسباب هذا الالتباس في المشهد هو غياب «الحيادية الإعلامية» التي سقطت في وحل الكذب والخداع والتلون، حتى رأينا كيفية توجيه الأخبار بالتضخيم والتشويه والتهويل، ما يصيب التناول الحيادي للقضايا والأحداث المطروحة في مقتل.

لذا يمكن اعتبار الحيادية القائمة حاليًا حيادية منحازة - إن جاز التعبير- إلى مصالح ملاك وسائل الإعلام، وأهواء القائمين عليها ورغباتهم الشخصية، ولا تمت بأي صلة لأخلاقيات الإعلام، وقيم المسؤولية الاجتماعية، لدرجة أن أحد وزراء الإعلام العرب السابقين قال: «من المستحيل أن تجد إعلامًا عربيًا محايدًا».

إن معيار النجاح المهني لأي وسيلة إعلامية مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالموضوعية والحيادية الحقيقية في التعاطي مع الأحداث المختلفة، لأن وسائل الإعلام في النهاية ما هي إلا نبض للمجتمع، ومرآة تعكس احتياجاته وأولوياته، وأداة تسهم في تشكيل الرأي العام، وطريق تعزيز القيم الحضارية.

التحرير

الاشتراكات
- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

رمضان... أفلا يتدبرون؟!

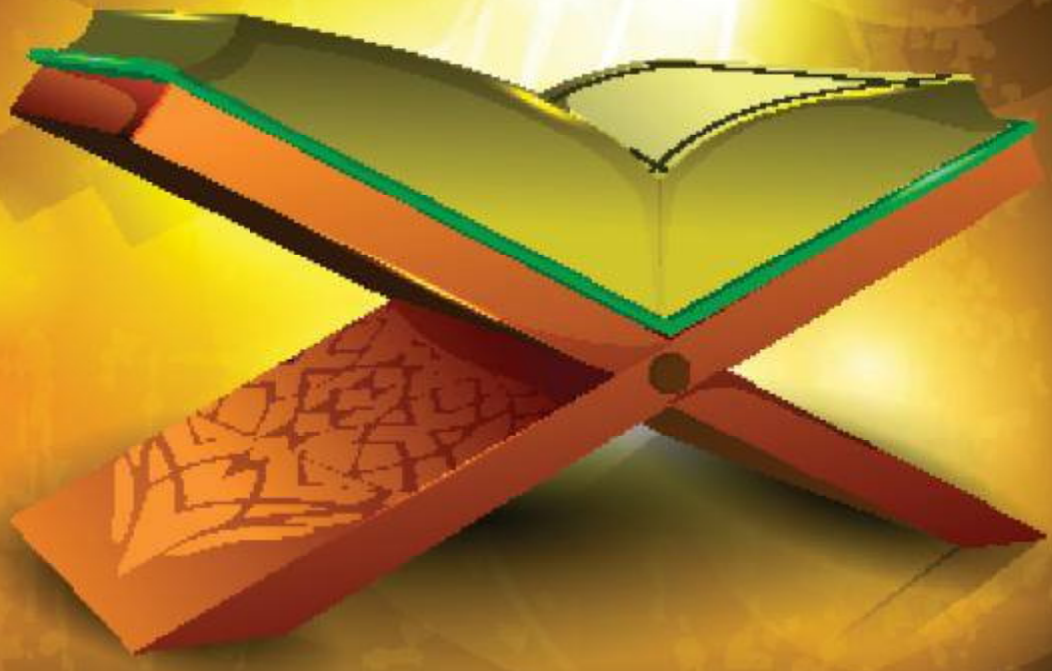

السلة المباركة والسير الميكانيكي

وكأنك تمضي على سير ميكانيكي، وعلى جانبك سلال من الزاد.. السير يمضي والسلال ثابتة.. بعضها ممتلئ عن آخره وبعضها بالكاد تلتقط منه المراد، وهناك سلال تضم الثمين وأخرى تضم الغث، وما عليك سوى مد يديك والتقاط ما ينفعك في رحلتيك الأولى والآخرة.

الأمر إلى هنا سهل ويسير، لكن العجب كل العجب ممن لا يبصر هذه السلة الرمضانية الضخمة الممتلئة عن آخرها بكل ما هو نفيس، والعجب كل العجب لمن تنشغل نفسه بميكانيكية السير والمناظر الفارغة عن اليمين وعن الشمال حتى يمضي وتفوته أطايب السلة المباركة.

فتخير أخي وحبيبي في الله، من أي الفريقين أنت.. هل ستنتبه وتنتظر ثم تقبل وتنتقي وتحمل الخير أم ستنسى وتنشغل ثم تدبر وتندم بعد فوات الفوت؟

«الوعي الإسلامي» تحرص عليك وتقدم لك- حبًا- خارطة طريق مفصلة، للفوز في هذا الشهر الكريم بأقصى ما يمكنك الاستفادة منه.. للتطهر من ذنوب مضت والتحصن من ذنوب يوجهها إليك أعداء الخير من كل صوب وحدب.. للتأمل والتدبر في كتاب الله وليس للتسابق في القراءة النظرية المتعجلة التي لا يستقر منها حكم أو توجيه أو حتى صفاء نفسي.. للتحرك الإيجابي لمساعدة الغير وفك كربات المكروب والمضي قدما في سبيل قضاء حاجة المسلم، وليس التمدد ممتلئا بما لذ وطاب من أكل وشرب أمام أجهزة إعلام تسحب منك- بخفة يد- ما التقطته للتوّ من السلة المباركة.. خريطة طريق للاندماج في تلك الحالة الثقافية الإسلامية المعتبرة واستلهام روح الجماعة وأنت تفطر مع مئات الملايين من بني أمتك الإسلامية عند غروب الشمس أو بينما تصلي معهم بعد العشاء وتتهجد متضرعًا إلى ملك الملوك.. لغرس أصول الحياة المستقيمة- بمعاونة شريكة رحلتك- في أبنائك وأحفادك برفق ولين وحكمة وإبداع أيضًا.

ومن الموضوعات التي حرصت «الوعي الإسلامي» على استكتاب أصحاب الأقلام المميزة فيها: ما يتعلق بعادات علينا إعادة النظر فيها كالهوس في التسوق قبل وأثناء رمضان، والإفراط في تناول الطعام، والعجز عن القيام، والكسل في أداء الواجب بحجة الإرهاق، بينما كثير من المسلسلات والأفلام والإعلانات التجارية تنهش في وجدانك وتعطل مسارك وتطفئ النور الذي عكسه عليك تعبدك.

وقد اجتهدت موضوعات ملفنا الرمضاني للإجابة عن الأسئلة الأكثر شيوعًا في الأذهان كل رمضان وهي: ماذا أعلّم أبنائي في هذا الشهر الفضيل من تحمل وصبر واستقبال لأصوات المقرئين المجيدين واستشعار حالة الفقراء من المسلمين وزيارة الأقارب والاندماج في مجتمع واحد مستخلف في الأرض ليعمرها ثم يرجع إلى الله ليحاسبه عما فعل، كما تناولت مخاطر الإعلام بمستوييه: العالمي الذي يتحكم فيه أبناء صهيون، والمحلي المقلد الساذج أو المتعاون على قلب الحقائق وتعمية المسلم وتغييبه، وكذلك كيف نقبل على هذه المناسبة بهمة عالية ولا نتركها تمضي إلا مثبتة معالم مضيئة على طريق الايمان.

علاء عبدالفتاح

ينبوع للطهر وموسم للتجدد

د.محمد سعيد باه - أستاذ جامعي- السنغال

تحية قرآنية عبقة وتهنئة رمضانية عطرة!

إذا عظم الزمان والمكان عظمت الخطيئة والعصيان. (الإمام الشافعي)

أثر عن النبي ﷺ أنه كان إذا عاين طلعة رمضان البهية هتف بحبور دافق: «مرحبا بالمطهر! قالوا: يا رسول الله وما المطهر؟ قال: مطهر من الذنوب والخطايا» .

في المدار المنتظم

وعلى هذا المدار المنتظم، وضع الإسلام منظومة لحياة الإنسان الذي اختار أن يتفيأ ظلال المنهج الرباني، تقوم على الدورات التجديدية (أيام الله)، وهي الدورات التي تشير إليها الآية الكريمة:

﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ (البقرة: ١٨٨).

ومن الناحية التطبيقية، تبدأ هذه الدورات بوضع قالب متسق لضبط الحركة اليومية للمسلم عبر قناة الصلوات الخمس التي تبقيه في حالة اليقظة وهو في دوامة تعقيدات يومه، ثم تكون أسبوعية بصلاة الجمعة الحاشدة التي تعطل بسببها أماكن الصلوات الأخرى إلى أن تكون سنوية بالمؤتمر الجامع في الرحاب الطاهر، حيث تتجدد الوشائج وتتقارب السماء والأرض وتطهر دموع المتبتلين الأدران المتراكمة وجه البسيطة.

ثم يأتي رمضان بعبقه وألقه وأجوائه الحالمة وفيه هذه الجوقة من المرتلين والمتبتلين الذين يسارعون في الخيرات، وهم لها سابقون، لطرق أبواب البر وفيه يجتازون دورة كاملة للمصالحة والتوبة والأوبة والتصفية تهيؤًا للارتقاء.

العيون الشاخصة وصيحة الحبور

بعد أيام قلائل ستتطلع الأبصار مشرقا ومغربا، تتراقص فيها ظلال الشوق والحنين، إلى آفاق السماء تستجلي وبتوق عميق هلال الشهر الكريم لعل بسمة الإيمان تشرق مجددا مع إطلالته في الأوجه التي كلحت بلفحات الجفاء الإيماني وتنبجس تلك الأشعة الهادئة المهدية في قلوب عششت فيها عصافير الهوى حتى باضت، حتى إذا عاينته صدحت الحناجر بتغريدة إيمانية صاخبة مسرورة بعودة موسم البشر الذي كان الصالحون قد دأبوا على اعتباره سوقا سنويا ينعقد وينفض وتعقد فيه الصفقات، حيث يبيع الجميع أنفسا فمنهم من يوبقها وآخرون يعتقونها.

نعم، حين يستدير الزمان كهيئته يوم خلقه الله، تتدفق أمواج الحنين، في قلوب المؤمنين، للولوج إلى دوائر الغفران، وتنسكب عبرات حرى لأن العطش الإيماني كاد يقتل من ساخت أقدامهم في رمال الوهم وهم يلهثون وراء طريد شارد من حظوظ دنيوية، كلما تحقق منها قسط انتفخت البطون واتسعت الجيوب وتعارك الناس في صفقات كلها غبن.

فما أن يردد المستقبلون صيحة الحبور تلك حتى يهمسوا بالمأثور من الدعاء المخصص لاستقبال الوافد الجديد الذي آب من وراء الحجب بعد غيبة طالت يبشر بانطلاقة العرس الإيماني، حتى يقع ذلك التبدل العميق في نمط الحياة اليومية لجمهور المؤمنين من أقصى ديار الأمة إلى أقصاها وينعقد موسم القرآن الحاشد في رمضان أو معرض رمضان للقرآن، أو على حد تعبير الشيخ القرضاوي: «ربيع الحياة الإسلامية»، ويجوب موكب ذلك العرس الجامع الشوارع والأندية وحتى الشواطئ العارية، فيسارع كل غافل إلى نفض الغبار عن مصحفه وتنعقد في المساجد حلقات تدارس الكتاب الكريم ويتزاحم الشباب والشيب وقد جثوا على الركب حول موائد الإيمان حيث الدندنات الحلوة.

سر الانقلاب الهائل

إي وربي! إن وراء هذا التبدل العجيب، الذي أراده الشارع الحكيم حين تعبد عباده بشعيرة الصيام وندبهم إلى القيام بالقرآن، في طريقة ممارسة الحياة الاعتيادية والتدينية وما يقع من انقلاب في أوقات الطعام والشراب وفي التحريم المؤقت لما كان من لحظات حلالا وفي مواعيد النوم والاستيقاظ، وفي استحداث أشكال وأنواع ممن ممارسة الشعائر، وفي فتح أبواب كانت موصدة لكسب الخير وتيسير الهداية وتعسير الغواية وإيصاد أخرى كانت مشرعة، إن من وراء كل ذلك لسرا هو الذي نريد استجلاء بعض كنهه في هذه التأملات السريعة عن علاقة رمضان بالقرآن وفي فعلهما المتجاوب المتكامل لإعادة بناء الإنسان وترميم ما تعرض للتلف من أجهزته الجسمانية والإيمانية كي يستأنف الصراع مع قوى الشر التي تناوئه ويناوشها وهو على كامل الجاهزية، وموقن بأن يدا من وراء حجب الغيب ستمتد بلطف لتسند خطاه كلما عثرت أو علقت في حبال مصيدة العدو المتربص، وأن عين من لا تأخذه سنة ولا نوم ترعى مسراه كي لا يضل ولا يشقى.

سندير الحديث، في تأملاتنا هذه عن العلاقة الخاصة الرابطة بإحكام بين رمضان والقرآن وأثرهما في إعادة بناء الإنسان كلما أصابته رثاثة في إيمانه أو اجتاحته دوامة الغفلة وأبعدته عن مصدر الاستمداد الصافي أو مسه طائف من الشيطان لينسيه ذكر الله وفعل الخيرات وترك المنكرات، على قول الحق، جل في علاه، في محكم تنزيله:

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ (البقرة: ١٨٨).

الأبعاد الزمنية في علاقة رمضان بالقرآن

حين حاولت أن أديم النظر في هذه الآية بحثا عن الكوامن في تلك العلاقة المطردة، كان أول ما لفت نظري بروز الأبعاد الزمنية وأثرها في تفعيل وتعميق قيم الخير والحق والجمال التي يريد الإسلام أن تكون هي المحددات التي توجه حركة الإنسان المؤمن وهو يقطع المسافة القصيرة الفاصلة بين الحياتين التدريبية والمقيمة أو الآنية والأبدية:

﴿شهر رمضان الذي...﴾، هنا شهر بالتمام والكمال بمنزلة دورة تدريبية جماعية لسواد الأمة يتحركون رجالا ونساء كبارا وصغارا ينامون ويستيقظون يتسحرون ويفطرون على الرطب ويسرعون الخطى لتلبية نداء الفلاح في دقة موزونة، وكلهم في حالة شعورية منسجمة ليتخرجوا وقد تقاربت العواطف وتماسكت الأيادي وتناسقت الخطوات، فلا الذي قدر رزقه يموت تحت مطارق المسغبة، ولا ذلك الموسر ينتحر تخمة، إنها دورة شهرية تصقل فيها الأرواح كي تشف وترف وتسبك الألباب حتى تحد وتعقل، إنه برنامج لاستثمار عامل الزمن لتنمية القدرات وفق رؤية التشبيك التي ينادي بها الخبراء اليوم.

﴿حم. والكتاب المبين. إنا أنزلناه في ليلة مباركة...﴾، هناك شهر يرمض

كل خبيث في النفس ويجتثه اجتثاثا ثم يغرس بدله كل طيب نفيس مورق مثمر، وهنا ليلة مباركة، أي نداء صارخ للبحث عنها من بين ليالٍ أخرى بمعالمها الوضاءة حتى إذا هديت إليها سبرتها لحظة ولحظة راكعة ساجدة في محراب التبتل بحثا عن تلك البركات التي تكفي زادا لخوض معركة متصلة وشرسة طيلة عام إلا شهرا، واستنزالا لشآبيب الرضوان، وتعرضا لتلك النفحات الربانية التي تهب على قلوب الغافلين فتفيض عليهم برد اليقين وطمأنينة من جافى جنبه عن المضاجع حتى مطلع الفجر وداوم على شهود البردين... .

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر...﴾، تأتي الليلة موصوفة مع تهويل ما تختزنه من مقادير لتلك البركات التي تهطل من السماء مع الاستعانة بعداد زمني لا يكاد مؤشره يستقر على رقم: ﴿خير من ألف شهر﴾، ثم إن الليلة هنا ترتبط برباط خاص بالليلة هناك في كونهما ليلتين لا ككل الليالي، فتتميز هذه، إلى جانب البركات المنهمرة من السماء حتى طلوع الفجر مع جوقة من الملائكة تشكل جسرا كونيًا فريدًا، بأنها اللحظة التي اختارها الله وجعلها الليلة التي: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾.

رمضان وصفا ووظيفة

أما رمضان من حيث الجذر والمفهوم التأصيلي، انطلاقا من الزاوية التي نعالج الموضوع انطلاقا منها، فقد نقل الإمام الشوكاني- رحمه الله- أنه إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب، أي يحرقها بالأعمال الصالحات، واستأنس بما ذهب إليه الماوردي الذي قال بأن «اسمه (رمضان) في الجاهلية «ناتق» لأنه كان ينتقهم لشدته عليهم» .

ثم أضاف الإمام عبدالرحمن بن الجوزي- رحمه الله- إلى معنى إحراق الذنوب وإذابتها معنى آخر في غاية اللطافة بقوله:

«وهو أي رمضان مطر يأتي قبل الخريف، وقيل رمض ورفض بمعنى واحد وهو من الحروف المتعاقبة، ويرفض قوما إلى محل القربة والزلفى» .

الشفيعان المشفّعان

تبلغ وثاقة العلائق بين القرآن وشهره أنهما يتعاضدان يوم العرض على الله ليحاجا عن فئة خاصة من المؤمنين تميزوا بأنهم يُظمِئون النهار ويسهرون الليل مشفقين مما آتاهم ربهم يرجون رحمته ويفرَقون من عذابه، وهم الذين خصصت لهم هذه المكرمة:

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي رب منعته من الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال فيشفعان» .

رمضان شهر القرآن والقرآن كتاب رمضاني، بهذه الكلمات البسيطة وصف تشابك العلائق بين القرآن وبين رمضان، والمفصل الذي نتوق إلى أن نتوقف عنده ولو للحظة، ونحن على عتبة الشهر الكريم، شهر القرآن والإيمان المتجدد، يتمثل في حقيقة أن ثمة علاقة حميمة بين هذا الشهر وبين وحي السماء ما جعل له هذه النكهة الخاصة التي يستنشق الصالحون عبيرها، وهي العلاقة التي نجدها متجسدة في أن رمضان هو موسم الوحي وتكرار رحلات سفير الوحي بين السماء والأرض ناقلا رسالات الرحمن إلى من اجتبى من خلقه، وبهذا المعنى نقرأ حديث أبي المليح:

قال رسول الله ﷺ: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الله القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» .

حيث المورد العذب

فحين يتسكع المؤمنون في ظلال رمضان الفيحاء وفي أيمانهم قبس من ذلك النور العلوي عليهم أن يستشعروا تلك المعاني المترادفة التي بدونها قد

نفقد طعم الصيام ولذة الترنم بالآي البينات من الهدى والفرقان، ومن تلك المعاني ما يصوره لنا النبي ﷺ عن حالة المؤمن وما يكابده من عناء وهو يجر خطاه عبر عرصات الحياة ويتلقى الضربات الموجعات واحدة تلو أخرى، حتى إذا ضاقت به السبل وحاصرته أسلاك الحيرة أطلق ساقيه للريح بحثا عن مورد عذب يطفئ زلاله ظمأه ثم يعدو فتتحول الأنهر إلى سراب والآبار إلى جرف هار حتى إذا أوشك على الهلاك تلقفته نفحات شهر الري والريان:

«ورأيت رجلا من أمتي عطِشا كلما دنا

من حوض منع وطرد فجاءه صيامه شهر رمضان فأسقاه ورواه» .

المعاني الثلاثة

إن ضرورة معالجة تلك الاختلالات التي تصيب الإنسان نفسيًا وروحيًا ومعنويًا والتي تثقل كاهله وتكبل خطاه، تؤكد لنا حقيقة وجود تشابه مذهل مع حياة الإنسان المادية من خلال ما يتعرض له جانبه الجسماني من علل ويتعرض له من أعطاب فتحدث في حياته شروخا وربما أعطابا قد تميته إذا لم تتدارك بعلاج يشفي، ومن ثم يحتاج إلى تجدد في تلك الخلايا التي تتلف لطول التفاعل، هنا تتجلى أهمية تضامن وظيفتي الصوم والقرآن حين يعيدان له صحته النفسية وعافيته الجسدية وطمأنينته القلبية وطاقاته العقلية حتى إذا انفض السوق انطلق خفيفا سريعا وكأنما نشط من عقال ثم يمضي يقطع الأشواط عدوًا في صراع محتدم مع الباطل وتنشيط لموكب الحق.

المسارات المحددة

من المعاني التي تتجلى لنا، حين نتأمل في كتاب الله، ونحن ننبش بحثا عن العلاقة بين القرآن وبين رمضان، وجود ثلاث مسارات محددة لا تستقيم ولا تستقر حياتنا الإيمانية والمادية بدونها إلى جانب وجود ارتباط وثيق لكل عنصر منهما مع الآخر، وهي: الهدى والسلام والبركة، إنها المطالب العليا التي يلزم أن نحققها بالقرآن وبرمضان.

نحو التخوم الآمنة

كان من دأب الصالحين مع رمضان أنهم يمضون شطرا من العام يبتهلون إلى مولاهم أن يبلغهم تخومه حتى إذا استجيبت دعوتهم أظمأوا نهاره وأحيوا ليله وجددوا فيه فتل حبال الحب مع الله والوصل مع كتاب الله تلاوة وتدبرا وتربية للنفس وشحنا للعاطفة وجدّوا ووجدوا، ثم أمضوا الشطر الآخر في تبتل ووجل وإنابة خاشعة أن يكونوا ممن قبل منهم.

الومضات التي نبحث عنها

من الومضات التي نبحث عنها في ظل رمضان ونحن نقرأ سطور الكتاب المبين، معنى التيسير في حياة المسلمين الفردية والجماعية، أين التيسير في حياتنا اليومية؟ في العلاقات الاجتماعية، عند البيع والشراء، ساعة التقاضي والقضاء أو تطيير الفتيا، لحظة نؤم جمهور المصلين، وعندما نعلم جاهلا ولم يبلغ حد الجفوة أن بال وسط المسجد الجامع، ووقت نمسك بعضد المريض لنغرس فيه إبرة الشفاء، أليس أمرا عجبا أن يعطي القرآن هذا الدرس البليغ: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾، متى قال ذلك؟ بعد أن سرد جملة من الشعائر في ظاهرها منع وحرمان وفي باطنها الرحمة الضافية والخير السابغ، أي إثر منع الطعام والشراب وكثير من الشهوات واللذات صقلا له.

خطة الإصلاح الشامل

إن من مقتضيات فقه العلاقة بين الشهر الكريم والكتاب الكريم، أن نستقبل الأول بحفاوة وقد أخذنا الثاني بقوة بعد أن نكون قد وضعنا خطة محكمة وميسرة على ضوء ما نستيقن أننا نملكه من القدرات والمقومات الجسدية والنفسية والمادية، فلنطلق عليها استرشادا اسم خطة «الإصلاح السنوي الشامل»، ولا بأس إذا اخترنا اسما آخر مشوقا، ونسعى من خلالها إلى عادة بناء ما تحطم في النفس وما اعوج من السلوك وما تلطخ في الإيمان نتيجة الاحتكاك بالهابط من الأخلاق؛ أو بسبب الضغط الذي يمارسه مروجو الفساد في الأرض.

كما تشمل هذه الخطة تقييم ما قصرنا فيه من حيث الأداء للكسب والإنفاق، وفي برنامج إدارة الأسرة، وفي الانتقال من دائرة الصلاح إلى المشاركة في مشروع الإصلاح العام، وهي الخطة الرمضانية التي يأتي القرآن الكريم ليضع عليها اللمسات الأخيرة بذلك الإجمال العجيب في مسارين متداخلين: ﴿لعلكم تتقون﴾، ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾.

فلنتصور روعة حياة أمة بكاملها تنفذ خطة تدور في محوري: «التقوى» في العلاقة مع الله خشية وحبًا وولهًا وعبادة وتقربًا ورجاءً وتفويضًا، من جانب، و«اليسر المجافي للعسر»، في أداء التكليف وفي المسلك اليومي وفي تنميط العلائق مع الخلق، وفي دعوة الواقفين خارج صف الإيمان إلى رحاب الخير من جانب آخر!!

نزول القرآن.. دلالات وواجبات

د. وصفي عاشور أبوزيد - مدير معهد نماء - مصر

القرآن الكريم هو الكتاب الخالد لهذه الأمة، ودستورها الشامل، وحاديها الهادي، وقائدها الأمين، كما أنه الكتاب الخالد للدعوة الإسلامية، ودليلها في الحركة في كل حين، وله أهمية كبيرة في حياة الفرد، وفي حياة الأسرة، وفي حياة المجتمع، وفي حياة الأمة؛ فهو يعالج بناء هذا الإنسان نفسه، بناء شخصيته وضميره وعقله وتفكيره، ويشرع من التشريعات ما يحفظ كيان الأسرة؛ تظللها السكينة وتحفها المودة وتغشاها الرحمة، كما يعالج بناء المجتمع الإنساني الذي يسمح لهذا الإنسان بأن يحسن استخدام الطاقات الكامنة في المجتمع، وينشد الأمة القوية المتماسكة الشاهدة على العالمين.

في القرآن الكريم نجد المناهج الثابتة، والسنن الجارية، والقيم السامية، والمثل العالية، والموازين العادلة، والقواعد الراسخة، والأفكار السامقة، والتصورات الراشدة، وغير ذلك مما جعل القرآن الكريم كتابا خالدا شاملا محكما يخاطب الإنسان والزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذا القرآن الكريم أنزله الله تعالى في شهر رمضان الفضيل، وتحديدًا في ليلة القدر التي كانت واضحة ثم أخفاها الله تعالى لحكمة يعلمها، ولا يظهر لنا منها إلا الاجتهاد في العبادة وتحريها بالتهجد والاعتكاف والقيام والذكر والدعاء، والمسارعة في العبادة والخيرات.

وسوف يكون حديثنا من خلال آيات ثلاثة في القرآن الكريم، أو ثلاثة مواضع فيه.

الموضع الأول: في سورة البقرة من قوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ

عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥-١٨٦).

والموضع الثاني: من سورة الفرقان، مطلعها، قال تعالى: ﴿حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ١-٤).

والموضع الثالث: سورة القدر كاملة، وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (سورة القدر).

دلالات الزمان ومعالم بركاته

لنزول القرآن الكريم في شهر رمضان دلالات ومعانٍ عقدية وإيمانية ونفسية وروحانية وأخلاقية وسلوكية، تحدث عنها علماؤنا حديثا ممتعا في تناولهم لتفسير الآيات المشار إليها قبل قليل؛ فهذا الإمام محمد أبوزهرة يقرر أن «اختصاص شهر رمضان بالصوم؛ لأنه نزل فيه القرآن، فيه تذكير بمبدأ الوحي، واحتفال بأكبر خير نزل في الأرض وهو بعث النبي ﷺ فإنه نور الأرض وإشراقها، والاحتفال به احتفال بنعمة الهداية، ونعمة الخروج من الظلمات إلى النور، ونعمة إرسال نبي الرحمة... وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه هدى للناس... لأنه يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، وهو معجزة الله تعالى الكبرى، وهو بهذا هداية وتوجيه إلى مقام الرسالة المحمدية، وهو مع ذلك فيه آياته البينات... أي أن آياته بينات واضحة من الهدى وهو الشريعة التي جاء بها، والفرقان أي الأمر الفارق بين الحق والباطل، والظلم والعدل، والشورى والاستبداد، والإصلاح والإفساد، وعمران الأرض وخرابها» .

وهذه دلالات أغلبها عقدية وحضارية؛ فهو تذكير بابتداء الوحي، واحتفال بإرسال النبي وما يقتضيه ذلك ويستتبعه، وإنعام بما في القرآن من بينات واضحة، وأمور فارقة بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والظلم والعدل...الخ.

وقد أكد على هذه المعاني من قبلُ الإمامُ ابن كثير بقوله: «وقوله: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ هذا مدح للقرآن الذي أنزله الله هدى لقلوب العباد ممن آمن به وصدقه واتبعه ﴿وَبَيِّنَاتٍ﴾ أي: ودلائل وحُجَج بينة واضحة جلية لمن فهمها وتدبّرها دالة على صحة ما جاء به من الهدى المنافي للضلال، والرشد المخالف للغي، ومفرقًا بين الحق والباطل، والحلال، والحرام» .

وليس رمضان هو الزمان المختار لنزول القرآن فقط بل هو زمان نزول الكتب السماوية جميعا، وفي هذا ما فيه من تشريف للزمان، يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: «يمدح تعالى شهرَ الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء» .

ويربط الشيخ محمد متولي الشعراوي بين الصيام باعتباره مدرسة للتربية، وبين التشريع باعتباره منهجا للتربية وترقية الإنسان، وهذه دلالة تربوية مهمة، يقول: «يعطي له - أي لشهر رمضان - سبحانه منزلة تؤكد لماذا سُمي، إنه الشهر الذي أُنزل فيه القرآن، والقرآن إنما جاء منهجَ هداية للقيم، والصومُ امتناع عن الاقتيات، فمنزلة الشهر الكريم أنه يربي البدن ويربي النفس، فناسب أن يوجد التشريع في تربية البدن وتربية القيم مع الزمن الذي جاء فيه القرآن بالقيم، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنْزِلَ فِيهِ القرآن﴾» .

ويؤكد العلامة عبدالرحمن السعدي أن هذا الشهر العظيم قد حصل لنا فيه خير عميم بنزول القرآن فيه، فيقول: «الصوم المفروض عليكم، هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة، فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعبادة مفروضا فيه الصيام» .

وقد حدد القرآن أن نزول القرآن كان في ليلة القدر الذي يشملها شهر رمضان، وفيها من الشرف والمجد والفضل، ومن البركات والفيوضات والتنزلات والرحمات - ما لا تدركه الإشارة ولا

تلحقه العبارة، يقول العلامة محمد الطاهر بن عاشور: «فَبَرَكَةُ الليلة التي أنزل فيها القرآن بركة قدّرها الله لها قبل نزول القرآن؛ ليكون القرآن بابتداء نزوله فيها مُلابسًا لوقت مبارك؛ فيزداد بذلك فضلًا وشرفا، وهذا من المناسبات الإلهية الدقيقة التي أنبأنا الله ببعضها» .

أما في سورة القدر فيأخذ بأيدينا صاحبُ الظلال في حديث شفاف منير يجعل النفس تسجد من عظمة القرآن، والقلب يخضع لسلطان كلام الله تعالى فيتحدث عن دلالات الليلة المشهودة الموعودة؛ ليلة القدر، قائلا: «الحديث في هذه السورة- يعني سورة القدر- عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وابتهال.. ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى.. ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشرية جميعا.. العظمة التي لا يحيط بها الإدراك البشري: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ؟﴾﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.. والنصوص القرآنية التي تذكر هذا الحدث تكاد ترف وتنير، بل هي تفيض بالنور الهادئ الساري الرائق الودود؛ نور الله المشرق في قرآنه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ونور الملائكة والروح وهم في غدوهم ورواحهم طوال الليلة بين الأرض والملأ الأعلى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.. ونور الفجر الذي تعرضه النصوص متناسقا مع نور الوحي ونور الملائكة، وروح السلام المرفرف على الوجود وعلى الأرواح السارية في هذا الوجود: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾».

ويشير العلامة ابن عاشور إلى معنى طريف حينما يطابق بين شرف الزمان المنزول فيه، وهو شهر رمضان وليلة القدر تحديدًا، مع شرف النازل فيه، وهو القرآن الكريم؛ فيقول: «والمقصود من تشريف الليلة التي كان ابتداء إنزال القرآن فيها تشريف آخر للقرآن بتشريف زمان ظهوره، تنبيها على أنه تعالى اختار لابتداء إنزاله وقتا شريفا مباركا؛ لأن عظم قدر الفعل يقتضي أن يختار لإيقاعه أفضل الأوقات والأمكنة، فاختيار أفضل الأوقات لابتداء إنزاله ينبئ عن علو قدره عند الله تعالى... وأعيد اسم﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾الذي سبق قريبا في قوله: ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر:١) على خلاف مقتضى الظاهر؛ لأن مقتضى الظاهر الإضمار، فقصد الاهتمام بتعيينها، فحصل تعظيم ليلة القدر صريحا، وحصلت كتابة عن تعظيم ما أنزل فيها، وأن الله اختار إنزاله فيها ليتطابق الشرفان» .

وليس معنى إنزال القرآن في ليلة القدر أنه نزل على المسلمين في ليلة واحدة كما هو معلوم، وإنما نزوله إلى بيت العزة من اللوح المحفوظ، ثم نزل بعد ذلك منجما مفرقًا على رسول الله ﷺ؛ ليربي الأمة ويعلمها بحسب الوقائع في زمن امتد لثلاث وعشرين سنة.

واجبات هذا التشريف ومقتضياته

مادام نزول القرآن الكريم- أو بداية نزوله- كان حدثا فاصلا في حياة البشرية، عاد عليها بالنور والعلم والهداية، وإنشاء الإنسان خلقًا آخر، وإيصال الأمة المسلمة لمنزلة الشهادة على العالمين، وغير ذلك من فضل وتشريف... ومادام هذا التشريف وذاك الفضل نزل في شهر رمضان؛ فإن لذلك واجبات ومقتضيات؛ لأنه ليس هناك تشريف دون تكليف، وليس هناك واجبات دون مقتضيات.

وأول واجب علينا نحو هذا الفضل الغامر أن نعظم أيام الله تعالى، يقول العلامة ابن عاشور: «هذا تعليم للمسلمين أن يعظموا أيام فضلهم الديني وأيام نعم الله عليهم، وهو مماثل لما شرع الله لموسى من تفضيل بعض أيام السنين التي توافق أياما حصلت فيها نعم عظمى من الله على موسى، قال تعالى﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ (ابراهيم: ٥) فينبغي أن تعد ليلة القدر عيد نزول القرآن» . فالإمام ابن عاشور هنا يريدنا أن نعظم أيام الله بأن نجعل ليلة القدر عيدًا لنزول القرآن، وهذا متفق مع أصل شرع من قبلنا، وهو ما جاء في رسالة موسى عليه السلام.

ومن هذه الواجبات: إكمال العدة: لأن الله تعالى يسر لنا تشريع الصيام، وذلل لنا الإتيان به في كل حال؛ حال الصحة والمرض، وحال السفر والحضر﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾.

ومن هذه الواجبات تكبير الله تعالى وحمده وشكره على هذه النعم وتلك المنن التي لا توجد لأمة من الأمم في كتاب من الكتب، ولا تشريع من التشريعات: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ومن هذه الواجبات عبادة الله تعالى، والدعاءُ هو جوهرها وروحها، بل هو هي؛ ولهذا جاءت آية الدعاء في آخر آيات الصيام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، يقول العلامة عبدالرحمن السعدي في بيان معاني الدعاء والقرب، وأنواعهما: «والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.. فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كآكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾».

المنحة الربانية في السنة النبوية

د. ماهر عباس جلال
أستاذ لغة عربية لغير الناطقين بها

لقد أنعم الله على عباده بنعم لا تعُد ولا تحصى، وأجل ما تكون هذه النعم في مواسم إلهية تكثر فيها العطايا الإلهية، ويجود الله على عباده بـ«التنزيلات الربانية»، ويأتي على رأس هذه المواسم شهر رمضان الكريم.. ولم لا؟! وهو شهر الله كما قال ﷺ فيما روته عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: «شهر رمضان شهرُ الله، وشهرُ شعبانَ شهري».

وقد فضل الله تعالى هذا الشهر على سائر الشهور لقوله ﷺ: «سيد الشهور رمضان، وسيد الأيام الجمعة»، وقال أيضًا: «سيد الشهور شهر رمضان، وأعظمها حُرمةً ذو الحجة».

ورمضان مشتق من الرمض، وهو حَرُّ الحجارة من شدة حر الشمس، ويجمع على رمضانات ورمضانين وأرمضاء وأرمضة. وقيل في سبب تسميته برمضان أقوال كثيرة، منها ما ذكره ابن حجر الهيتمي في كتابه «إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام» أن محمد بن منصور السمعاني وأبا زكريا يحيى بن منده أخرجا في أماليهما عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إنما سُمّي رمضان، لأنه يرمض الذنوب، أي يذهبها ويحرقها».

وقد اختص الله هذا الشهر بفضائل، منها أنه شهر القرآن الكريم، فقد أنزل فيه القرآن، قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ..﴾ (البقرة: ١٨٥)، وفيه ليلة خير من ألف شهر، قال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ١-٣).

وقد فرض الله فيه الصوم، لقوله سبحانه: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ (البقرة: ١٨٥)، ولقوله تبارك اسمه: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣)، حيث يجزل الله العطاء للصائمين، كما ورد في الحديث القدسي: «كل عمل ابن

آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به. والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

والصوم جزاؤه الجنة ومغفرة لذنوب العباد كما قال ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه».

وهو شهر الصبر، فالصيام نصف الصبر كما قال ﷺ: «الصيام نصف الصبر، وعلى كل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصيام»، وقال أيضًا: «وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة».

وهو شهر النفحات الربانية، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين، فيعين الله سبحانه عباده على الصوم والعبادة والطاعة، فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا عن الرسول ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين».

وهو شهر التنزيلات والمنن الإلهية على العباد، فيجود الله سبحانه عليهم برحمته ومغفرته وعتق رقابهم، لقوله ﷺ: «أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار»، ولقوله أيضًا: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الجنان كلها، فلا يغلق منها باب واحد الشهر كله، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب واحد الشهر كله، وعلت عتاة الجن، ونادى مناد من السماء الدنيا كل ليلة: هل من مستغفر يغفر له؟ هل من تائب يتابُ عليه؟ هل من داع يستجاب له؟ هل من سائل يعطى سؤله؟ ولله تعالى عند كل فطر من شهر رمضان كل ليلة عتقاء من النار ستون ألفا، فإذا كان يوم الفطر أعتق مثل ما أعتق في جميع الشهر- ثلاثين مرة- ستين ألفًا».

وهو شهر العطايا الإلهية، ففيه تتضاعف الحسنات، والسنة فيه تعدل الفريضة فيما سواه، لقوله ﷺ: «من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كمن أدى فريضة فيما سواه». والعمرة فيه تعدل حجة مع الرسول ﷺ كما قال ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة، أو قال: حجة معي».

ولننظر إلى عظيم جُوده سبحانه وجزيل ثوابه عز وجل في قوله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب السماء فلا يُغلق منها باب حتى تخرج آخر ليلة من رمضان، وليس من عبد مؤمن يصلي في ليلة منها إلا كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة بكل سجدة، وبنى له بيتًا في الجنة من ياقوته حمراء لها ستون ألف باب، لكل باب منها قصرٌ من ذهب موشى بياقوتة حمراء».

وهو شهر التكافل الاجتماعي وتطهير النفس من داء الشح والبخل، فيشعر المسلم بأخيه المحتاج فيمد إليه يد العون والمساعدة، ويظل صومه معلقًا بين السماء والأرض حتى يؤدي زكاة الفطر كما في حديث أنس رضي الله عنه: «صيام الرجل معلق بين السماء والأرض حتى يؤدي صدقته»، فبالصدقة يتطهر الصائم من اللغو والرفث ليصعد صومه نقيًا خالصًا من أي شوائب أو أدران للمعصية، مصداقًا لحديث ابن عباس-رضي الله عنهما-: «زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات».

وكان رسول الله ﷺ أجود من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون في رمضان، فقد سئل: أي الصدقة أفضل؟ فقال: «صدقة في رمضان».

وهو شهر المواساة، ويزاد فيه رزق المؤمن كما قال ﷺ: «وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن»، وكان الرسول ﷺ يحض المسلمين على مواساة المعوزين الصائمين وإفطارهم ولو على مذقة من لبن أو تمرة أو شربة ماء.

قال ﷺ: «من فطر صائمًا كان له مغفرة من ذنوبه، وعتق رقبة من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء». قالوا: يا رسول الله، ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم؟ فقال رسول الله ﷺ: «يعطي الله تعالى هذا الثواب من فطر صائمًا على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء، ومن أشبع فيه صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة».

ورمضان شهر توحيد المشاعر، فجميع المسلمين يعزفون على أوتار إيمانية واحدة، يتسحرون في وقت محدد، ويمسكون في وقت واحد، ويصومون في وقت واحد، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ويفطرون في وقت واحد، ويلتزمون آدابًا واحدة وهي آداب الصيام وهو شهر التراحم، يجتمع الناس فيه عند الإفطار، وعند صلاة العشاء والتراويح، ويتزاورون ويتراحمون فيما بينهم، فكانوا أهلًا لأن يختصهم الله بهذه الفضائل والرحمات الربانية في هذا الشهر من دون سائر الأمم، مصداقًا لقوله ﷺ «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسًا لم يعطهن نبي قبلي: أما واحدة فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدًا، وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك، وأما الثالثة فإن الملائكة تستغفر لهم في كل يوم، وأما الرابعة فإن الله يأمر جنته فيقول لها: استعدي وتزيني لعبادي، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دار كرامتي، وأما الخامسة فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعًا». فقال رجل: أهي ليلة القدر يا رسول الله؟ قال: «لا، ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم».

فمرحبًا بك يا شهر الصيام، ومرحبًا بك يا شهر الفضائل، ويا شهر الطاعات، ويا شهر صفاء الروح وانتصار إرادة المسلم.. وهنيئًا للمسلمين بك يا شهر التنزيلات، ويا مغتسل التائبين، ويا موسم المتقين.

مخاطر الإعلام.. في شهر الصِّيام

د. عبدالصبور فاضل - عميد كلية الإعلام- جامعة الأزهر

حقّق الإعلام في السّنوات الأخيرة قفزات غيرَ مسبوقة، وأصبح هناك نوعان من وسائله، الأول: وسائل تقليدية، والآخر: وسائل جديدة جسّدتها شبكة المعلومات الدّولية التي قضت على كل الحواجز وحوّلت العالم من قرية صغيرة إلى غرفة متناهية الصّغر، ولكنّ يتفاوت تأثير هذه الوسائل من وسيلة إلى أخرى بحيث يمكن القول أنّ أكثر هذه الوسائل تأثيرًا هي الفضائيات بمختلف أنواعها وشبكة الإنترنت بمُغْرياتها وخصائصها المتعدّدة، والأُسْرةُ عندنا هي أهمُّ عناصر بناء المجتمع والحضارة الإسلاميّة،، ويُساندها في تحقيق هذا الدّور الفعّال ما يُؤدّيه الإعلامُ من دَورٍ إيجابيٍّ أو سلبيٍّ يؤثّر بشكلٍ مباشر على تشكيل الحياة المعاصرة بكلّ عناصرها ومؤسّساتها، ويَزيد من أهمّيّته «ثورة المعلومات والاتّصالات»، التي باتتْ تُشكّل الوعيَ العامّ لأمتنا في جميع المناحي، ممّا يُحتّم على كثير من وسائل إعلامنا- والفضائيات بشكلٍ خاصّ- مراجعةَ خُططها وبَرامجها؛ لتتواكَبَ مع ثورة المعلومات باعتبارها

شريكًا في عملية التّنشئة الاجتماعيّة.
ولا يخفى على أحد تزايد تأثير دور وسائل الإعلام ووسائل التكنولوجيا الحديثة السّلبيّ، وخاصّة مع الانفتاح على ثقافة غير المسلمين التي أتاحتها وسائل التقنية الحديثة في ظلّ عدم وجود أيّ نوع من الرقابة على كثير من وسائل الإعلام، وهو ما جعل الأسرة تتعرّض لأخطار متتالية سوف تزداد بمرور الوقت وتتفاقم ما لم تجد حلولاً عاجلة لأنّ دور الإعلام أصبح طاغيًا، وكذلك الاختراق الثقافي والقيمي لمجتمعنا القوميّ من خلاله، الأمر الذي أدّى إلى تبديد منظومة القيم والمعاني الأسريّة، ونشر قيم ومعانٍ غريبة مُضادة لثقافتنا، تعمل على تبديد

ضعف الإنتاج المحلي والاعتماد على الأجنبي.. خطر كبير!

الفضائيات.. تتعمد تجاهل توصيات المؤتمرات

هُويّتنا، بالإضافة إلى نَشْر سلوكيات منحرفة، أدّت إلى التّفكّك الأسريّ، وتمزيق النّسيج الاجتماعيّ، كما أنّه عمد إلى نشر الثّقافة الاستهلاكيّة.

وتزداد خطورة وسائل الإعلام في المجتمعات الإسلامية خلال شهر رمضان المبارك، ورغم الكتابات والمناشدات وتوصيات المؤتمرات وورش العمل المتكررة سنويًّا والتي تطالب هذه الوسائل بمراعاة مكانة الصيام وشعور الصائمين وروحانية الشهر الفضيل، فإنّ القائمين على كثير من وسائل إعلامنا «لا يُبَيّتون نيّةً للتغيير الإيجابي نحوَ مزيد من المحافظة، والعودة إلى القيَم الإسلامية فيما يُطرَح ويُقدّم من موادّ إعلامية؛ فالإسفاف يزداد بشكل ممنهَج، ويواصل اختراقه لدركات الانحطاط الإعلامي، في ظلّ غياب مواثيق الشّرَف الإعلامي عن سدّة القيادة، الأمر الذي أحال سُوقنا الإعلاميّة إلى ساحة مفتوحة لا سُلطةَ فيها؛ يُنشَر فيها كلّ صادر وَوارد، من أمريكا والهند، وشرق آسيا وروسيا، وتركيا وفرنسا وغيرها» .
وقد صار التّخصّص في إعلامنا سِمَةً

بارزة اليوم، فمَع كمّ الإنتاج الرهيب وكَيْفه، وتعدُّد مصَادره الأميركيّة والهندية، والتركية والفارسية، والمكسيكية وغيرها، صار أربابُ القنوات يَلْجأون إلى افتتاح المزيد منها، على شكل قنوات متخصّصة في «السينما والتمثيل»؛ تلبيةً لرغَبات الجمهور المخدّر، ومع كلّ قناة ينزل مستوى التحفُّظ، ويهوي مؤشّر الأخلاق، فضلًا عن الإفساد العَقَدي والثقافي المنظّم.

والمعروف أنّ الإنتاج التلفزيوني في العالم العربي قليل جدًّا، ولذلك تعتمد غالبية قنواتنا على المنتج الأجنبي من أفلام ومسلسلات وغيرها وهي تحوي من الخطورة ما تحوي بحكم سيطرة اليهود على معظمها في العالم.

فمن الشبكات التلفزيونية المهمّة التي تسيطر عليها الصّهيونية في أميركا: شبكة «إن بي سي» التي تأسست عام (١٩٢٦)، وهي تُهيمنُ على (٢٠٠) محطة بَثّ تلفزيونية مَحليّة، و(٢٩٩) محطة للبثّ الإذاعي، ويتكون معظم كادرها من اليهود، وهناك شبكة «سي بي إس» التي تُعدُّ من أقوى الشبكات التلفزيونية الأميركية، ويصل نفوذها إلى كندا وأوربا وأستراليا ونيوزلندا، حيث تأسست عام (١٩٢٧)، وتسيطر على أكثر من (٣٠٠) محطة للبثّ الإذاعي، وأكثر من (٢٠٠) محطة تلفزيونية، ويديرها الرئيس التنفيذي اليهودي «توماس وايمان»، أما شركة «بي بي إس»، فهي شبكة للإذاعة والتلفزيون ترتبط بها (٢٠٠) محطة في (٤٣) ولاية أميركية، ويرأسها اليهودي «فرانك مانكي ديلس»، إضافة إلى أبرز الشبكات الإخبارية، وهي «سي إن إن»، وشبكة «فوكس» لميردوخ اليهودي.

إنّ نفوذ اليهود الصهاينة وسيطرتهم على وسائل الإعلام الأميركية تَفُوقُ كل تصور، حيث يسيطرون على أغلب دور النشر والإنتاج السينمائي والمكتبات العامة... إلخ. وإلى جانب سيطرة الصهاينة على أهم وسائل الإعلام في الغرب، فإنهم استطاعوا أن يؤسّسوا مؤسسات إعلامية في إسرائيل لا

«الإندبندنت»..
تدافع عن الإسلام في مواجهة فضائية عربية!

عرض نماذج إسلامية رائدة في كل المجالات تخلق القدوة لدى الأجيال

مطلوب الاستفادة من تجارب الدول في الإنجازات المتقدمة

الترفيه قيمة إسلامية.. ولكن بشروط

تقلُّ أهميتها وخطورتها عن الوسائل الإعلامية التي تحدّثنا عنها آنفًا.

إنّ امتلاك وسائل الإعلام والسّيطرة عليها، شأنه شأن أشكال الملكيّة الأخرى، متاح لمن يملكون رأس المال، والنتيجة الحتمية لذلك هي أنْ تُصبحَ محطات الإذاعة، وشبكات التلفزيون والصحف والمجلات، وصناعة السينما ودور النشر مملوكةً جميعًا لمجموعة من المؤسسات المشتركة والتكتّلات الإعلامية، وهكذا يصبح الجهاز الإعلامي جاهزًا تمامًا للاضطلاع بدور فعّال وحاسم في عملية التضليل.

جهاز مُضلِّل

ولاشكّ أنّ الجهاز الإعلامي الصهيوني أكبر مضلِّل وأعظم متلاعب بالعقول في هذا العصر، ويكفينا برهانًا على ذلك ما نقرأه من مقالات على صفحات الصحف والمجلات الغربية التي تزكي أطروحة «صراع الحضارات» التي تحدث عنها «صامويل هنتنجتون» في كتبه كثيرًا، وتنظر إلى الإسلام باعتباره دينَ التخلف وعدوّ الحضارة، كما نجد في السينما الغربية التي تُصورُ الإنسان المسلم بأبشع الصور، وتصفه بأقذر الصّفات - أعظم دليل على التضليل والتدمير الإعلامي الذي تمارسه الأجهزة الصهيونية المسيطرة على السياسة الإعلامية الدولية.

فأين إعلامنا الإسلامي من هذا التقدم الذي حازه الإعلام الصهيوني على مستويات عدة؟! وأين أمّة الإعلام من الإعلام؟! متى نمتلك أسلحة العصر ونلتحق بالركب الحضاري؟! ألم يَحن الوقت بعدُ لنُسمعَ العالم صوت الحق؟! إن لم يكن ذلك اليوم فمتى؟! يجب علينا كأمّة إسلامية ونحن على عتبات الشهر الكريم أنْ نجعله بداية الانطلاقة الكبرى وأنْ نسعى إلى خلق مؤسسات إعلامية مقاومة ومجاهدة بالمفهوم الواسع والشامل، تتبنى المواجهة الإيمانية والعقلانية على جميع الجبهات، وتقف سدًّا منيعًا ضدّ تسرب أي شكل من أشكال التطبيع والغزو الثقافي أو الاقتصادي، اللذين يمهدان للغزو العسكري الاستدماري، وهذا لا يتأتّى إلا بوجود إرادة صادقة، وعزيمة قوية، واتحاد كلمة الأمة، وتكاتف جهودها، رجال الأعمال بتمويلهم، والعلماء بعلمهم، والإعلاميون بأقلامهم وآلاتهم ومنابرهم، والعُمّال بسواعدهم، والشباب بحيويّتهم وطاقاتهم، والشيوخ بتجاربهم ونصائحهم، كلٌّ يعمل على شاكلته.

وإذا كان في رمضان تُصفّد الشياطين، إلا أنّها في وسائل الإعلام في كثير من الدول الإسلامية، تتنادى وتجتمع لتُقيم الأفراح والليالي الملاح، وتلعب بالأهواء وتلهب الشهوات وتفتح الباب على مصراعيه للتسيب والتحلل والرذيلة.

رمضان.. نهضة شاملة

علاء الدين حسن - كاتب صحفي

ما خلق الله- سبحانه وتعالى- شيئًا في هذا الكون عبثًا، ولا فرض الله- سبحانه- على العباد فريضة سُدى، وما حرم الله- جل وعلا- شيئًا إلا لحكمة بالغة، ولا أمر بفعل شيء إلا لمصلحة شاملة، ذلك أن شريعة الله- عز وجل- لها من المقاصد ما يصلح حياة الإنسان في دنياه، ويضمن له الهناء في معاده.

فالصلاة في طياتها من الحكم ما يتم به ربط الإنسان المؤمن بربه، وما يؤدي إلى إصلاح الذات، يتم ذلك عن طريق مراقبة الله بذكره في كل الأوقات.

وشأن الصيام كشأن الصلاة، فقد فرض الله الصيام على عباده المؤمنين، وكان المقصد الأساس هو تقوى الله عز وجل.

فإذا صمت مخلصًا، وإذا ما علمك الصيام التقوى في أعمالك وأقوالك، فاعلم أن ثواب الصيام سيكون كبيرًا، وهاهو رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يصوم يومًا في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا» (رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري- ك الصيام- حديث رقم ٢٧٦٧).

فشهر رمضان شهر التقوى، شهر أنزل الله فيه القرآن، فيه تتلى وترتل آيات القرآن، فيه تفسر وتفهم معاني القرآن، فيه تتلألأ المجالس على مائدة القرآن.

ومن مقاصد هذا الشهر الكريم أنه يحيي وقدة الإيمان في قلب المؤمن، ويبعثها حية من جديد، مهما خبت تحت رماد الغفلة والتفريط.

ومن مقاصد الصيام أيضًا الانضباط في السلوك، مما يجعل الإنسان خلال يومه وليلته خاضعًا لضوابط الشرع

الحكيم، فلا يتصرف في ضروريات جسده إلا بنظام.

إن الصيام على الدوام عبادة
وسقاية في الخلد من ريّان
خير الليالي منحة من فيضه
والبدر نصر في مدى الأزمان
فيه ملائكة السماء تنزلت
فتحقق العلياء للشجعان

تحرر فانطلاق

وشهر رمضان- من الناحية النفسية- يتميز بزلزلة السكون الملتصق بالطين، على أمل إطلاق الروح لتمضي في طريقها إلى العالم العلوي، لتقف في حضرة الإله وتعود بقبس من نوره تستعين به على ظلمات الأرض، وتستشعر في ذلك اطمئنانًا لم تتذوقه الحواس من قبل.

وهاهنا يواصل القلب الرحلة في سموات اليقين والوجدانات والوجد، ثم يسلم القياد للروح التي تنطلق سابحة في نور تحده حدود، متجاورة آفاق اللغات، لتتلقى الحكمة الإلهية والنور الرباني بلا وسائط، هذه الإشراقة وحدها تحرك الجوارح لتقوم الليل وتهجر النوم، وتستيقظ في فجر وسيم مترع بعبق الإيمان الذي يسبق نور الصباح.

رمضان كون نوراني يدور في سماء الصائم مولدا فيه أضواً الخواطر، وأنزه الأفكار.

ورمضان يرتقي بالنفوس البشرية إلى مصاف الملائكة المقربين.

وفي رمضان تعمر المساجد، فيغدو الصائمون إليها جماعات، حيث أمنُهم من الزلل، ورجاؤهم في الله، وهم كذلك يروحون منها وقد وقر في نفوسهم حب الخيرات: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨).

والمؤمن في رمضان جواد كريم، وقدوته رسول الله ﷺ، فقد كان ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وفي الجود فك الكربات، وسد الحاجات، وعون على النائبات، واستجابة إلى ما يحيي النفوس ويجدد إيمانها.

ورسول الله ﷺ يخطط لهذا الخلق تخطيطًا سليمًا يقوم عليه نظام الجماعة، وكفالة الأفراد، ورسول الله ﷺ يفعل بالقدوة الحسنة ما يحمل أصحاب الأموال على الجود والسخاء، ليبني الإنسانية على عُمُد من الرحمة والائتلاف والإحسان، ولينهض بها من كبوات الشح والبخل والحرص، إلى ذروة الجود والكرم والمعروف، وما الله بخاذل رسوله، لأنه كان يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويعين على نوائب الدهر.

وفي رمضان.. القلوب على الحب مقبلة، والصدور للخير منشرحة، والركب نحو الخير سائر، والجماعة في اتجاه التقوى منطلقة، والمشمرون الجادون متوفرون، تمتلئ بهم المساجد والجوامع، وتتلقاهم مواطن الطاعات، فطوبى لمن أوى إلى ربه، وصدق في الرغبة إليه.

مقاصد أخر

ومن مقاصد الصيام أيضا أنه يقوي الإرادة والعزيمة، وقد أدرك السابقون الأولون مقاصد وأهداف الصيام والقيام.

لقد صامت قلوبهم فامتلأت بنور الله، وتسامت وتعلقت بما عند الله.. فهل صامت قلوبنا؟

وصامت آذانهم عما يغضب الله، فما سمعوا كلامًا منكرًا ولا لغوًا ولا رفثًا ولا فجورًا.. فهل صامت آذاننا؟

وصامت أعينهم عما لا يرضي الله، فغضت عن محارم الله، وكثيرًا ما بكت من خشية الله.. فهل صامت أبصارنا؟

وصامت ألسنتهم فاشتغلت بتلاوة القرآن، وتركت الكذب والزور والفحش والبهتان.. فهل صامت ألسنتنا؟

وصامت أيديهم عما حرم الله فما غشت ولا دلست، ما نقصت ولا طففت، وما سرقت ولا زورت.. فهل صامت أيدينا؟

وصامت أنفسهم فأقبلت على الصيام والقيام، عرفوا مكانة مجالس العلم فحفتهم الملائكة، وعرفوا قيمة الجود والسخاء في شهر القرآن، فأكثروا من العطاء والبذل والإحسان.. فهل صامت أنفسنا؟

لقد وعوا حقيقة الصيام، فكان شهر رمضان عندهم غنيمة يتسابقون لنيل أكبر قدر من الثواب والأجر العظيم، قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه - حديث رقم ١١٥٣).

وفي الحديث القدسي الجليل: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به» (رواه البخاري في الصوم عن أبي هريرة- ح رقم ١٩٠٤).

والصوم لا يؤتي ثماره إلا بترك ما قد حرم الله.

قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري في الصوم عن أبي هريرة برقم ١٩٠٣).

وقال ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث...) (جزء من حديث رواه البيهقي والحاكم بسند صحيح).

وقال: «رب صائم ليس من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس من قيامه إلا السهر» (رواه ابن ماجه في الصيام عن أبي هريرة برقم ١٧٦٠).

وشهر رمضان حافل بالأحداث الكبيرة، ففيه نصر الله المؤمنين على المشركين في معركة فاصلة حاسمة بين الحق والباطل ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣).

وفي رمضان من السنة الثامنة لهجرة الرسول الكريم، فُتحت مكة المكرمة، وفي شهر رمضان ليلة القدر المباركة التي هي خير من ألف شهر.. ولله در القائل:

إنه الصّومُ الّذي أوصَى به
رحمةً بالنّاسِ ربُّ الحكمَاءْ

همة عالية وثبات قلب

منى السعيد الشريف - ناشطة تربوية

قديما قالوا إن الفرصة لا تأتي في العمر إلا مرة واحدة، فطوبي لمن استغلها، ورغم أن لهذا الكلام بعض المآخذ، إلا أنه ينطوي في ذات الأمر على بعض الفوائد، فالفرص في حياة الإنسان عامة متعددة ومتنوعة، وفي حياة المسلم أكثر تعددًا وتنوعًا، والسعيد من استثمر رصيد فرصه في النافع، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الأماني.

إن عمر الإنسان نفسه أعظم فرصة، وما المرء إلا أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضه، وأغلى ما يسعى فيه المرء أن يعتق نفسه التي بين جنبيه من النار ومن غضب الجبار.. تلك هي رسالة المسلم النبيلة، التي كرس لها كل جوارحه وأوقاته، فعمر الأرض وعمر لحظاته كلها فيما يرضي الله تعالى.

وما رمضان في حياة المسلم إلا فرصة سنوية ثمينة، يغتسل فيها من الذنوب، وينسجم مع فطرته في الإنابة إلى الواحد الأحد، فأنس النفس الحقيقي أن تلجأ إلى كنف الله تعالى، حيث يقول ﷺ: «اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل» (أبو داود وأحمد).

قال المناوي: «اللّهم أنت عضدي أي معتمدي، قال القاضي: العضد ما يعتمد عليه ويثق به المرء في الحرب وغيره من الأمور «وأنت نصيري، بك أحول» قال الزمخشري: من حال يحول بمعنى احتال، والمراد كيد العدو، أو من حال بمعنى تحول، وقيل أدفع وأمنع، من حال بين الشيئين إذا منع أحدهما عن الآخر «وبك أصول» أي أقهر. قال القاضي: والصول الحمل على العدو، ومنه الصائل «وبك أقاتل» عدوك وعدوي. قال الطيبي: والعضد كناية عما يعتمد عليه ويثق المرء به في الخيرات ونحوها وغيرها من القوة .

كيف تفوتك الفرصة الرمضانية؟!

فلتشحذ الهمة، وتأخذ الأهبة لنيل بركات هذا الشهر الكريم.. ألا يسرك أن تكون من أهل باب الريان، ومن أهل العتق من النيران، ومن أهل جنة الرضوان، ومن أتباع هدي النبي العدنان.. كيف الفتور وقد سلسلت الشياطين، وغلقت أبواب الجحيم؟! وكيف التقاعس والرحمن قد منح الأمة ليلة القدر، وتكفل بجزاء الصوم؟! لا تستصغر همتك، ولا يهولنك مظهر الجوع والعطش، فإن من وراء الأكمة الخير الجزيل.

كتب العالم الحجة، عالم الجزيرة ومفتيها «ميمون بن مهران» إلى عمر بن عبدالعزيز- رحمه الله: إني شيخ رقيق، كلفتني أن أقضي بين الناس، وكان على الخراج والقضاء بالجزيرة. فكتب إليه: إني لم أكلفك ما يعنيك، اجب الطيب من الخراج، واقض بما استبان لك، فإذا لبس عليك شيء، فارفعه إلي، فإن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه، لم يقم دين ولا دنيا.

صاحب الهمة العالية يذلل الصعاب من خلال النظر إلى حسن العاقبة، فالفتور غير موجود في قاموسه الفكري والشعوري، فهو يتعامل مع الصعاب كواقع، الجوع والظمأ لا يقيد حركته، ولا يجعله واقفًا جامدًا مكانه، لأن همته العالية تسمو به إلى آمال وآفاق كبيرة وبعيدة، وينظر من خلال همته دائمًا إلى منح الله في أوامره.

ولقد كان من هدي علماء السلف أنهم كانوا إذا جاء شهر رمضان، يتركون العلم، ويتفرغون لقراءة القرآن، حتى قال بعضهم: «إنما هما شيئان: القرآن والصدقة». وكان الإمام الزهري- رحمه الله تعالى- كذلك. وكذلك كان الإمام مالك، وهو ممن اشتهرت منزلته وقيمته واهتمامه بحديث رسول الله ﷺ وتعظيمه له، حتى إنه كان لا يحدثهم إلا وهو على وضوء ويبكي ويتخشع، وكان يقدّر ويُجل حديث رسول الله ﷺ؛ ومع ذلك كان إذا دخل رمضان، لم يشتغل بالحديث بل يترك الحديث ويقبل على القرآن، وكذلك كان سفيان الثوري رضي الله عنه.

وقد تفتر النفس في الاستمرار على العمل الصالح والمداومة عليه، ولمعالجة هذا الداء لابد من العزيمة الصادقة على لزوم العمل والمداومة عليه، أيًا كانت الظروف والأحوال، وهذا يستلزم نبذ العجز والكسل والدعة والخمول، وإذا كان الإنسان يكره الموت الذي فيه انقطاع حياته، ويكره الهرم الذي فيه انهيار شبابه وقوته، ألا يدرك أن هناك أمرًا- لربما كان أشد منهما- وهو العجز والكسل، وضعف الهمة والتراخي، والتسويف وركوب بحر التمني، مما يقعده عن كل عمل صالح، ويثبطه عن كل برٍّ وطاعة.

وقد كانت حياة السلف، رحمهم الله، معمورة بطاعة الله حتى يلقوا ربهم، وأقوالهم وأحوالهم في ذلك كثيرة، قال ميمون بن مهران: «لا خير في الحياة إلا لتائب، أو رجل يعمل في الدرجات، ومن عداهما فخاسر».

وقال بعضهم يحكي حالهم: «كانوا يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالأمس»، يريد أنهم كانوا لا يرضون كل يوم إلا بالزيادة من عمل الخير.

وفي الترمذي عنه ﷺ، أنه سئل: أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله» قيل: فأي الناس شر؟ قال: «من طال عمره وساء عمله» (صحيح الترمذي).

وبكى معاذ رضي الله عنه عند موته وقال: «اللهم إني لم أحب البقاء في الدنيا لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، إنما أبكي لظمأ الهواجر وقيام الليالي

المظلمة، ومزاحمة العلماء بالركب، ومجالسة أناس ينتقون أطايب الكلام، كما ينتقى أطايب الثمر».

وقال أحد الصالحين عند موته: «إنما أبكي على أن يصلي المصلون ولست فيهم، وأن يصوم الصائمون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم».

فما أعظم الانتكاسة بعد الطاعة، وما أقبح العود إلى الغفلة بعد الذكرى والموعظة، وقد كان من دعائه ﷺ: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك» (صحيح الترمذي)، ومن دعائه أيضا: «اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور» (صحيح النسائي).

إن لإدمان المداومة على الأعمال الصالحة آثارًا حميدة منها: دوام اتصال القلب بخالقه وبارئه، مما يعطيه قوة وثباتا، وتعلقا بالله عز وجل، وتوكلا عليه، ومن ثم يكفيه همه، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣)، ومن الآثار كذلك: تعاهد النفس عن الغفلة، وترويضها على لزوم الخيرات، حتى تسهل عليها فلا تكاد تنفك عنها رغبة فيها، وقد قيل: «نفسك إن لم تشغلها بالطاعة، شغلتك بالمعصية».

إن التوكل الحق قرين الجهد المضيء والإرادة المصممة وليس العجز والكسل، ولم ينفرد التوكل عن القوة والحزم إلى الضعف والتواكل إلا في العصور التي مسخ فيها الإسلام وأصبح بين أتباعه لهوا ولعبا.

وقد استعاذ عمر بن الخطاب- فاروق الإسلام- من الخور الذي ينتاب المسلمين في دعائه المشهور: «اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة»، ففاجر مصابر وتقي منهار مصيبة؛ لأن الفاجر الفاتك النشيط شيطان مريد، والتقي الخامل العاجز المقصر؛ جبان رعديد، والإسلام يريد رجلًا قويًّا حازمًا بصيرًا.

إن الإنسان كلما حقق من الإيمان والفاعلية، ارتفعت قيمة حياته لتنال السعادة والنجاح ورضا الله في الدنيا وسكنى الجنان في الآخرة، والعكس صحيح أيضًا.. فكلما قل نصيب الإنسان من الإيمان والفاعلية ضاعت قيمة حياته فعاش تعيسًا فاشلًا في الدنيا وباء بالخسران في الآخرة.

نحن أمة رمضان شهر الفاعلية.. فلقد أوجب الله تعالى على أفراد هذه الأمة أن يكونوا على قمة هرم الإنجاز والفاعلية حتى تستطيع الأمة أن تقوم بعبء هذه الأمانة الثقيلة.

ولعل ذلك هو سر حرص النبي ﷺ على أن يزرع في أصحابه حب الإنجاز والعمل، وكراهية العجز والبطالة والكسل، فكان ﷺ يعلمهم أن يقولوا في كل صباح ومساء: «...وأعوذ بك من العجز والكسل» (البخاري).

ومنهج الإسلام يحوي في ثناياه كل عوامل الإنجاز والفاعلية في تفرد ليس له نظير بين المناهج الأرضية، يقول «بريفولت» في أحد كتبه الشهيرة، وهو كتاب «بناء الإنسانية»: «إن ما يدين به علمنا للعرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل ندين لهم بوجوده نفسه، فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود.

الإفراط.. خطر محقق!

أماني عبدالراضي وبشرى شاكر- القاهرة - دار الإعلام العربية

أظهرت دراسة علمية حديثة أن هناك علاقة وثيقة بين الإفراط في تناول الطعام وضعف وتراجع الذاكرة.. كما توصلت إلى أن الإصابة بأمراض الذاكرة والزهايمر ارتفعت للضِّعف لدى الأشخاص الذين يتناولون سعرات حرارية عالية مقارنة بمن يتناولون سعرات أقل.. وكشفت أنه كلما زادت السعرات الحرارية الداخلة للجسم زادت فرص الإصابة بأمراض الذاكرة والزهايمر، كما أن المسنين الذين يستهلكون مزيدًا من السعرات الحرارية يوميًا تزيد لديهم مخاطر الإصابة بنوع من فقدان الذاكرة يسمى ضعف الإدراك المعرفي الخفيف..

«الوعي الإسلامي» طرحت الدراسة على عدد من المختصين وجاءتكم بالتفاصيل..

نبدأ مع خبير علاج السمنة وعضو الشبكة الدولية لإذابة الدهون د.أيمن بدراوي، الذي أكد وجود علاقة بين الإفراط في تناول الطعام وضعف الذاكرة، لما يسببه من زيادة نسبة الدهون والدهون الثلاثية في الدم، والتي تترسب على الأوعية الدموية وتؤدي إلى تصلب الشرايين، ما يؤثر في المخ ويؤدي إلى ضعف الذاكرة والإصابة بأمراض المخ الأخرى.

وأضاف: إن السمنة والإفراط في تناول الطعام تؤدي إلى حدوث كثير من المشكلات الصحية منها أمراض القلب والأوعية الدموية، وارتفاع ضغط الدم ومرض السكر وارتفاع الكوليسترول،

وكذا أمراض المفاصل خصوصًا مفاصل الركبة، وتأخر الحمل وجعل النساء أكثر عرضة لسرطان الثدي والرحم والقولون.

وأشار د.أيمن إلى أن هناك أسبابًا كثيرة لانتشار السمنة في العالم، منها قلة الحركة وعدم ممارسة الرياضة، وقضاء أوقات طويلة في التعامل مع الحاسوب والإنترنت، وبالطبع انتشار ثقافة الوجبات السريعة المضرة جدًا بصحة الإنسان.

ونصح بضرورة اتباع نظام غذائي سليم ومتوازن وصحي يحتوي بنسبة كبيرة على الخضروات الطازجة والفاكهة، ونسبة قلية من الدهون والكربوهيدرات والبروتينات، بالإضافة إلى ضرورة ممارسة الرياضة لتنشيط الجسم، والامتناع عن الوجبات السريعة.

مشكلات عديدة

بدوره، أكد د.نشأت شوقي أستاذ جراحة المخ والأعصاب، أن الإفراط في تناول الطعام يؤدي بالفعل إلى إضعاف الذاكرة، مبررًا ذلك بأنه يتسبب في العديد من المشكلات منها زيادة نسبة الدهون التي تدخل الجسم وتترسب في الشرايين، ومن ثم تحدُّ من كمية الدم الذي يصل إلى المخ، مما يؤثر في الوظائف التي يؤديها المخ، فيؤثر في الذاكرة ويقلل من كفاءتها.

وأشار إلى أن هناك العديد من الأضرار المرتبطة بالإفراط في تناول الطعام تؤدي إلى حدوث جلطات وشلل نصفي نتيجة ارتفاع ضغط الدم وزيادة نسبة الكوليسترول، إضافة إلى تراجع وضعف الذاكرة وخاصة فيما بعد سن الأربعين.

أسباب الإفراط

وفي سياق متصل، أكد د.عمرو عبدالوهاب، أستاذ أمراض الباطنة، أن الإفراط في تناول الطعام يسبب العديد من الأضرار على المعدة منها الارتجاع المريئي، ما يؤدي

د. عبدالرحمن عطية: أمراض القلب والقولون والأوعية الدموية والضغط أبرز المخاطر

إلى حدوث حموضة شديدة بعد الأكل، أيضًا حدوث سمنة وبدانة تضر جسم الإنسان وتؤثر في أدائه ووظائفه الحيوية، بالإضافة إلى مشكلات القلب مثل هبوط عضلة القلب.

وأوضح أن هناك نوعيات معينة من الأطعمة مثل الدهون والسكريات تؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم وأمراض السكر والأوعية الدموية، فتتصلب الشرايين، ما يؤدي إلى حدوث جلطات في المخ

والقلب، وكذا مرض الكبد الدهني الذي يؤدي على المدى الطويل إلى تليف الكبد.

وأشار إلى أن هناك سببين لزيادة الإفراط في تناول الطعام، أولهما نفسي فيكون الإنسان في حالة نفسية سيئة ومكتئبًا فيتحول إلى تناول الطعام بشراهة، أما السبب الثاني فهو وجود اضطراب في مركز تناول الطعام والشبع في المخ يؤدي إلى الإفراط في تناول الطعام.

د. أشرف رياض: الدهون المشبعة والمقليات تضر بالقلب والشرايين وتؤثر في المخ

تقنين الكميات

بينما أشار د.أشرف رياض، استشاري القلب والأمراض الباطنة بجامعة القاهرة، إلى أن الإنسان البالغ لابد أن يقنن كمية ونوعية الطعام التي يتناولها، موضحًا أن كمية الطعام المحددة تختلف للرجال عنها للنساء، كذلك بالنسبة إلى المجهود العضلي والذهني الذي يقوم به الفرد، فلابد لكل إنسان أن يقنن كمية السعرات الحرارية الداخلة للجسم مع كمية الأطعمة ونوعيتها.

وأوضح أن الإفراط في الطعام وتناول الأغذية ذات الدهون المشبعة مثل البيض والسمن واللحوم كثيرة الدهون، ترفع كمية الكوليسترول والدهون الثلاثية وخاصة عند الرجال، الأمر الذي يجعلهم أكثر عرضة للإصابة بأمراض القلب المختلفة كالذبحة الصدرية والجلطات، وهذا الأمر يقل في النساء؛ لأنهن يمتلكن هرمونات خاصة تقيهن من هذه الأمراض.

وأضاف أن الإفراط يصيب أيضًا بعسر الهضم وأمراض القولون المختلفة، وكثيرًا ما يحدث الانتفاخ والشعور بالغثيان والقيء وعدم الارتياح بعد تناول الأطعمة.. لذلك ينصح بتناول كمية محدودة ومتنوعة المصادر من الطعام مثل المواد البروتينية والكربوهيدراتية.. كما ينصح بتناول الخضروات لما لها من فوائد وسرعة في الهضم، إضافة إلى أنها خفيفة على الجهاز الهضمي.

وأكد أن السمنة أصبحت من أمراض العصر، ولم تعد قاصرة على كبار السن، بل تسللت إلى صغار السن بكثرة؛ نظرًا لتناول أطعمة غير صحية، وانتشار الوجبات السريعة الممتلئة بالدهون المشبعة التي يقبل عليها الشباب والأطفال صغار السن متأثرين بالإعلانات الدعائية لهذه الأطعمة شديدة الضرر.

وأكد على ضرورة الابتعاد عن تناول المقليات والدهون؛ لأنها تضر القلب والشرايين وتؤثر في المخ، ونصح

بضرورة تناول السلطة والخضروات الورقية لما لها من فوائد صحية إضافة إلى أنها غنية بالحديد.

أداء المخ

أما د.عبدالرحمن عطية، رئيس قسم التغذية وعلوم الأطعمة بجامعة حلوان، فأكد أن الإفراط في تناول الطعام بالفعل يؤثر في أداء المخ والذاكرة، ويسبب عدم تنشيط الدورة الدموية وقلة حركاتها، كما يؤثر في الألياف العصبية لدى الإنسان، ما يؤثر بدوره في أداء وظائف المخ كلية.

وأضاف أن هناك العديد من الأمراض التي تحدث نتيجة الإفراط في الأكل ومنها حدوث اضطراب معوي، وعسر هضم للمواد الغذائية، حيث إن الإفراط في الطعام يكون أكبر من كفاءة المعدة على الهضم، ومن ثم يحدث إمساك وانتفاخ وعسر مزاج.

وحذر د.عبدالرحمن من الإسراف في تناول الدهون المشبعة والمقليات، مؤكدًا أنها تحتوي على مواد سامة تؤثر في صحة الإنسان وتؤدي إلى تصلب الشرايين وحدوث جلطات المخ والقلب والذبحة الصدرية، كما نصح بضرورة الابتعاد عن السكريات؛ لأنها تؤدي إلى الإصابة بمرض السكر وارتفاع ضغط الدم، داعيًا إلى أن يتناول الإنسان وجبة غذائية متكاملة تحتوي على خمس عناصر غذائية تتضمن البروتين والدهون والكربوهيدرات والفيتامينات والأملاح المعدنية.

ويؤكد العلم الحديث أن جسم الإنسان يحوي من السموم والمعادن كمية هائلة، ويشير الأطباء إلى أنه فقط من المياه التي نشربها يلج الى جسمنا أكثر من مائتي كيلو جرام من المعادن والمواد السامة، هذا عدا الهواء الذي نستنشقه والذي يملأ رئتينا بثاني أكسيد الكربون والكبريت والرصاص.

هاته السموم والمعادن لا يمكن للجسم التخلص منها دون آلية ما، ولا يمكنه امتصاصها مما قد يؤدي لضعف في النشاط العام للخلايا وبالتالي الشعور بالوهن والضعف والبطء في التفكير، ولذلك فإن الآلية الأمثل للتخلص من هاته السموم هي الصوم فهو ينظف الخلايا منها ويطرح هاته السموم ويزيد مفعول الصيام خاصة إن كان منتظمًا ودوريًا، وبصيام شهر رمضان بأكمله وبنفس المساحة الزمنية يتحول هذا الصيام إلى آلية ميكانيكية يتعود عليها الجسم لطرح السموم خارج الخلايا.

د. نشأت شوقي: صلة قوية بين الإفراط في تناول الطعام وضعف الذاكرة

د. عمرو عبدالوهاب: يتسبب في اضطراب مركز التناول والشبع في المخ

كما أن المدخن الذي يصوم بانتظام يساعد جسمه على التخلص من سموم السجائر ويكون أكثر قدرة على الإقلاع عن التدخين من غيره.

وقد أكدت دراسات معاصرة أيضا أن الصيام يعالج مرض العصر الآن وهو البدانة التي تؤدي بدورها إلى أمراض عدة منها ارتفاع ضغط الدم والسكري والكولسترول وأيضا تكون سببا في أمراض العمود الفقري.

كما أن أعتى الأمراض الشائعة في المجتمع الغربي الآن والتي تصيب المسلمين بنسبة أقل وهو مرض الزهايمر، فوفقا لدراسة أجراها معهد أمراض الشيخوخة بولاية «بالتمور» الأميركية، تأكد أن الصيام لفترات منتظمة يحمي الدماغ من جل الأمراض التي يمكن أن تؤثر على وظائفه مثل أمراض الزهايمر والرعاش والشلل الدماغي، وهناك نوعان من الخلايا العصبية يزيد نموها أثناء الصيام مما يؤدي إلى نقص في السعرات الحرارية، وبالتالي تتصدى هذه الخلايا للأمراض سالفة الذكر.

كما أن معهد «انترمونتين ميديكال» في مدينة «موراي» الأميركية سبق أن أجرى بحثًا على نحو ٢٠٠ شخص بصحة جيدة طلب منهم الصيام لمدة ٢٤ ساعة فتبين أن نسبة الكولسترول ترتفع في الدم فيستعمل الجسم مخزون الخلايا الدهنية كمصدر حراري عوضًا عن الجلوكوز مما ينجم عنه نقص خلايا الدهن في الجسم وبالتالي يقل خطر مقاومة الأنسولين والتعرض لمرض السكري.

كما أن دراسة أخرى أجريت سنة ٢٠٠٨، على طائفة «المورمون» التي تصوم بانتظام، أوجدت أن خطر تعرض أفرادها للإصابة بأمراض القلب والشرايين وكذا السكتات الدماغية عند الذين يصومون أقل من النصف عند الذين لا يصومون بتاتًا، وأعيدت حديثًا الدراسة نفسها ولكن على المسلمين وتبين أن أفضل صيام هو ما يقوم به المسلمون حيث وصف الأطباء الأميركيون للمرضى هذا النوع من الصيام إذ تبين أن أفضل الصيام هو الذي تتخلى فيه عن الوجبتين الأساسيتين في الصباح وإلى الغروب أي الإفطار والغذاء، وهو صيام المسلمين نفسه الذي يبدأ من الفجر إلى الغروب، كما أكد هؤلاء الباحثون الأميركيون أن أفضل الصيام سنويًا هو صيام يومين في الأسبوع، وهنا يتجلى إعجاز آخر وهو صيام يومي الاثنين والخميس، وقد روى ابن ماجه والترمذي والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قولها: «إن النبي ﷺ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس».

سبب في كثير من المشكلات الزوجية..

هوس التسوق الرمضاني.. كيف تواجهينه؟

دعاء الفولي - القاهرة - دار الإعلام العربية

في هذه الأيام تصرخ ميزانية الأسرة، وتئن من هوس التسوق الذي يجتاح الأسرة تزامنًا مع شهر رمضان، ويتسبب في كثير من المشكلات الأسرية التي قد تنتهي بالطلاق.. فمعروف أن تنظيم المصروفات من أصعب الاختبارات التي تواجه الزوجين مطلع كل شهر، ويتفاقم الأمر في رمضان.. وبطبيعة الحال تتحمل الزوجة المسؤولية عن عبء تنظيم المصروف كل شهر..

«الوعي الإسلامي» توجهت بالسؤال إلى عدد من السيدات حول الطريقة التي يتبعنها من أجل صمود الميزانية خلال الشهر الفضيل.

«من الطبيعي أن يواجه المتزوجون مشاكل مالية عديدة عند وضع ميزانية شهرية لاحتياجاتهم، خصوصًا في شهر رمضان: بسبب المتطلبات الزائدة في هذا الشهر».. هكذا بادرتنا «فدوى» - زوجة وأم موضحة: مهما كان الدخل المادي للزوج كبيرًا، فلابد أن تحدث حالات طارئة تجعله يتلاشى قبل نهاية الشهر، إذا لم تحسن الزوجة تدبير أمورها جيدًا. وفيما يتعلق بي، قمت بالاتفاق مع زوجي على وضع خطة نسير عليها خلال شهر رمضان، وبالطبع كنت أنا من تولاها، وأصبحت مسؤولة عن شؤون المنزل المالية، وكان زوجي يعطيني أكثر من نصف

خطة رمضان

من الأفضل معرفة الدخل السنوي للأسرة وكذلك المصروفات المطلوبة.
ويجب ألا يزيد المصروف مطلقًا على الدخل، بل يجب أن يكون أقل منه بـ
الإمكان.
تدون المصروفات الثابتة ومواعيد استحقاقها.. كما يدون دخل الأسرة، لتحصل ربة البيت على ما تستطيع التصرف في حدوده خلال الشهر على البنود المختلفة وغير الثابتة، مثل الغذاء والاحتياجات المنزلية والنفقات الشخصية ومبلغ للطوارئ والمرض أو الهدايا وغيره.
على ربة البيت معرفة أن بداية أي شهر ليست مقياسًا لباقي أيام الشهر، حيث تزداد المتطلبات من تموين رئيسي مثل الأرز والسكر، والزيت والصابون وغيرها، من المستلزمات التي لا يتم شراؤها على مرات متعددة بل دفعة واحدة كل شهر.
بعد ذلك يقسم المبلغ المتبقي على الأسابيع الأربعة للشهر لشراء المتطلبات اليومية والأسبوعية مثل الخبز واللبن والخضر والفاكهة واللحوم.
ومن المهم جدًا تدوين هذه المصروفات أولًا بأول، حتى تستطيع ربة البيت أن تراقب ميزانيتها باستمرار؛ كي تتعرف على ما صُرف في كل بند، حتى إذا وجدت أن هناك زيادة في الإنفاق في أحد البنود تستطيع إنقاصه في الأسبوع التالي، وهكذا حتى يمر الشهر بسلام ودون مواجهة أي أزمات مالية.

إدارة الميزانية

لا يُشترط في إدارة ميزانية المنزل أن تكون بيد الرجل أو المرأة؛ لأنهما مكملان لبعضهما، بقدر ما يحتاج كلاهما إلى تفهم هذه الميزانية.. ومشاركة الطفل للعائلة في كيفية الصرف على بعض الأشياء، ولو كانت بسيطة تدربّه على تحقيق واكتساب حسن إدارة صرف ميزانيته.. ومن هنا يتضح أن للأسرة وتعاونها دورًا قويًا في الترشيد والادّخار.

التبذير مذموم

يؤكد د.حسين شحاتة أستاذ الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، أن شهر رمضان ليس للأكل والشرب، إنما للعبادة، فالله سبحانه وتعالى نهى عن التبذير والإسراف، وأمر بالاعتدال والوسطية في كل شيء، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا. إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تسرف وإن كنت على نهر جار».. فالإسراف محرم في رمضان وفي غيره من الأشهر، فينبغي على المسلم أن يتقي الله في أفعاله التي سيحاسب عليها.

راتبه كمصروف شهري، وبطبيعة الحال كان المبلغ يزداد مع كل زيادة تضاف إلى راتبه، لكنني ومع مرور الوقت لم أحسن تدبير أموري المادية جيدًا، فلم ألتزم بما سرت عليه منذ البداية، وأبسط مثال على ذلك إذا ذهبت إلى السوق فإنني أنفق دون حساب، وأقوم بشراء أشياء أجد أنني لست بحاجة إليها عندما أعود إلى المنزل، وفي كثير من الأوقات أصطحب الأولاد لأي مطعم لتناول الطعام أكثر من مرة خلال الأسبوع، ما يتسبب دومًا في عجز الميزانية قبل نهاية الشهر.

عزائم متكررة

بينما تقول «نهال» متزوجة حديثًا: عُرفت طوال حياتي بسمة النظام في كلّ أموري، فلم يحدث قط أن واجهت مشاكل مادية سواء عندما كنت طالبة أو عند عملي.. وبعد زواجي اتفقت مع زوجي على المساهمة معًا في المنزل، كل حسب راتبه، فكانت مساهمته ضعف مساهمتي، فشكلنا ميزانية ننفق منها طيلة الشهر، كما ندون احتياجاتنا على ورقة قبل الذهاب

للشراء، واستمر بنا الحال هكذا بضعة أشهر قبل أن نفيق على أمور لم نضعها في الحسبان، وكانت الطامة الكبرى مع هوس التسوق في الأيام التي سبقت شهر رمضان بسبب التحضير للعزائم المتكررة طوال الشهر الكريم! لدرجة أنني استلفت من والدتي أضعاف راتبي!.

اشتر ما تحتاج إليه

بدوره، أوضح أحمد كامل، مراجع لغوي، أن المسؤولية مشتركة بين الرجل والمرأة في الاستهلاك وشراء المستلزمات لشهر رمضان الكريم؛ لذا ينبغي تطبيق قاعدة: «اشتر ما تحتاج إليه لا ما تريده»، وهذا يغني عن الوقوع في هوس الشراء.. ويشكل التعاون بين الزوجين أحد أسرار نجاح الميزانية التي ينبغي الإعداد لها مسبقًا، ويتحقق إيقاف الهوس مثلًا بألا نشتري أربعة أصناف من الفواكه ونكتفي بصنفين، وهكذا. ومن أفضل الطرق للحد من هوس الشراء هو عدم الشراء وأنت صائم وتشعر بجوع، فقد أثبتت الدراسات أن الشراء بهذه الحالة يجعلك تشتري ما لا تحتاجه، والشراء بعد الإفطار أفضل من تعرضك لضغط الصيام، فتغضب الله بالإسراف وتخسر مالك.

الرجال يكرهون التسوّق

وبينما تأكد لدى كثير من علماء النفس والاجتماع أن حب المرأة للتسوق أمر طبيعي ناتج عن تكوينها النفسي وبيئتها الاجتماعية والتربوية، اختلفت الدراسات حول فكرة كره الرجل للتسوق، حتى فيما يتعلق بشراء احتياجاته الخاصة، واختلفت أيضًا الآراء، فالبعض قال إن ذلك عائد لتكوين الرجل النفسي، والآخر قال إن طبيعة الرجل العملية تجعله أقل اهتمامًا بأمور التسوق بشكل عام.. فعلى سبيل المثال توضح إيمان عاكف، أن أخاها مثلًا لا يحب الذهاب معها لشراء أي شيء يخصها، وأنه لا يفضل حتى انتظارها بل يجعلها تذهب مع صديقاتها وينتظرها في السيارة، أو يأتي ليأخذها بعد موعد محدد وذلك؛ لأنه غير صبور- على حد قولها- وهي تحتاج إلى وقت طويل لكي ترى أكثر من مكان لتشتري منه.

أما إيمان إسماعيل، (متزوجة)، فتقول إن زوجها يذهب للتسوق معها لكن بعد أن تقوم بإقناعه وهو ما يحتاج منها إلى مجهود كبير؛ لأنه يدعي أن التسوق يصيبه بالعصبية ويأخذ من وقته وحتى في يوم عطلته لا يحب الخروج والتحرك كثيرًا كما تحب هي. كما أنه لا يحب التسوق معها- على حد قولها- لأن ذلك يجعلها تبذر أكثر فيما يتعلق بالأموال الخاصة بالشراء، فبدلًا من أن يكون لها ميزانية محددة تعتمد على أن زوجها معها وتشتري ما تريد دون حساب.

إحساس بالأمان والسلطة

بدوره، يقول أستاذ الطب النفسي، د.أحمد عبدالله، إن فكرة التسوق يجب أن نبدأها بسؤال مهم، وهو: «لماذا تحب النساء التسوق أصلًا؟»، فقد تم إجراء الكثير من الدراسات على كثير من النساء في العالم، واتضح أن فكرة التسوق موجودة في عقول معظمهن، إذ يقوم التسوق بإشباع جانب الثقة بالنفس واقتناء العديد من الأشياء؛ لتكوين ملك المرأة حتى وإن لم تفعل بها شيئًا محددًا، وهذا يعطيها الإحساس بالأمان والسلطة والرضا عن نفسها وعمن حياتها، وقد يروح عنها بعض المشاكل الحياتية أو الضغط الذي يواجهها، حتى إن موضوع التسوق يصل عند بعض النساء إلى مرحلة الجنون أو النهم بالتسوق لمجرد الاقتناء دون وجود أهمية لذلك، ويتحكم في هذا عوامل السن والحالة الاجتماعية ومدى انشغال المرأة نفسها، فالمرأة العاملة تختلف في طريقتها في التسوق عن ربة المنزل، وكذلك الزوجة تختلف عن الفتاة العزباء وهكذا.

أما بالنسبة إلى الرجل، فهو يقوم بإشباع المنطقة الترفيهية في المخ عنده بطرق أخرى مختلفة تعادل التسوق عند المرأة، فكما يحقق التسوق للمرأة الرضا تحقق أشياء أخرى للرجل الرضا كمشاهدة مباراة كرة أو لعب الرياضة.

أما عن أسباب كره الرجال لفكرة التسوق في حد ذاتها، فهي تعود إلى أسباب عدة منها على سبيل المثال: تضمن التسوق للأموال التي يدفعها الزوج لزوجته للحصول على ملابس أو أشياء هو يرى أنه لا أهمية منها ولن تجدي، وإن كانت ستجدي فإن سعرها أغلى مما تستحق، وبالطبع لا ترى المرأة ذلك بل وتعتبر تعامل الرجل بحذر مع فكرة المال في الشراء أحيانًا هو بخل من جانبه، كما أن فكرة التعامل مع التفاصيل في التسوق للحصول على أفضل نتيجة- وهذا ما تفعله المرأة- لا يقبله الرجل أصلًا؛ لأن الرجل لا يحب التعامل مع التفاصيل بشكل عام ولا تهمه ولا يلتفت لها، أما المرأة فعلى العكس تلتفت للتفاصيل أحيانًا أكثر حتى من الفكرة الرئيسية، وهذا ما يجعل النساء تأخذ وقتًا طويلًا في التسوق والرجال لا يأخذون وقتًا طويلًا، ويجعل أيضًا معظم الرجال لا يحبون التسوق مع زوجاتهم نتيجة لتلك الأسباب.

أحد الأسباب أيضًا التي تجعل الرجال يكرهون التسوق وخاصة مع زوجاتهم هو أن الرجال ينظرون إلى الشيء الذي سوف يتم شراؤه من جهة الوظيفة؛ بمعنى أن الرجل يشتري الملابس لكي تؤدي وظيفة معينة، وهي أن تكون ملائمة للعمل أو ملائمة لأن يلعب بها الرياضة، لكن لا ينظر فعليًا إلى خامة الملابس أو شكلها الجمالي بدرجة كبيرة، أما المرأة فهي تنظر لكل الجوانب، بدءًا من وظيفة الملابس التي تشتريها ومرورًا حتى بخامة تلك الملابس وانتهاءً بشكلها الجمالي، ما يجعلها تذهب إلى أكثر من مكان؛ لكي تختار من بين اختيارات ضخمة، وهو ما لا يفعله الرجل، ومن ثم يكون ذلك سببًا وداعيًا أكبر لعدم حب الرجال للتسوق.

صيام الأطفال في الإسلام

سهير الشاذلي- باحثة مصرية

قديما كان لصيام الأطفال في شهر رمضان نكهة خاصة حيث يصر الأهالي علي إيقاظهم وقت السحور، ليس لمشاهدة المسحِّر الذي كان يشكل صورة «فلوكلورية» بديعة بفانوسه وطبلته وسلته، التي كان يجمع فيها ألوان الأطعمة لسحوره، بل لإيجاد محاولة للدخول في دائرة الكبار وممارسة الصوم، وكان الأهل يسعون لإقناعهم بالصوم فقط حتى الظهر، وعندما يصوم الطفل كامل النهار تحتفل أسرته بهذا الإنجاز وتُغدق عليه الأعطيات، ويتولي والده حمله على ظهره والسير به ابتهاجا وسرورًا، وكان الأطفال الصائمون يعّيرون لداتهم من غير الصائمين.

وعلينا أن نوضح لأبنائنا المعنى الحقيقي للصيام حتى تصل الفكرة واضحة للطفل، فمن القصور الشديد أن يصل معنى هذا الشهر للطفل على أنه فقط ابتعاد عن الطعام والشراب مما يؤدي إلى تعجب الطفل وتساؤله لماذا ينهانا الله عن تناول هذه المأكولات والمشروبات وقد تعودنا عليها وسمح لنا بتناولها طوال العام.. ولكي يجد الطفل إجابة عن تساؤلاته ولكي تكتمل هذه الصورة أمام الطفل نحتاج للكثير من الاهتمام الحقيقي لتوصيل الفكرة الحقيقية للصيام مثل التآخي بين الناس، فمواعيد الإفطار والإمساك عن الطعام واحدة، وهذا يقوي روح الجماعة بين المسلمين، خاصة أن الإسلام يحض ويشجع على العمل الجماعي، وأن للصيام فوائد اجتماعية وخلقية عظيمة الشأن فهو يربي في الإنسان فضيلة التقوى، وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣) والصيام يعوّد المسلم على الصبر وقوة التحمل والإرادة والعزيمة وهي من الصفات الضرورية للمسلم الصغير، كما يربي الصيام لدى الطفل صفة المراقبة والانضباط الذاتي، فالصائم لا يراقب أحدًا بصومه إلا الله سبحانه وتعالى لأنه هو المطلع عليه.

والصوم فيه إحساس من الغني بآلام الفقير الذي لا يجد قوت يومه، فالغني إذا ما صام فسوف يحس بألم الجوع، وهنا يدرك ما يعيش فيه الفقير الذي يصاحبه الجوع في رمضان وغير رمضان، والصوم فوق كل هذا فيه وقاية للمجتمع المسلم من الشرور والآثام لأن الصائم لا يمسك فقط عن الطعام والشراب وإنما يهجر جميع المعاصي والسيئات، فجوارحه تصوم عن كل ما هو خبيث من القول والعمل.

من شروط صيام الطفل المسلم أن يطيقه، لما روى في الحديث الشريف عن ابن عباس: «تجب الصلاة على الغلام إذا عقل والصوم إذا أطاق والحدود والشهادة إذا احتلم» وكذلك الحديث: «إذا أطاق الغلام صيام ثلاثة أيام وجب عليه صيام الشهر كله»، وقد اختلف الأئمة في تحديد السن التي يجب على الآباء والأمهات أن يأمروا أولادهم عندها بالصيام، فبينما قال الشافعي وأبوحنيفة: «يؤمر الولد بالصيام وهو ابن سبع سنين»، نرى الإمام أحمد يحدد بداية الصوم بعشر سنين، وقال إسحق: «إن من واجب الآباء والأمهات أمر أولادهم بالصوم عند بلوغهم اثني عشر ربيعا»، ويقول الإمام الأوزاعي: «إذا طاق ثلاثة أيام تباعا لا يضعف فيهن حُمل على الصوم»، ويستحسن تدريب الصبيان المميزين على الصوم لما روي عن الربيع بن مسعود قال: «أرسل رسول الله ﷺ- غداة عاشوراء- إلى قرى الأنصار التي حول المدينة: من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان مفطرا فليتم بقية يومه، فكنا بعد ذلك نصومه ونصُوم صبياننا الصغار منهم إن شاء الله ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعب من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناها إياه عند الإفطار» (رواه البخاري)، كما يجب تشجيع الأطفال على الصيام إذا كانت صحتهم تتحمله ولا يجب أن يدفع الخوف على الأبناء أو على قدراتهم على الاستذكار والتحصيل أمرهم بترك الصيام حتى لا نزرع في الأطفال أن المهم هو فقط التفوق الدراسي، أما الشعائر الدينية فهي أشياء ثانوية نقوم بها عندما تسمح الظروف، وهذا عكس ما نرغب في ترسيخه في عقول وضمير أبنائنا، وهو أن الدين القيم والالتزام هو الأهم والأكثر أهمية، وإذا التزمنا بها فسوف ننجح في كل أمور حياتنا بعد ذلك.

دربوا أطفالكم على الصوم بالرفق واللين

إذا كان تدريب الأطفال على الصيام أمرًا مستحبًّا فإن ضربهم على ذلك ممنوعٌ لما قد يؤدي إليه من الانحراف مستقبلا، فإن إجبار الطفل على الصوم قد يدفعه إلى تناول المفطرات سرًّا ثم يتظاهر بالصوم وتكبر معه هذه الخيانة لأن الطفل عادة لا يُقدّر معنى الأمانة ولا يحترم المسؤولية، لذا يجب على الآباء والأمهات أن يدربوا أطفالهم على الصوم وأن يحببوا إليهم ذلك بالرفق واللين، ويجب على الآباء والأمهات أن يتدرجوا عند تدريب أطفالهم على الصيام وليكن هذه التدرج على النحو التالي:

١- عند وصول الطفل إلى سن سبع سنوات يمنع عنه الطعام والشراب لمدة ثلاث ساعات يوميا، ويفضل أن تبدأ هذه الفترة من العصر وحتى الإفطار، على أن يتم ذلك مرة واحدة أو مرتين كل أسبوع.

٢- وفي الثامنة من عمره يبدأ الطفل في صيام ثلاث ساعات كل يوم طوال شهر رمضان.

٣- وفي التاسعة من عمره يمكن مد فترة الصيام من الصباح وحتى أذان العصر على أن يكون ذلك يوما بعد يوم.

٤- وفي سن العاشرة يدرب الطفل على صيام ثلاثة أيام كل أسبوع صوما عاديا أي منذ الفجر وحتى أذان المغرب.

٥- وفي العام التالي، عندما يبلغ سن الحادية عشرة، يكون الطفل قادرا على صيام أيام الشهر الكريم كلها منفذا لأوامر الله في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

بهذا نجعل الطفل مخلوقا يرقى نحو الخير والتقوى والصلاح ويصبح فردا سويًّا في هذه الحياة.

ماذا أعلّم أبنائي في شهر رمضان؟

د. آندي حجازي- أستاذة جامعيّة في التربية والتعليم

إنّ حياة الإنسان تمرّ في محطات كثيرة وهو لابد وأن يقف عند تلك المحطات للتزوّد بالوقود ليكمل مسيرة حياته بهمة وعزيمة، ورمضان هو إحدى تلك المحطات العظيمة المتجددة التي يتوقف عندها المسلم كل عام للتزوّد منها بالوقود حيث تجليات شهر رمضان عظيمة تمدّ المسلم بأفضل الوقود، وبعض الناس يتزوّد من محطة رمضان لأشهر والبعض لأسابيع والبعض لأيام معدودة فقط، وإن جاوز المسلم هذه المحطة دون تزوّد بالوقود فقد أضاع خيرا كثيرًا. ولكن ما نوع الوقود الذي نتزود به في رمضان؟ إنّ أفضل التزود يكون بالوقود الخالي من الذنوب والمعاصي والممتلئ بأعمال الخير والعبادة، وقد قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(البقرة: ١٩٧). وقد قال ﷺ عندما جاء رمضان: «قد جاءكم شهرٌ مباركٌ افتُرض عليكم صيامُه، تُفتحُ فيه أبوب الجنة وتُغلَق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه الشياطين، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، من حُرم خيرها فقد حُرم» (رواه أحمد والنسائي والبيهقي). وعن النبي ﷺ أنه قال: «الصلواتُ الخمسُ والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفراتٌ لما بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر» (رواه مسلم). وقال ﷺ: «افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله نفحاتٌ من رحمتَه يصيب بها من يشاء من عباده» (رواه الألباني في السلسلة الصحيحة). فمن عَقد العزم الصادق على اغتنام موسم رمضان والاستفادة من عروضه ونفحاته بعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة وصدَقَ الله في ذلك فإنّ الله تعالى يصدقُه ويعينه على الطاعة ويُيسر له سبل الخير فيه.

وقد يتساءل الوالدان بماذا أزوّد ابني في رمضان؟ هل أزوده بأنواع الطعام والشراب وما لذّ وطاب من أنواع الحلويات؟ أو من الترفيه والملاهي والألعاب؟ إن الأعمال الصالحة التي يمكن التزوّد

بها من محطة رمضان أكثر من أن تُعد، وتزويد الأبناء بالطاعة والوقود اللازم يختلف بحسب أعمار أبنائهم فطفل الست سنوات يختلف عن طفل العشر سنوات أو عن طفل الخمسة عشر عامًا، فمثلا طفل الروضة أو الصف الأول أبدأ بتشجيعه على الصيام في رمضان قدر المستطاع، بمعنى لو أنه استطاع الصوم لمنتصف النهار في كل يوم فهذا كاف، حيث من المهم أن يتعلم الطفل فكرةً الصوم لأنه مفهوم جديد عليه، وقدرة الطفل في هذا العمر على تحمل الجوع والعطش مازالت ضعيفة وهو بحاجة إلى الطعام من أجل نموه الجسدي والعقلي، فليس من المناسب إجبار الطفل على إتمام الصوم للنهار كاملا في هذا العمر، ولكن عندما يكبر قليلًا ويصبح في الصف الثالث أو الرابع ويبدأ يطلب بنفسه صيام النهار كاملا فإنه يكون قد كُبر بدرجة كافية لتحمل الصوم طيلة النهار وطيلةَ الشهر، وإذا ازداد وعيُه بدرجةٍ مناسبة وبدأ يُدرك معنى الصيام كعبادة لله، فبإمكانه إتمام الصوم، ولا يجب منعه في هذه الحالة، بل تشجيعه من خلال الجوائز والهدايا على إكمال صيام شهر رمضان قدر استطاعته، مع تعليم الأبناء ضرورة صوم رمضان بنية خالصة لله، فإنه لا أجر لمن صامه بلا نية، وتعليمهم ثواب الله العظيم لهم لصوم شهر رمضان. حيث يفرح الله بعباده الصائمين ويباهي بهم الملائكة، يقول، انظروا يا ملائكتي إلى عبدي ترك طعامه وشرابه وشهوته لأجلي أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لعبدي. وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسيّ: «كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» (رواه البخاري).

ومن الأمور المهمة التي على الوالدين الاهتمام بها في رمضان هي تشجيع الأبناء على الصلاة واعتبار محطة رمضان نقطة انطلاق للابن لتعليمه الصلاة والمداومة عليها، فالطفل

الذي لا يصلي أُعلّمه (كأم وأب) كيفية الصلاة وأشجعه عليها بشتى الطرق المحبّبة والمُحفّزة له، ومن الناجع في رمضان أن أصطحب أبنائي بمختلف أعمارهم إلى المسجد من أجل صلاة قيام الليل (صلاة التراويح) مع الإمام، وتعويدهم على هذه الصلاة يوميًا لما تترك من أثر عميق في نفس الكبير والصغير على حدٍّ سواء، لما لها من حلاوة خاصة في القلب، وكثيرا ما يكون تَعوّد الابن وحتى البنت الذهاب مع والديهما إلى صلاة التراويح في المسجد وعند مقرئ يتمتع بصوت شجيّ يحبّ الأبناء سماعَه سببًا في بَدْئهم التفكير بأداء الصلوات الخمس والمحافظة عليها حتى بعد رمضان، فهذه نقطة بداية وتوقيت مناسب لا يجب أن يُستهان به لتدريب الأطفال الالتزام بالصلاة. فواجب الوالدين اصطحاب الأبناء في رمضان للصلاة في المسجد ذكورًا كانوا أو إناثًا لأداء صلاة الليل ولكل الصلوات للذكور في المسجد، فلابد من تعويد الأبناء الصلاة في بيوت الله تعالى لما لها من ثواب عظيم مضاعف بأضعاف كثيرة. وقال ﷺ: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري ومسلم).

وممّا يمكن تزويد الأبناء به من محطة رمضان من الخير والحسنات هو الشعور تجاه الفقراء والمحتاجين من خلال تشجيع الأبناء على الصدقة، وتكثر أبواب الصدقة في رمضان حيث التبرع للفقراء لكسوتهم أو إطعامهم وتفطير الصائمين، والتبرع بكسوة العيد للفقراء، والتبرع لبناء المساجد وصيانتها، والتبرع لأهل المجاعات والمنكوبين في كل البلاد الإسلامية الممتدة.. ومن الجميل أن يشاهد الابن أباه وهو يتصدق، بل ويعطي ابنه أو ابنته المال من أجل أن يتصدقوا هم بأنفسهم لتلك المصارف الشرعية بإشرافه، ومن المناسب أن يضع الوالدان في البيت حصّالة جماعية وعلى الأبناء التبرع بمقدار ما يستطيعون يوميًا وما تجود به نفوسهم من مصروفهم ويمكن تجهيزها من قبل رمضان، وتقديم هذا المال في نهاية شهر رمضان للجهة التي يجدون أنها محتاجة. «وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، كان أجود بالخير من الريح المرسلة» (متفق عليه). وقال ﷺ: «أفضل الصدقة في رمضان». وقال ﷺ: «من فطّر صائمًا فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئًا» (حسن صحيح رواه الترمذي) .

وقد يقترب من هذا الجانب زيارة الأقرباء ودعوتهم إلى مائدة الإفطار في رمضان بنية تفطير الصائمين وزيادة صلة الرحم والمحبة بين أبناء العائلة الواحدة، فالأفضل للوالدين تعويد الأبناء على ذلك الخير وتعليمهم الهدف من دعوة بيت عمهم أو خالهم أو خالتهم.. إلى وجبة الإفطار في بيتهم في شهر رمضان. ومن المهم تعويد الأبناء إخراج الزكاة إن كان الوالدُ يملك المال الذي دار عليه الحوْل وبلغ نصاب الزكاة، فلا بأس أن يُخبر أبناءه بأنه سوف يذهب لإخراج الزكاة عن ماله للجنة الزكاة في بلده من أجل إيصالها لمصارفها الشرعية، وتكون نيته تعليم أبنائه أن عليهم زكاة المال الذي بلغ النّصاب.

نبينا ﷺ وجوامع الكلم

لقد كان البُعْد الآخر لفطنة رسولنا ﷺ هو أنه أوتي جوامع الكلم. أجل، كان سيد البلغاء، وكيف لا وقد اختاره الله ترجمانًا لكلامه ولكلماته. لقد أبدع الكثيرون حتى الآن الكثير من أروع الكلام وأبلغه وأجمله، كل حسب درجته وموهبته، ولكن هناك عمق آخر ولذة أخرى وحلاوة أخرى في كلام سيد البلغاء ﷺ.

فتح الله كولن- مفكر تركي

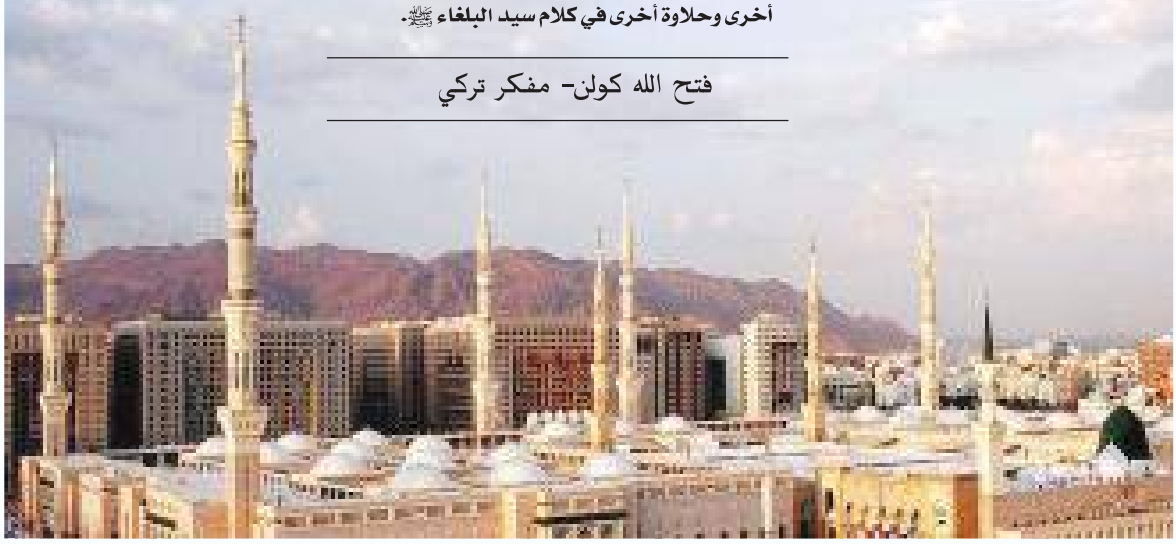

كان بيانه عذبا، وتعابيره ساحرة تدير الرؤوس وتخلب الألباب وتخفق لها القلوب حتى لتكاد تقف، وتستسلم له العقول، وتحيا به المشاعر الإنسانية وتنمو، وتعلو الأرواح به وتسمو وترفرف. لقد وهبه الله تعالى قدرة بيان جعلت مستمعيه المحظوظين يستمعون إلى بيانه الجامع الآسر للقلوب وكأن على رؤوسهم الطير، تغمرهم مهابته فينصتون له وقد انعقدت ألسنتهم وسحرت نفوسهم. عندما يتكلم ويسرد جواهر الحكم لا يملك أرباب العقول إلا الإنصات إليه، وعندما يصف الخير والجمال والصدق يأسر بحديثه العذب الخلاب الأرواح، وعندما يهاجم الشر والفساد بكلماته النارية يُغرق الكفر والمنكر في مستنقعه ذاته، أمَا عندما يزأر ببراهين دعوته ورسالته فإنه يفرّق خفافيش الظلام ويخرس أصحابَ الأرواح المظلمة.

كان ﷺ يدرك أهمية ما خصه الله من ألطاف ونعم إدراكًا واعيًا، فكان لا يرى بأسا من إعلانها تحديثًا بنعم الله عليه، لذا نراه يقول: «أنا محمد النبي الأمي». «أُوتيتُ فواتح الكَلِم وجوامعه وخواتمه» (١). «إنما بُعثت فاتحًا وخاتمًا وأُعطيتُ جوامع الكلم وفواتحه» (٢).

كان ببيانه الذي يشع نورًا وضياء يعلن أنه سيد خطباء الأولين والآخرين.

روضة الحق

كان سيد الأنبياء ﷺ بأنفاسه التي تحيي النفوس.. بلبلًا يشدو في روضة الحق.. كلما شدا عبّر عما في قلبه فتنساب الألحان الإلهية الساحرة من فمه.. كلماته الرقيقة الشبيهة بأكمام الورود النضرة وزهوره المتفتحة على أنداء الصباح لم تكن تشبه زهور الآخرين، كانت كل كلمة له على مائدة أقواله نضرة يانعة وجديدة وطرية طراوة قطرة الندى، ولم تتيسر نعمة تذوق بيانه الساحر الأخاذ وفهم معانيه إلا لمن سعد بحضور مجلسه من المحظوظين الأوائل.

لقد حد سيد الفصحاء من جوهر الكلام سيفًا صقيلًا قام- بمجرد رسمه حلزونًا فوق الرؤوس- بمطاردة كل خفافيش البيان الكاذب والمزخرف، وفرت كل الأكاذيب إلى أقصى بلاد العنقاء.

أعماق أخاذة

أجل إن كلماته تشبه البحار التي تنثر اللآلئ على السواحل بأمواجها أو بالشلالات المنهمرة من الأعالي أو بالعيون الفوارة من الأعماق الآخذة بمجامع القلوب.. فلا نستطيع قياس غنى أعماق هذه البحار ولا محتوياتها ولا ترجمة هذه الشلالات ولا بلوغ الذُرَى التي تبلغها هذه العيون الفوارة أو الإحاطة بها.

لقد صرف المئات من الأدباء والمحققين أعمارهم في تدقيق جواهر كلامه والطواف حولها، وتوجه آلاف وآلاف من المفكرين إلى نبع الحياة هذا، وأفنى الكثير من الدهاة حياتهم في الغوص إلى أعماق معاني كلامه، ولكن معاني كلماته بقيت وراء أي نقطة تم الوصول إليها.

أجل، فكما لا تستطيع القطرة الواحدة تمثيل البحر بأكمله، وكما لا تستطيع الذرة الواحدة التعبير الكامل عن خصائص الشمس، لا يستطيع العلماء ولا الأولياء ولا الأصفياء الذين يمثلون جزءًا من الحقيقة المحمدية مهما كانوا كاملي الصفات بالنسبة للناس الآخرين أن يمثلوه التمثيل الكامل، ولا أن يعكسوا صورته بأكملها.

قلب يتسع

إن رسول الله ﷺ رغم أميته وعدم دراسته في المدارس مرشد كامل، بسبب متانة بنيته المادية والمعنوية وصفاء أحاسيسه ورصانة تفكيره وقلبه الواسع المنفتح والمتوجه نحو المعالي؛ فاستطاع بذلك تسلم الرسالة الإلهية كما هي، وحافظ عليها كما هي، وأبلغها للناس كما هي.. فقد كانت فطرته وخلقته ميسّرة لتنفيذ هذه المهمة، إذ تمت المحافظة على صفاء روحه وصانه الله من أي تأثير سلبي للتربية أو المعرفة البشرية ثم زينه بالوحي وأرسله للناس.. هذا هو معنى النبي الأمي والمرشد الكامل الذي لم ير مدرسة ولم يتعلم من الناس.

لقد كانت طبيعته وسجيته وأحاسيسه الظاهرة والباطنة وعقله ومنطقه مهيئًا وصالحًا للقيام بوظيفة النبوة ومهامّها، حيث قام بنقل الوحي حتى أصغر تفاصيله ودقائقه دون تعريضه لأي تبديل أو تغيير، بل ينقل الوحي الإلهي للناس كما ينقل المنشورُ الضوءَ المارّ من خلاله لكي يكون ملائمًا لعقول البشر.

طرق براقة

هذه الرسالة الإلهية النابعة من أطهر مكان والمتدفقة إلى أطهر قلب بُلّغت للناس بألطف لسان وأفصحه وأنزهه حسب قدرة العقل البشري واستيعابه. وكما أنها أمارة من أمارات النبوة وإشارة إليها فإنها في الوقت نفسه دليل من أدلتها، وحجة من الحجج الدامغة وزادُه أثناء قطعه لتلك المفاوز الموحشة والطرق الوعرة وبُراقُه (٣) فيها.

وعندما كان يقدم للناس رسائل ربه كان يصرح في الوقت نفسه بنبوته ويعلن رسالته؛ وكذلك عندما كان يستعمل جواهر خزائن الوحي وأسراره الإلهية الساحرة في حل معضلات ومشاكل محدّثيه وأصحابه، كان يستعمل الوحي الإلهي نَفسه كسيف ماسي في إلزام خصومه وإفحامهم وإسكاتهم.

أسلوب خاص

علمًا بأن سيد البلغاء، وسلطان الفصحاء وممثل الحكمة إضافة إلى كنز العلم الإلهي الذي لا ينفد كان كثيرًا ما يوجه إليه العديد من الأسئلة. وكان هناك العديد من المسائل والمشاكل والمعضلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانت تنتظر الحل والأجوبة الشافية من لدن رسول الله ﷺ. فكان ﷺ يقوم بإيفاء حق وظيفته النبوية هذه لأن القلب المحمدي الصافي كان المرآة المجلوة لعكس العلم اللانهائي، ومركزه ومنزله ومهبطه وحديقته وبستانه. فكان يقوم بشرح القرآن الكريم فيقيد المطلق، أو يطلق المقيد، أو يخصص العام، أو يعمم الخاص، وذلك باستعمال أسلوبه الخاص وبيانه الفصيح علاوة إلى تبليغ رسالة القرآن. فهذه هي مهمة الرسول المبعوث إلى الناس كافة. وما كان بإمكان أي مصلح ومجدد ومرشد للإنسانية جمعاء ومبلّغ للناس أجمعين إلا أن يكون هكذا.

تلفيق الاتهامات

في العهد الذي شُرّف فيه النبي ﷺ بشرف النبوة كانت الفصاحة والبلاغة أروج شيء في سوق الجاهلية، فقد كانت هذه الأمة- التي حكمت فيما بعد العالم بذكائها ودرايتها- أمة أديبة، لذا، فقد سحرها ما سمعته من الرسول ﷺ من تلاوة للقرآن الكريم أو من حديث أو خطاب، واستمعت إليه مذهولة مفتونة به ومعجبة بما تسمعه منه، أما هو ﷺ فقد فرض نفسه عليهم في كل فرصة، ولم يجد أعداؤه ما يَصِمونه به أو ما ينتقدونه به، ولو فعلوا هذا أيّ لو قاموا بتقديم أقل اعتراض أو نقد لما تأخر خصومه الموجودون حاليًا من تناول ذلك الأمر وتضخيمه وتكبيره وإيصال ذلك إلى كل شخص وإلى جميع أنحاء العالم من أجل إزالة محبته من النفوس. وأمثال هؤلاء لا يتورعون عن تلفيق أحقر الاتهامات وأرذل الافتراءات حوله، ولكنهم مع تفتيشهم هذا لا يجدون شيئًا ضده، وأمام بيان رسول الله ﷺ وفصاحته وقوة تعبيره لم يستطيعوا أن يقولوا له حتى ما قاله فرعون لسيدنا موسى عليه السلام.

إن صوت من قال: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي» يهدر من فوق ذروة سامقة بشكل لا يملك معه الأصدقاء والخصوم سوى الشعور بالاحترام والإعجاب والتوقير له ولبيانه المملوء فصاحة وبلاغة.

سماء المعرفة

أجل، لقد كانت سُنّته من الأمس حتى اليوم منبع المجتهدين الذي لا يضل وباب العلم الفسيح، والجناح القوي للسابحين في سماء المعرفة والنبع الصافي الرقراق لإلهامات الأولياء والأصفياء. فخلاصة علوم الشريعة، وكل طرق الصوفية وكل العلوم الكونية وأسرار القلب والوجدان نابعة من النبع الصافي لجواهر كلامه النوراني.

لقد بَيّن بيانًا واضحًا كثيرًا من المواضيع اعتبارًا من بدء الخليقة وخلق الإنسان وانتهاءً إلى يوم القيامة، يوم يساق المرء إما إلى الجنة أو إلى الجحيم... وتحدث عن القلوب المتفتحة للمعارف الربانية، وعن مشاهدتهم جمال الله في الآخرة.. عن الإيمان والعقائد.. عن أدق تفاصيل العبادات.. تحدث في مواضيع عديدة، واستعمل في كل موضوع اللسان المناسب والبيان المناسب إلى درجة أننا إذا استثنينا القرآن فلن نجد بيانًا مثل بيانه ولا فصاحة مثل فصاحته.

الهوامش

١- المسند للإمام أحمد، ٢/٢٥٠، ٤١٢، كنز العمال للهندي، ١٤٢/١١.

٢- البخاري، الجهاد ١٢٢؛ مسلم، المساجد ٦؛ وانظر: كنزل العمال للهندي، ٤٢٥/١١.

٣- البراق: المركب الذي ركبه الرسول ﷺ في أثناء إسرائه ومعراجه. (المترجم).

رسالةٌ لطيفةٌ تتعلق بقوله ﷺ:

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

تأليف / أحمد بن أحمد بن
محمّد السّجَاعيّ الشّافعيّ
ت: ١١٩٧ هـ

تحقيق / محمود محمّد الكبش

هذه رسالةٌ لطيفةٌ- كما وَسَمَها صاحبُها- في احتمالات عشرة تَرِدُ على ضمير: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته» أوردها من أقوال بعض المحققين في المذهب الشافعي؛ فأتى عليها واحدة واحدة، وبيّن مرادهم فيها، والصحيحَ منها؛ فأحبَبْتُ إخراجَها محققة ليستفيد منها طالب العلم في مسألة فقهية تتعلق بها مسائل نازلة، لابد من بيان الحكم الشرعي فيها.

وقد اعتمدتُ في إخراج هذه الرّسالة على نسختين من «المكتبة الأزهرية»؛ كلتاهما كاملة، لا يوجد فيهما نقص ولا طمس، كتبتا بخط واضح، إحداهما محفوظة تحت رقم: (43900)، ورمزت لها بالحرف(أ)، والأخرى تحت رقم: (ع 15)، ورمزت لها بالحرف (ب)(1).

ولم أعتمد واحدة منهما أصلًا، وإنما لفَقْتُ بينهما بما يناسب المعنى؛ إذ لا فروق مؤثِرة بينهما، وبالاعتماد أيضًا على ما أورده الأئمّةُ الشّافعيّةُ في كتبهم عند ذِكْرِ الاحتمالات الواردة في المخطوط.

التّعريف بمؤلّف الرّسالة

هو أحمد بن أحمد بن محمد بن محمد البدراويّ الأزهريّ الشّافعيّ السّجَاعيّ، نسبة إلى «السُّجَاعيّة»: قرية من مديرية الغربية بمركز المحلة الكبرى بمصر.

ولد بمصر ونشأ بها في أسرة علمية، كان أبوه من شيوخ الأزهر؛ فطلب العلم عليه، وعلى غيره.

وله مؤلفات كَثيرة؛ أغلبها شروحٌ، وحواشٍ، ورسائل، ومتون متنوعة؛ بين منثورٍ ومنظومٍ، وهي أكثر من (١٥٠) مؤلفًا في العقيدة، والفقه، والحديث، والتزكية، واللغة وعلومها، والفلك، والحساب والمنطق، وغيرها.

توفي الشّيخُ أحمد بن أحمد السّجاعي في القاهرة ليلة الاثنين السادس عشر من صفر سنة: (١١٩٧هـ)، وصُلِّي عليه في الأزهر، ودُفن عند أبيه بالقرافة الكبرى بتربة المجاورين(٢).

مقدمة المؤلف

الحمدُ لله الّذي فَرَضَ صومَ رمضانَ على العالَمين، ورتّبَ ذلك على رؤيتِهِ لأحد من عدول المسلمين، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدنا محمّد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعدُ:

فإنّ بعضَ المحقّقين، والعلماء المتّقين؛ أبْدَى احتمالات فَي قوله ﷺ: «صُومُوا لِرُؤْيتِه وَأَفْطِرُوا لِرُؤيته فَإِنْ غُمّ عَلَيْكُمْ؛ فَأَكْمِلُوا عِدّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ»(٣).

قال: «يحتملُها اللّفظ بحسب ذاته، وقد أردتُ أن أوردَها، أبَيّنُ الصّحيحَ فيها عند الأعلام، وأذكرُ ما هو المراد من الحديث كما أوضَحَهُ الفقهاءُ السّادةُ

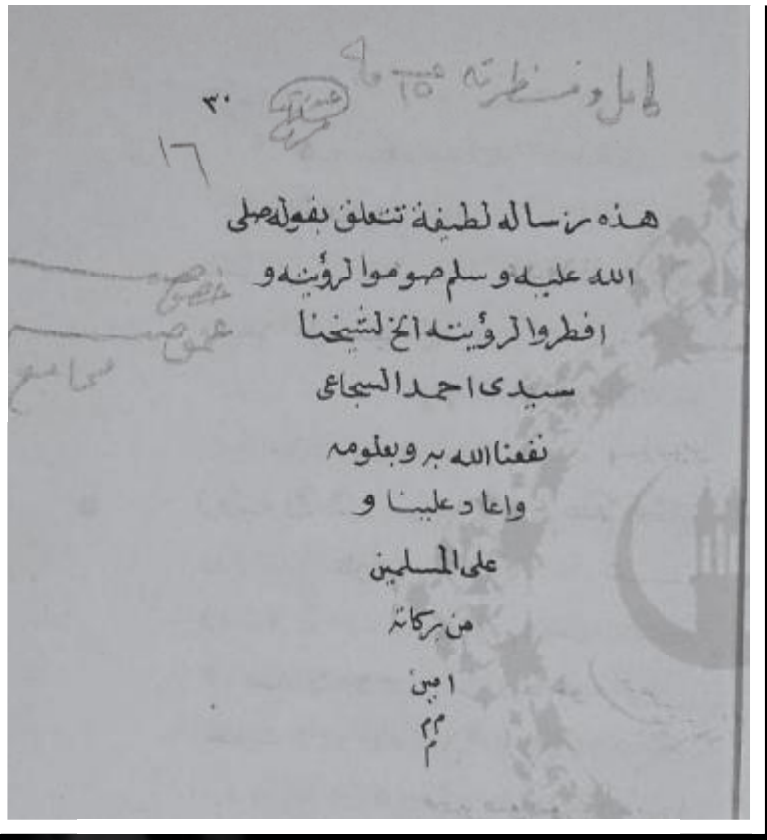
٣٠
هذه رسالة لطيفة تتعلق بقوله صلى
الله عليه وسلم صوموا لرؤيته و
افطروا لرؤيته الخ لشيخنا
سيدى احمد السجاعى
نفعنا الله به وبعلومه
واعاد علينا و
على المسلمين
من بركاته
امين

الأفهام.

أحدُها: أنّه إنْ حُمل ضمير «صُومُوا» و«رُؤْيَتِه» على الكلّيّة فيهما؛ كان المعنى: يصومُ كلُّ واحد إذا رأى دون غيره، أو حُمل عليها فيَ الأوّل دون الثّاني؛ كان المعنى: يصومُ كلُّ واحد لرؤية واحد، أو عكسُهُ؛ كان المعنى: يصُومُ كلُّ(٤) واحدٍ لرؤية كلّ واحد.

ثانيها: أنّه إنْ حُملَت الرّؤيةُ على ما هو بالبَصَر(٥)؛ كان المعنى: يصومُ مَن أبصرَهُ دون غيره؛ كالأعمى.

ثالثُها: أنّه إنْ حُمِلَت الرّؤية على العِلْم؛ دَخَلَ التّواترُ، وخَرَجَ خبرُ الواحد(٦).

رابعُها: أنّه إنْ حُمِلَت على ما يشمَلُ الظّنّ؛ دَخَلَ خبرُ المنَجِّم.

خامسُها: أنّها إن حُمِلَت على إمكانها؛ دَخَلَ طَلَبُ الصّوم إذا غُمّ، وكان بحيث يُرى.

سادسُها: أنّه إنْ حُمِلَت على وجوده؛ لَزِمَ طَلَبُ الصّوم، وإن لم تُمكِنْ رؤيتُهُ بأن أخبَرَ المنجّمُ أنّ له قوسًا لا يُرى.

سابعُها: إنْ جُعِلَ ضميرُ «صُومُوا» لجميع الأمّة، و«رُؤْيَتِه» لبعضهم؛ لَزِمَ صومُ كلّهم لرؤية بعضِهم، ولو واحدًا على نظير ما مَرّ.

ثامنُها: أنّ هذه الاحتمالات تأتي في الفطر، بقوله: «وَأَفْطِرُوا لرُؤْيَتِه».

تاسعُها: أنّ ضميرَ «رُؤْيَتِه» عائدٌ لهلال رمضانَ فيهما، وهو غيرُ ممكنٍ في الثّاني.

عاشرُها: أنّ معنَى «غُمّ» استتَرَ بالغَمَام؛ فيخرج ما لو استتر بغيره، ويأتي في ضمير «عَلَيْكُمْ» ما في ضمير «صُومُوا»، وغيرُ ذلك من الاحتمالات، فراجِعْ وانظرْ ما المراد منها أو من غيرها. والوجهُ الّذي لا يجوزُ غيرُهُ أنْ تُحمَلَ الرّؤيةُ على الإمكان في الصّوم والفطر»(٧). انتهى كلامُ (بعض)(٨) المحقّقين.

× قلتُ: أمّا الأوّل: فلا يصحّ حملُ الحديث عليه؛ لمخالفة الأحاديث، فَقَدْ وَرَدَ أنّ ابن عمر رضيَ الله عنهما أخْبَرَ النّبيّ ﷺ أنّه رأى الهلالَ: فَصَامَ وأَمَرَ النّاسَ بصيامه(٩)، وشَهِدَ أعرابيٌّ عند النّبيّ ﷺ بذلك برؤيته؛ فَأَمَرَ النّاسَ بصيامه(١٠).

وكلامُهُ ﷺ يُحمل على فعلِه، وخيرُ ما فُسّر بالوارد.

وقوله: «أو حُمل عليها في الأوّل دون الثّاني»؛ كان المعنى: يصوم كلُّ واحد لرؤية واحد، هذا المعنى هو الذي ينبغي إرادتُهُ، فيكون مطابقًا للخبرَين المذكورَين، فقد صامَ كلُّ واحد بأمْرِ النّبيّ ﷺ لمّا شَهِد ابنُ عمر رضيَ الله عنهما بذلك، ويقيّد الواحدُ بكونِهِ عدْلًا(١١).

نعم؛ إنْ أَخْبَرَ فاسقٌ وصدّقَهُ المخبَرُ.. وَجَبَ عليه الصّومُ لذلك(١٢).

وقولُهُ: «أوْ عكسُهُ»؛ كان المعنى: يصوم كلُّ واحد لرؤية كلّ واحد» هذا يَصُدُّ عنه الإجماعُ والأحاديثُ.

وأمّا الثّاني؛ فيُجابُ عنه بأنّ اللّام للتّعليل، أيْ: صُومُوا لأجل رؤيتِه، أي: رؤية بعضكم له، ولو واحدًا.

وأما الثّالث(١٣)؛ فلا يصحّ؛ إذ الرّؤية بالتّاء: الإبصار بالعين؛ كما في كتب الفقه.

قال في «المصباح»: «رأيتُهُ: أبصرْتُه بحاسّة البَصَر، فرؤية العَيْن معاينتُها للشّيء، وجمعُهَا رؤًى، مثل مُدْية ومُدًى، وتراءَيْنَا الهلالَ أي صوّبْنَا أبصارَنا نحوَهُ لننظرَهُ»(١٤)، انتهى.

وأمّا الرّابع؛ فهو مبنيٌّ على الثّالث، وقد عَلِمْتَ أنّه غيرُ مراد. وإنّما وَجَبَ الصّومُ على المنجّم ولمن صدّقَهُ؛ لأنّ علمَهُ بذلك منزّلٌ منزلةَ الرّؤية.

وأمّا الخامسُ؛ فهو قريبٌ؛ إنْ حُمِلَ الإمكانُ على الوجود مَعَ الرّؤية ولَو لواحد، فلو أخبر أهلُ الميقات أنّه يمكن رؤيتُهُ في أوّل رمضانَ، ولم يَرَهُ أحدٌ لم يعوّل عليهم، ولو أخبروا بأنّه لا تُمكن رؤيتُهُ، وشهد عدلٌ برؤيته؛ فالّذي عليه أكثرُ الفقهاء أنه يُقبَلُ خبَرُهُ.

وقال بعضُهم: «أنّه إذا دلّ الحسابُ القطعيّ على عَدَمِ رؤيته لم يقبل قولُ العدول(١٥)، وتُرَدُّ شهادَتُهم(١٦) بها» انتهى(١٧).

وأمّا السّادسُ؛ فيأتي فيه ما تقدّمَ في «الخامس».

وأمّا السّابعُ؛ فهو كما لو حُمل ضميرُ «صُومُوا» على الكلّيّة دون رؤيته، وتقدّم أنّه الظّاهر الّذي ينبغي إرادتُهُ، ولا يخفى إذا تقرّر هذا.. تقرّر «الثّامن»(١٨) بأوجهه عليه(١٩).

وأمّا التّاسعُ؛ فالضّمير في «وَأَفْطِرُوا لرُؤْيَتِه»(٢٠) عائدٌ على الهلال لا بَقَيْد كَونه هلالَ رمضان، ففيه نوعُ لطيفٌ من أنواع البديع، وهو الاستخدامُ(٢١)، وضابطُهُ: أن تذكرَ لفظًا بمعنىً، وتعيد عليه الضّميرَ بمعنىً آخر، كقول الشّاعر:

وللغَزالة شيءٌ من تلفُّته ونورُها من ضِيا خدّيْه مكتَسَبُ(٢٢)

فَذَكَرَ الغَزالَةَ(٢٣) بمعنى، وهو الحيوان، وأعاد الضّميرَ عليها بمعنى، وهو الشّمسُ؛ فإنّها تُطلَقُ على ذلك أيضًا.

وأمّا العاشر: فغيرُ مسلّم؛ إذ الّذي في «المصباح»: غُمّ الهلالُ: استَتَر بغيم أو نحوه(٢٤)، فلا وجهَ لتخصيصهِ بالغَمَام.

وقولُهُ: «وانظر ما المراد منها» قد علمتَه ممّا سَبَقَ.

وقولُهُ: «والوجهُ الّذي لا يجوزُ غيرُهُ أن تُحمَلَ الرّؤية إلخ..» يَردُ عليه ما قدّمه من أنّه يدخُل طَلَبُ الصَّوْم إذا غُم، وكان بحيث يُرى.

والله سبحانَهُ وتعالى أعلمُ بالصّواب، وإليه المرجعُ والمآب، وصلّى اللهُ على سيّد الأحبابِ(٢٥).

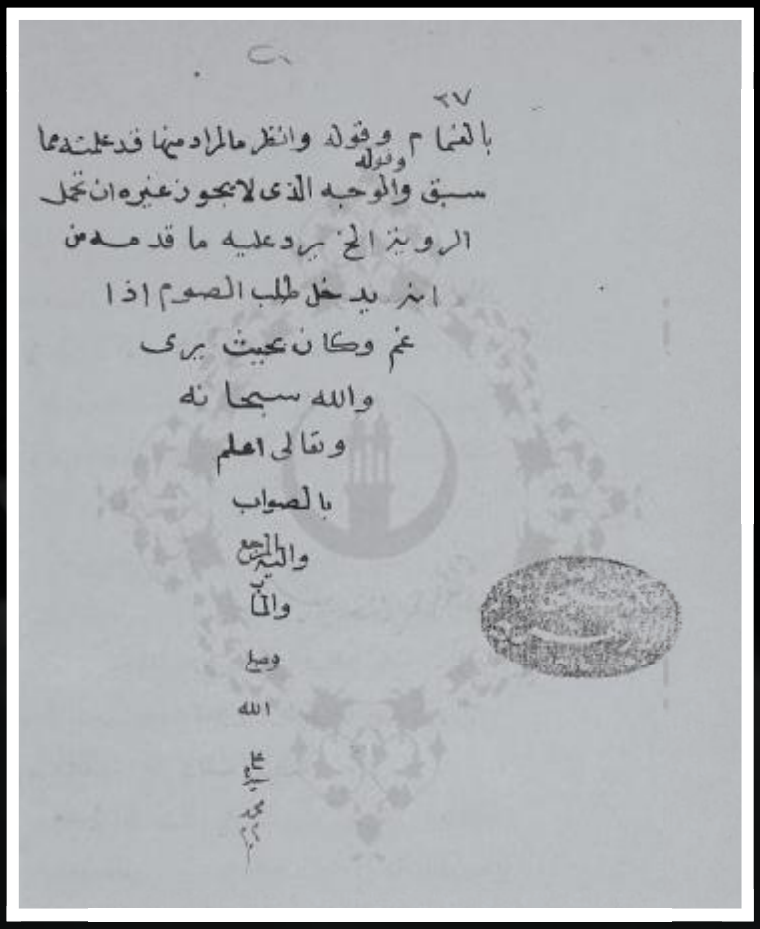

الهوامش

(١) ينظر: «فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الأزهرية»: (٥٢٩/١).

(٢) يراجع في ترجمته: «الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام»، تأليف د.أحمد أحمد بدوي: ص (٢١)، و«الخطط التوفيقية»، تأليف علي باشا مبارك: (١١/١٢)، و«حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» للبيطار: (١٢٦٦/٣)، و«هدية العارفين» للبغدادي: (١٨٠/١).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاريّ، كتاب الصوم، باب «قول النبي ﷺ: «إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا»، رقم: (١٨١٠)، ومسلم، كتاب الصوم، باب «وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال» رقم: (١٠٨١).

(٤) في «حاشية القليوبي» بدون: «كل».

(٥) في النسخة (أ): «بالصر».

(٦) في «حاشية القليوبي»: «العدل».

(٧) ينظر هذا الكلام في: «حاشيتي قليوبي وعميرة»: (٦٢/٢). من كلام العلامة أحمد سلامة القليوبي، وهو منقول في «حاشية الجمل على المنهج»: (٣٢٧/٤).

(٨) غير موجودة في النسخة: (ب).

(٩) صحيح، رواه أبو داود (٢٣٤٢)، وابن حبان (٣٤٣٨)، والحاكم (٤٢٣/١). ونصُّه في أبي داود: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلَالَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ».

(١٠) ضعيف، رواه أبو داود: (٢٣٤٠). والنسائيّ: (١٣٢/٤)،والترمذيّ:(٦٩١)،وابن ماجه:(١٦٥٢)، وابن خزيمة: (١٩٢٣)، وابن حبان: (٨٧٠/موارد) من طريق سِمَاك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ وسماك مضطرب في روايته عن عكرمة. ونصُّه عند أبي داود: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ الْهِلَالَ- يَعْنِي رَمَضَانَ-، فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: يَا بِلَالُ أَذِّنْ فِي النَّاسِ فَلْيَصُومُوا غَدًا».

(١١) ينظر: «مغني المحتاج»: (٤٢٠/١).

(١٢) راجع المسألة في: «الفتاوى الفقهية الكبرى» للهيتمي: (٥٨/٢)، و«حاشية الجمل على المنهج»: (٣٣٠/٤).

(١٣) في النسختين «الثاني»، والصّحيح ما أثبتُه.

(١٤) الفيومي، «المصباح»: (٢٤٧/١).

(١٥) في حاشية النسخة (أ): «قوله: العدول: لعله: العدل»، وكذا في النسخة (ب).

(١٦) في حاشية النسخة (أ): «قوله: شهادتهم: لعله: شهادته».

(١٧) نقله القليوبي عن العبادي، ثم قال: «وهو ظاهر جليّ، ولا يجوز الصوم حينئذ، ومخالفة ذلك معاندةٌ ومكابرةٌ»، انظر: «حاشيتا قليوبي وعميرة»: (٤٩/٢).

(١٨) في النسخة (ب): «ولا يخفى إذا تقرر الثامن».

(١٩) في النسخة (أ): «عليك».

(٢٠) في النسخة (ب): «والفطر والرؤيته».

(٢١) عرّفه الحمويّ بقوله: «إطلاق لفظ مشترك بين معنيين؛ فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين، ثم تعيد عليه ضميرًا تريد به المعنى الآخر. أو تعيد عليه إن شئت ضميرين؛ تريد بأحدهما أحد المعنيين، وبالآخر المعنى الآخر»، «خزانة الأدب»: (١١٩/١). والفرق بين التورية والاستخدام أن المراد من التورية هو أحد المعنيين، وفي الاستخدام كل من المعنيين مراد. المرجع السابق.

(٢٢) ينظر: «خزانة الأدب»: (١١٩/١)، ونَسَبَهُ إلى بعض المتأخرين.

(٢٣) في النسخة (ب): «الغازلة».

(٢٤) في «المصباح» (٤٥٤/٢): «أو غيره»، ثم قال: «و في حديث: «فَإِنْ غُمّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا العِدّةَ»؛ أي فإن سترت رؤيتُه بغيم أو ضباب؛ فأكملوا عدة شعبان ثلاثين؛ ليكون الدخول في صوم رمضان بيقين» فأدخل الضباب، ويدخل فيه- قياسًا عليه- كلُّ ما حَجَزَ الرّؤيةَ؛ كالغبار، والدّخان الكثيف، ونحوها.

(٢٥) في النسخة (ب): «على سيدنا محمد».

الاستقامة بعد الفريضة

رومي الرومي
مدير إدارة الحج بوزارة الأوقاف الكويتية

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام وبه يتحقق أكبر مؤتمر إسلامي يشد من أزر وكيان المسلمين قاطبة ويوحدهم على كلمة سواء. وحقيقة الحج السامية في التجرد الكامل لله عز وجل من كل ما سواه والتطهر من الذنوب والمعاصي والآثام. لقوله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وها أنت أيها الحاج الحبيب قد أنعم الله عليك بزيارة بيته والوقوف بين يديه داعيًا ملبيًا نسأل الله سبحانه وتعالى لك قبول الحج والطاعات والعمل الصالح.

وها أنت تبدأ صفحة جديدة ناصعة البياض في حياتك خالية من الذنوب فهل لك أن يتبدل حالك مما كنت عليه قبل الحج إلى ما كنت عليه في الحج من الطاعة والتقرب من الله عز وجل والمحافظة على بلوغ رضاه لتنال صفة «أهل الحج المبرور»؟. وقد ذُكر عن الحسن البصري أن «الحج المبرور هو أن يرجع صاحبه زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة» ومن علاماته أن يرجع الحاج خيرًا مما كان عليه.

ودوامك على الطاعات هو مفتاح خلاصك يوم العرض الأكبر وهذا نبينا ﷺ يسأل: «أي العمل أحب إلى الله»؟ قال: «أدومه وإن قل».

فعلامات الصلاح المداومة على الطاعات والصبر عليها وإن قلت، فتشبث بعمل صالح تلزمه وتداوم عليه ولا تستحقرنه عسى الله أن يكتب لك حسن الختام ويحفظ لك بركة حجك.

ولا تكن من أولئك الذين لا يتذكرون الطاعات إلا في مواسم معينة فإن انصرفت هذه المواسم عادوا إلى حالهم الأول. ولا يفوتك أن تكثر من دعاء الله تعالى أن يعينك على الثبات في الطاعات فقد كان النبي الأكرم ﷺ يكثر من سؤال ربه أن يثبته على دينه وكان أكثر دعائه «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». أسأل الله عز وجل أن يثبتني وإياك على دينه الحق ويرزقني وإياك السعادة في الدارين.

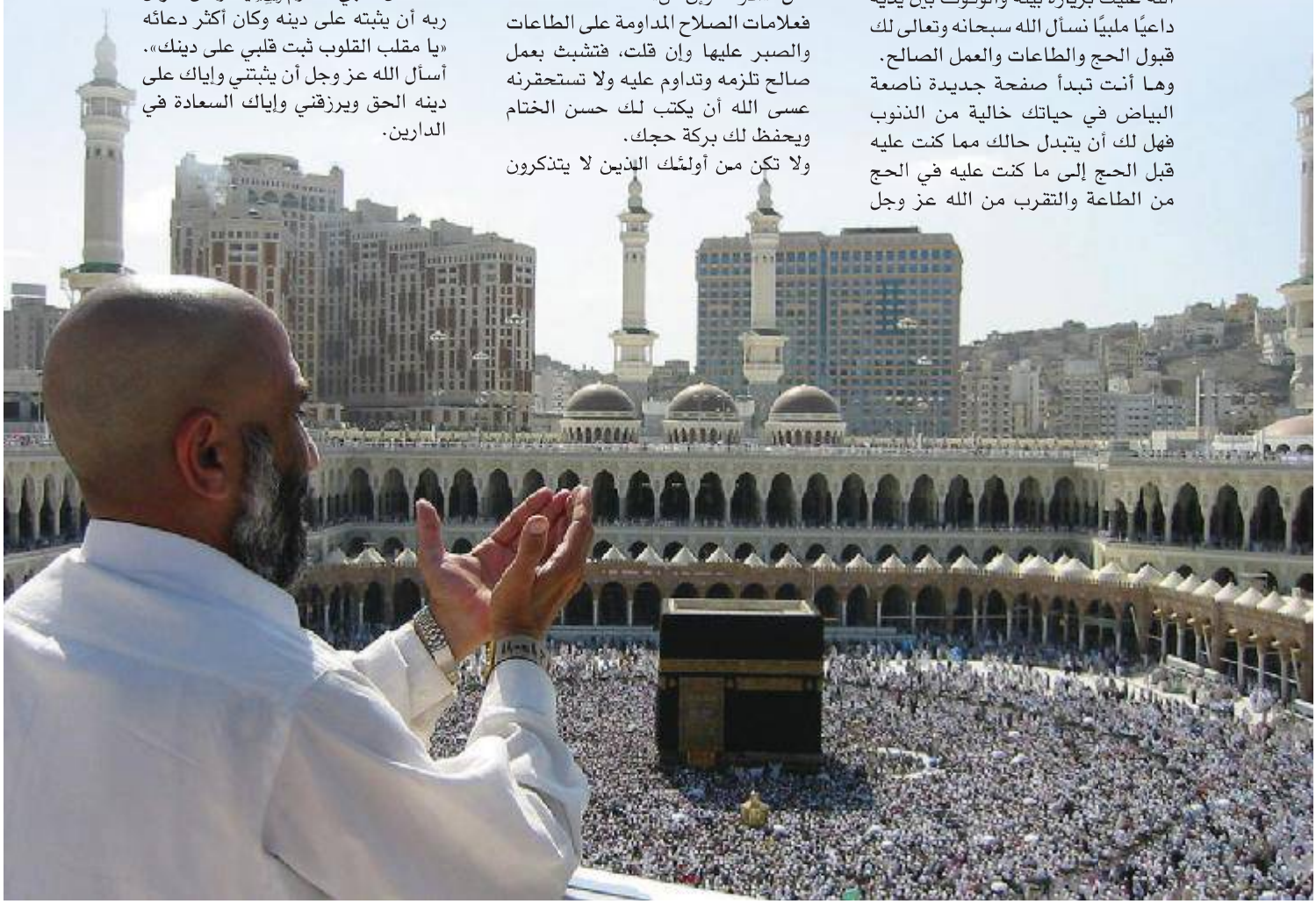

مؤتة.. أرض الشهداء

احمد ابودلو- كاتب أردني

انها مؤتة.. أرض الشهداء والدماء النقية.. وهناك اختلطت حبات التراب بنجيع الشهداء الأخيار، وتواصلت المسيرة من الأبناء البررة وامتد الحب وتوارثت الأجيال نقاء الأرض وصفاءها، وبقيت بصماتها عبر الزمن الذي شهد لها أنها في قلوب أبنائها وفي عيون أهلها.

نعم هي مؤتة.. الأرض والتاريخ والدماء، فإلى هناك حيث يأخذنا الأسر، حيث ندري ولا ندري كيف احتضنت هذا الجمال وهذا الحب الأزلي، فلها ألف حكاية وحكاية، والتاريخ دائمًا هو الذي ينقلنا حيث لا نريد، فالأردن مليء بالمواقع التي تثيرك، فكل المواقع والآثار لها وقع خاص بها ولها حكاية تسرك، فلابد من كشف السر المدفون في أعماقك الذي جعلك تهيم فيها حبًّا وهيامًا، يجب أن تبوح لها بسرّك لكي تبادلك البوح في بعض سرّها وبعض نصف

الحقيقة، وتحبك بأقل ما أحببتها، أو تمنحك بعض الحب عند حاجتها.. أو عند كرهها للآخر، فالمكان تمامًا كالمعشوق الذي لا يفارقك خياله أو ظله المتجذر فيك، فكيف إذا كانت هذه هي مؤتة التاريخ والشهداء والعلم والإنسان الطيب.. آه أيتها الرائعة المتجذرة فينا كحد السيف لا نقدر إلا أن نبقى على اندهاشنا عندما نغادر جمالها وناسها مرددين:

يا مؤتة الأحرار يا رجع الصدى
يا موئل الأبرار يا نبع الفدا
عهدًا ستبقي للعروبة محتدا
والله لا ينسى أبي المحتد
أقسمت بالرحمن بالشعب الأبي
بالثورة الكبرى تبناها أبي
أقسمت بالأرض الطهور وبالذرى
أن لا يقر على ثراها معتدي

تلك الأرض التي ارتوت بدماء الشهداء (زيد وعبدالله وجعفر) أرض المجد والكبرياء العربية عبر التاريخ العربي الحافل بالأمجاد المثخنة بالجراح والمعطرة بالدماء.. فهناك في سهل مؤتة جرت أول معركة خاضها المسلمون خارج الجزيرة العربية.

فكانت غزوة مؤتة ولا تزال من أهم الغزوات في التاريخ الاسلامي التي خاضها المسلمون خارج الجزيرة العربية، وهي من أهم المعارك التي حدثت على أرض الأردن الطاهرة، كما كانت أول معركة يشارك فيها القائد خالد بن الوليد بعد إسلامه الذي أدخل مبدأ «الانسحاب التكتيكي» حتى يؤمن سلامة القوات بخطة خلاص محكمة، وكانت أول معركة يستشهد فيها قادتها الثلاثة كما أبلغهم النبي ﷺ بذلك قبل المعركة.

دخول المكان

نستأذن الجنوب وجبال المؤابيين عبر وادي الموجب لندخل الكرك الحبيبة حيث القلعة المهيبة التي بناها الصليبيون في القرن الثاني عشر الميلادي تحيط بالمدينة بأكملها والتي تظل شرفاتها في انحدار سحيق نحو البحر الميت.

ومن المدينة المؤابية المحاطة في الصحراء والجبال والأغوار والشواطئ الجنوبية للبحر الميت الذي مات في الزمن الغابر الحي في زمنها نواصل المسير جنوبًا حيث حملنا أمانة السلام على أرواح الشهداء ومدينتهم وأهلها، وعلى الطريق تتناثر بقايا «المشهد» حتى نصل مدينتنا، مدينة الشهداء ورائحة «الممزار» المعطرة تناديك لمرقد الشهداء هناك حيث كانت في ضيافتهم، وما بين المزار ومؤتة التربة المعطرة بدمائهم، ويشهد على ذلك الجامع المهيب ذو المئذنتين والقبتين في أطراف البلدة مذكرة في التاريخ المليء بمعاني البطولة والتضحية والفداء بمعركتها الشهيرة التي انتهت بحنكة خالد بن الوليد، وصانت دماء المسلمين الذين قدموا أنفسهم في سبيل السلام.

مؤتة.. الأرض والتاريخ

الأردن كان جزءًا من بلاد الشام وملتقى للطرق المتجهة غربا إلى البحر الأبيض ومصر وشمال إفريقيا، وجنوبا إلى شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر وشرقًا للعراق والخليج وشمالاً لتركيا وسورية، واحتل الاردن بحكم موقعه منذ القدم مكانة مرموقة في الحضارة الإنسانية التي تأثر بها.

ومن أبرز الملامح التاريخية التي تدل على مكانة الأردن من ذلك التاريخ، تردد ذكر منطقة جنوب الأردن في النقوش الفرعونية القديمة، واشتهرت بصلتها الوثيقة بحوادث العهد القديم، وقامت فيها ممالك من أهمها مملكة أدوم وامتدت لجنوب وادي الحسا، وكذلك هناك مملكة موآب التي كانت من أهم الممالك في شرقي الأردن حيث امتدت من وادي الموجب شمالا وحتى وادي الحسا جنوبا، وأيضا هناك مملكة عمون في شمال الأردن. وكذلك شهدت منطقة الجنوب حركة العبرانيين عند خروجهم من مصر باتجاه فلسطين مرورا بسيناء ومدين فوقفت شعوب المنطقة في وجههم ومنعت دخولهم من أراضيهم، وفي مرحلة لاحقة تطور الصراع بين الطرفين بسبب أطماع العبرانيين التوسعية عبر نهر الأردن شرقًا وقد انتصر العمونيون عليهم وتحكموا بهم مدة ١٨ عامًا.

وقبل نهاية القرن الثامن قبل الميلاد احتل الآشوريون سورية ومن ضمنها شرق الأردن وبقيت المنطقة تحت

حكمهم حتى ٦٢٩ قبل الميلاد، وفي عام ٥٨٦ قبل الميلاد حكم البابليون بلاد الشام، واستطاع الفرس عام ٥٣٩ ق.م القضاء على البابليين وفرض السيطرة على المنطقة.

ومع مجيء العرب الأنباط من شمال الجزيرة وإقامة دولتهم في البتراء في القرن السادس قبل الميلاد بسطوا نفوذهم إلى دمشق شمالا وجنوب فلسطين غربًا واتخذوا غزة ميناءً لهم، وبذلك أصبحت البتراء مركزًا تجاريًا مهمًا في المنطقة واستمرت دولة الأنباط قوية حتى بداية القرن الأول قبل الميلاد.

وفي عام ٦٤ ق.م جاء الرومان لاحتلال بلاد الشام وصار الأردن جزءًا من إمبراطوريتهم التي تركت بصمات مازالت باقية في أكثر المدن الأردنية، وبعد ذلك أصبح الأردن جزءًا من مملكة الغساسنة العربية التابعة للإمبراطورية البيزنطية.

وفي عام ٦٣٦م دخل الأردن في العهد الإسلامي وقامت على ثراه معارك بين المسلمين والبيزنطيين (اليرموك ومؤتة)، هؤلاء القادة الذين ضحوا في سبيل الإسلام هم خير دليل على تضحيات الأجداد لحماية البلاد والإسلام.

وازداد الأردن أهمية في العهد الأموي، فبطون الكتب مليئة بالحكايات والأسرار التاريخية عن المنطقة، والقصور المترامية في الصحراء شواهد على التاريخ، وشهدت المنطقة (الجنوب) ولادة أول حركة سرية في التاريخ الاسلامي فمن الحميمة أطاح العباسيون بأبناء عمهم الأمويين وبقيت المدن الأردنية حلقة الوصل التجاري بين بلاد الحجاز ومصر والشام بعدما انتقلت الخلافة إلى بغداد.

ومن هنا فالأردن مكان الانطلاق للأمة العربية ومن جزيرتها، ففي العام الثامن من الهجرة أرسل النبي عليه الصلاة والسلام جيشا صغيرا ليؤدب به الغساسنة الذين قتلوا حامل كتابه واصطدم بجيش الروم الجرار في قرية مؤتة جنوب الكرك، وهناك استشهد القواد الثلاثة بعد أن ضربوا أروع الأمثلة في الصبر والثبات والتضحية، وبذلك أصبحت مؤتة مفتاح التاريخ الاسلامي.

وتقع بلدة مؤتة إلى الجنوب من مدينة المؤابيين «الكرك» بحوالي ١٢كم حيث تشاهد من بعيد وسط سهل فسيح أمام هذه البلدة التي استشهد فوقها أبطال الإسلام، وتبعد المزار عن مؤتة ٣كم جنوبًا، وكلاهما على الطريق التي تربط عمان بالطفيلة ومعان.

وفي المزار حيث يرقد الشهداء الثلاثة أقيم مسجد واسع بثلاث قباب خضراء، ومئذنتين شاهقتين، وفي الإيوان الشرقي لمدخل المسجد أقامت وزارة الأوقاف متحفا إسلاميًا يضم العديد من القطع الفخارية والمخلفات المادية والنقود الإسلامية.

مؤتة المعركة

قال أبوهريرة: شهدت مؤتة، فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب فبرق بصري فقال لي ثابت بن أرقم: يا أبا هريرة، ما لك؟ كأنك ترى جموعا كثيرة. قلت: نعم.

قال: إنك لم تشهد بدرًا معنا، إننا لم ننصر بالكثرة... الواقدي ٢-٧٦١.

هناك على أرضها دارت معركة «مؤتة» بين الروم والمسلمين في العام الثامن للهجرة وسببها أن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل الحارث بن عمير الأزدي إلى والي بصرى الشام، فقتله شرحبيل بن عمرو الغساني سيد مؤتة، وهو في الطريق، ثم أرسل النبي ﷺ بعد ذلك سرية إلى «ذات أطلاح برئاسة عمرو بن كعب الغفاري وعدد رجالها خمسة عشر رجلًا» وفي هذا المكان الذي يقع بين الكرك والطفيلة دعا رجال السرية أهله الى الإسلام

فأبوا أن يجيبوا بل قتلوهم جميعا ونجا عمرو متحاملًا حتى وصل المدينة، ويذكر الطبري أن سكان ذات أطلاح هم قبيلة من قضاعة ورئيسهم يدعى سدوس.

وأشفق الرسول عليه السلام من عقبى السكوت على كلتا الفعلتين، خاصة أنه وصل له استعدادات الروم العسكرية وبعض القبائل العربية (بهراء وقضاعة ولخم وجذام وأهل البلقاء)، كل هذه الأسباب حملت النبي ﷺ على تجريد حملة غايتها الثأر للقتلى وتأديب المعتدي واختبار قوة الأعداء ومدى استعدادهم والتعرف على أسباب تجمعهم على أطراف الأردن المتاخمة للحجاز.

وفي شهر جمادي الأولى من السنة الثانية للهجرة (أيلول ٦٢٩م) جرد الرسول الكريم جيشًا بلغ عدده ثلاثة آلاف وأمر عليهم زيد بن حارثة.

وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب فعبدالله بن رواحة على الناس، فلما قتلوا أخذ الراية خالد بن الوليد.

نقل المسلمون شهداءهم من أرض المعركة (المشهد) إلى مكان عرف فيما بعد بـ«المزار» وأخذ خالد في إنقاذ الجيش الإسلامي الذي لا قدرة له على مواجهة جيش الروم وحلفائهم العرب، فبادر بتغيير المواقع لجيشه (خطة إنقاذ) حتى يوهم الروم بأن المدد قد جاء وانطلت الخطة عليهم، وأنقذ خالد ما تبقى من الجيش عائدًا للمدينة، وقد صاح الناس فيهم يا فرار.. يا فرار.. فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن الغنيمة في رجوعهم إلينا سالمين من موت كان محتمًا عليهم، بل إنهم الكرار إن شاء الله، وسمى خالد بن الوليد لحنكته العسكرية «سيف الله المسلول» وعندما علم أن تسعة أسياف تكسرت بيديه وهو يقاتل.

ومن نتائج المعركة كان لعودة الجيش إلى المدنية وقع شديد على نفوس المسلمين حتى خرج أهل المدينة لملاقاة الجيش وهم يقولون: يا فرار.. أفررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.

وقد كان من نتائج المعركة ما يلي: استشهاد اثني عشر مقاتلا من المسلمين بما فيهم القادة الثلاثة، تخليص جيش المسلمين من معركة غير متكافئة، دخول القبائل العربية في شمال الجزيرة في الاسلام ونشره، كانت المعركة فرصة للمسلمين للاحتكاك مع جيوش خارجية لأول مرة.

الدروس المستفادة

برز من خلال هذه المعركة منذ بداية الحملة وحتى عودة الجيش إلى المدنية بعض المواقف والدروس المستفادة، ومنها رفع الروح المعنوية والتصميم على الهدف، حيث صمم الجيش على المضي في التقدم لملاقاة الروم رغم الأعداد الكبيرة للجيوش المعادية، والمرونة والخدعة، حيث ظهرت في الخطة التي طبقها خالد واستطاع خداع الروم دون أن يعرفوا نواياه الحقيقية، والشجاعة وقوة الشخصية، وظهرت في استبسال القادة الثلاثة الذين قاتلوا قتالًا مشرفًا وفي القائد الرابع وهو خالد بن الوليد وحنكته العسكرية، وكذلك الطاعة والنظام، وتتمثل في طاعة الجيش حسب وصية النبي ﷺ في تسلسل القيادة، ثم وصيته في القتال وعدم التعرض للشيوخ والأطفال والنساء.

وفي النهاية لقد كانت غزوة مؤتة صفحة مشرقة في تاريخنا العسكري الإسلامي، وتركت في نفوس الروم أثرًا من ملاقاة المسلمين، فلم يحاول الروم ولا أتباعهم من العرب أن يتعرضوا للمسلمين، وبقيت الدولة الإسلامية مهابة وعظيمة لأنها تستند إلى رجال عظماء ضحوا بأرواحهم في سبيل نشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها.

الدعوة والتحديات المعاصرة!

محمد الدسوقي
داعية إسلامي

إن الإسلام الذي أمر الله سبحانه وتعالى بالدعوة إليه ينتظم العقيدة التي تفسر للناس الكون من حولهم، والحياة التي يعيشونها، والوجود الإنساني.. كما ينتظم القوانين التي تتضمن المصالح التي لا قيام للمجتمع إلا بها، والمصالح التي تيسر للناس الحياة، والمصالح التي ترشدهم إلى العادات الحسنة والعرف الصالح، وتعرفهم بنظام العبادة والسلوك الطيب الحسن.

والإسلام ينتظم - أيضا - المبادئ التي تحفظ حقوق الفرد، وتحمي حريته، وتصون كرامته، وتدعو إلى العمل الجاد لدين الله سبحانه وتعالى، ولدنيا الناس، كما ينتظم العلاقات الإنسانية التي يمكن أن ترسي قواعد السلام العالمي، وتعاليمه تناهض النظام الطبقي، والتمايز العنصري، وتدعو إلى احترام العقل وقبول حكمه فيما له قدرة على

الفصل فيه.

وهذه القضايا هي في حقيقة أمرها قضايا الحياة التي جاء بها الوحي ليستقيم أمر الناس، ويأمنوا الضار وهم يحاولون التقدم الصحيح، والرقي المنشود.. ومن ثم عظُم أمرُ الدعوة إلى الله تعالى، وجل شأنها، ويبدو ذلك جليا في آيات القرآن الكريم.. يقول عز وجل آمرا بالدعوة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

وهي وظيفة الرسول ﷺ، ووظيفة أتباعه من بعده.. يقول عز وجل:﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨).

والدعوة إلى الله عز وجل أحسن قول، وأهدى عمل.. يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣)، وقد أخذ الله تعالى الميثاق على أهل الكتاب أن يدعوا إلى كلمة الله الحقة فقال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران: ١٨٧).

خير أمة

وإهمال الدعوة من كبائر الإثم، ومن موجبات العقاب.. يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٥٩-١٦٠).

والأمة الإسلامية تميزت عن غيرها من الأمم بقيامها بهذه الفريضة.. يقول عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).. وبهذا تستحق الأمة الإسلامية رعاية الله سبحانه وتعالى، والاستظلال بظلال رحمته الوارفة.. قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٧١).

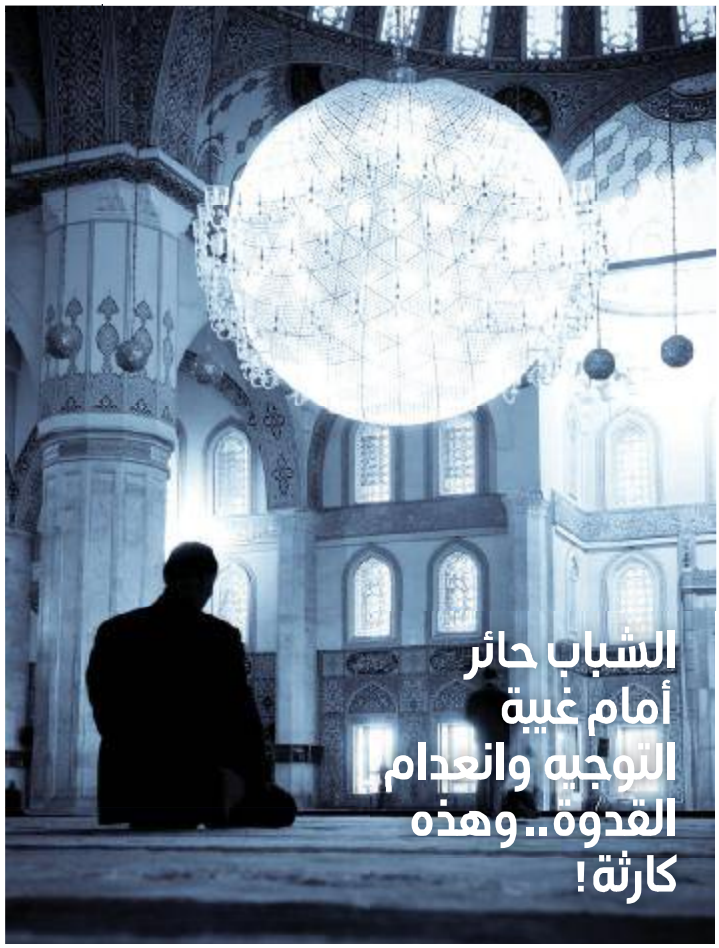

صفات الدعاة

إن الدعوة إلى الله عز وجل دعوة إلى الحق والخير، ووراثة للنبوة، ولا يصلح لها إلا عظماء الرجال، وصفوة الأمة، والذين مَنّ الله تعالى عليهم بصفات متميزة تعينهم على النجاح في أداء مهمتهم السامية.. ومن هذه الصفات:

- العلم بالدعوة، والرسوخ في الدين، ومعرفة العلوم التي تعين الداعية على النجاح فيما هو بصدده، ووعي المذاهب الاجتماعية، والاتجاهات الفكرية المعاصرة.
- العمل الذي يتمثل في قوة الإيمان، وشدة الإقبال على الله سبحانه وتعالى، والزهد فيما لا ينفع، وتذكر الآخرة والاستعداد لها.
- التزام القانون الأخلاقي من الصدق والإخلاص والشجاعة في الجهر بالحق والصبر والمصابرة، والأمل في النجاح حتى لا يتسرب اليأس إلى النفس.
- القدرة على التعبير والتأثير، وحسن العرض، وقوة الحجة.
- فهم أساليب الدعوة، واختيار الأسلوب العصري والسهل والفصيح.
- لابد أن يكون الداعية قدوة حسنة فيما يدعو إليه من خلق حسن، وعزوف عن سفاسف الأمور، وتحمس للحق والخير.

نقول هذا بعد أن دخل ميدان الدعوة إلى

الدولة الإسلامية وظيفتها الدعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه وقيمه

الله نفر ممن لا يحسنون عرض الإسلام، ويمثلون في الواقع عبئا عليه إذ تحسب تصرفاتهم وأفعالهم الشخصية على الإسلام وهو منها براء!

أسلوب الدعوة!

وضع الإسلام للدعوة أسلوبا حكيما، ومنهجا رشيدا.. فهو يقسم المدعوين أقساما ثلاثة، ويجعل لكل قسم أسلوبا خاصا به:

- القسم الأول: جماعة العلماء.. وهؤلاء يدعون بالحكمة.. وهي أعلى أنواع المعرفة، والمعبر عنها بالفلسفة التي يذعن لها العقل، ولا يجد بدا من الخضوع لها.
- القسم الثاني: عوام الناس.. وهؤلاء تكون دعوتهم بالموعظة.. وهي التعاليم التي تشعر النفس البشرية بنقصها، وخطر أمراضها الاعتقادية والخلقية، وتحملها على معالجتها حتى تشفى وتهتدي.
- القسم الثالث: طائفة المجادلين.. وهؤلاء ينبغي أن يكون الجدل معهم حسنا لا يشوبه عنف، ولا تخالطه غلظة.. وإنما تواجه الحجة بالحجة، وتقاوم الفكرة بالفكرة على أساس من المنطق السليم ابتغاء تجلية الحق والكشف عن وجه الصواب.

وهذا الأسلوب هو الذي ذكره رب العزة سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

طرق الدعوة

الحقيقة التي لا مراء فيها أن الدعوة إلى الله عز وجل لها طرق كثيرة.. منها الخطابة والمحاضرات والندوات ودروس الوعظ والتذكير.. وهذه يكون تأثيرها كبيرا في النفوس متى صدرت عن إخلاص، ومتى أعدها الداعية وأداها بأسلوب حسن، وكانت تعالج واقع الناس، ومشكلات الحياة.

ومن طرق الدعوة: المساجد، والمعاهد، والمدارس، والصحف، والإذاعة، وسائر أجهزة الإعلام الحديثة التي لابد من أن توضع لها سياسة مرسومة، وخطط حكيمة حتى تثمر ثمارها، وتنتج آثارها من الاستضاءة بنور الوحي، والاهتداء بهداية الإسلام.

وحري بنا أن نؤكد أن أجهزة الإعلام الحاضرة تمثل الخطر القادم على المثاليات والأخلاقيات، إذ تستطيع أن تهدم في دقائق معدودة ما يبنيه الدعاة في أزمان طويلة لما لها من قدرة على اختراق المجتمعات المختلفة.. وهذا ما يدعو إلى ضرورة العمل لتطويعها في خدمة الإسلام والمسلمين.

إن أجهزة الإعلام في الحاضر مهيأة تماما لأن تكون سلاحا مشهرا في وجه أبناء الأمة الإسلامية بعد أن برع خصومنا في استخدامها ترويجا لدعاواهم الكاذبة، وانتصارا لفكرهم السام فأصبحت في كثير من الأحيان يدا ضاربة للمسلمين، ووسيلة للتشكيك في الدين، والحض على الرذيلة.

قدوة حسنة

وواجب الحكومات في تطويع تلك الأجهزة يسبق بكثير واجب الأفراد، فالحكومات هي المالكة لها، وهي المشرفة عليها، والمخططة لكل ما يقدم بها.. وعلى الحكومات أن تعيد إلى أجهزتنا الإعلامية هويتها الإسلامية، وأن تتنشلها من تلك التبعية المخزية لإعلام الغرب أو الشرق.

ومن طرق الدعوة أيضا: القدوة الحسنة، والأسوة الطيبة التي لها شأن كبير وأثر بعيد المدى إذ هي علم هاد يشير إلى المثل الحي، والفضيلة المجسمة، وعرض للنموذج البشري الصالح الذي يراد محاكاته والاقتداء به.

ومنها أيضا تأليف الكتب السهلة الجذابة الجادة التي تعرف الناس بالإسلام، وتشرح لهم تعاليمه، وتقنعهم بأنه وحي الله تعالى إلى نبيه ومصطفاه محمد ﷺ، وأنه منهج كامل يتناول شؤون الحياة جميعا وأنه كفل للناس جميع حقوقهم الكافية لإسعادهم وجلب الرخاء والأمن والسلام لهم.. وأنه أوجد حضارة مشرقة وتاريخا مجيدا يوم أن طبق تطبيقا صحيحا.

ومن طرق الدعوة: إحياء الشريعة بتعلمها وتعليمها، والعمل بها، ودفع الشبهات عنها، وإظهار تفوقها على كل نظم الأرض وقوانينها الوضعية.

الدعوة إلى الله أحوج ما تكون لأناس يصدعون بالحق دون خوف أو مجاملة!

وجه مشرق

ومن الطرق التي يجب العناية بها تنقية الثقافة الإسلامية من الرواسب التي أضيفت إليها كبعض التفسير للقرآن الكريم الذي لا أصل له، والأحاديث المردودة والضعيفة، ومسائل الفقه التقليدية التي تمثل الجمود والتعصب، والقضايا التي لا صلة لها بالإسلام.. فهذه وأمثالها من الحجب التي تحجب وجه الإسلام المشرق الجميل.

ومنها قيام الدولة الإسلامية برسالتها، فالدولة في الإسلام رسالتها الدعوة إلى الإسلام، ونشر تعاليمه العقائدية والعبادية، وقيمه الخلقية والاجتماعية.. وواجب الدولة ينحصر في أمرين:

- الأول: بذل المال وإنفاقه في نشر الدعوة وإعلانها حتى يدوي صوتها في العالمين.
- الثاني: وضع خطة منظمة للدعوة، واتخاذ الأساليب التي تضمن لها النجاح، والتمكين في الأرض.

تكوين الدعاة

إن هذا العصر عصر صراع فكري بقدر ما هو عصر صراع عسكري.. ولا يمكن للإسلام أن يقف أمام هذا الصراع، إلا اذا كان مسلحا بقوى هائلة من دعاة مؤمنين به، وفاهمين له، ومشبعين بروحه وواقفين عليه جميع قواهم وكل طاقاتهم.

وصراع الأفكار في العصر الحاضر قوي عنيد، ولابد من مقاومته بقوة تفوقه، وتتغلب عليه، والإسلام في ذاته قوة!.. ذلك أن الإسلام ليس فيه ما يشق على الناس فهمه، أو يصعب عليهم العمل به.

إن روحانية الإسلام روحانية مهذبة لا تغمط الفطرة حقها، ولا تميل بالإنسان يمينا أو يسارا.. كما أنه ليس فيه مادية بعض الأديان، ولا رهبانية البعض الآخر.

إن الجو مهيأ في الحاضر لتقبل الإسلام بعد أن فشلت النظم الوضعية في التخفيف من معاناة الناس، وبعد أن تنكرت تلك النظم للوجود وتحللت من كل الفضائل، والأخلاق والمثل والمكارم.. وبعد أن منيت بالفشل في المناحي السياسية، والاقتصادية والاجتماعية.

ولذا يلزم اختيار الدعاة من بين ذوي العقول المستنيرة، والنفوس الطاهرة، والعواطف الجياشة، والإرادة القوية، والسمت الحسن.

إن شخصية الداعية القوية هي التي تستطيع أن تؤثر التأثير المنشود في العقول والقلوب بعد أن يكون قد تزود بحفظ القرآن الكريم وفهمه فهما صحيحا، ومعرفة السنن الصحيحة والسيرة، وهدي السلف، والاطلاع على العلوم التي تبين مشيئة الله تعالى في المجتمع البشري.

يضاف إلى هذا ضرورة الاختلاط بالناس لمعرفة عاداتهم وتقاليدهم، وأمراضهم وعللهم.. فيكون الداعية مثل الطبيب في تشخيص الداء ووصف الدواء.

أخلاق الدعوة

والدعوة إلى الله عز وجل أحوج ما تكون إلى دعاة يخلصون الدعوة إلى الله لا للوظيفة.. ويصدعون بالحق دون مجاملة لأحد من الناس، ويكون سلوكهم صورة صحيحة لما يقولون، ويكونون قدوة حسنة في العلم والعمل والزهد ومكارم الأخلاق.

ولاشك في أننا بحاجة شديدة إلى أن نوفر لهؤلاء الدعاة معينا صافيا من الثقافة الإسلامية الرفيعة، وأن نوفر لهم التوجيه السديد والقيادة الواعية المستنيرة التي تقود مسيرة الدعوة قيادة صحيحة.

إن غيبة التوجيه، وفقدان القيادة الداعية، وانعدام القدوة، وحدوث التمزق بين أفراد الأمة وجماعاتها أمام كثرة التيارات الإسلامية التي يعجز شبابنا منفردا عن المعادلة بينها والتعرف على الصالح منها والطالح.. كل هذا أضر بالشباب المسلم، فأحدث عند البعض فراغا شديدا جعلهم يتوجهون وجهات لا إسلامية ليملأوا هذا الفراغ! ومن ثم أصبح هذا البعض لا يجيد التفريق بين ما هو إسلامي وما هو دخيل على حياة المسلمين! كما أحدث عند جماعة أخرى من الشباب نوعا من السلبية المميتة تجاه قضايا الإسلام.

والواقع الذي نعيشه اليوم يؤكد وجوب العناية بتكوين الدعاة تكوينا خاصا يتوازى مع عظيم مهمتهم.

ينوي تسجيلها كاملة بصوته

القارئ عبدالرشيد صوفي لـ «الوعي الإسلامي»:
حملت على عاتقي إخراج القراءات من حيز التدوين

حوار: عامر أحمد

ارتبط صوته الشجي الذي يتمدد في ربوع النفس بروايات قرآنية كادت أن تندثر، بل إن كثيرًا من أبناء الأمة الإسلامية، حتى من بعض طلاب العلم، لا يكاد يعرف عنها شيئًا.. تسمع السكت على الهمزة الذي تتجمل به قراءة حمزة، والادغام الذي تأسرك برونقه رواية السوسي، والإمالات التي تتزين بها قراءة الدوري عن الكسائي، وغير ذلك من أوجه جمال القرآن والقراءات وبهائها.. ختمات الروايات المختلفة للشيخ المتقن ذي الأداء الخلاب الذي يخلو من التكلف الشيخ عبدالرشيد بن شيخ علي صوفي انتشرت عبر أثير كثير من الإذاعات العربية والإسلامية ومواقع الإنترنت لينهل منها طلاب القراءات ومحبو القرآن في كل مكان.. «الوعي الإسلامي» التقت الشيخ عبدالرشيد صوفي فكان هذا اللقاء:

• شيخنا المبجل.. من أين كانت بداية مشواركم القرآني؟

– كانت البداية مع الوالد– رحمه الله– الذي كان مقرئ البلاد (الصومال) وشيخها ومفتيها فترعرعنا وتربينا في مسجده في مقديشو (العاصمة)، وكان يدخلني في الحلقات منذ الصغر، وأذكر أنه كان إذا أقيمت الصلاة أجلسني أمام الصف، وهذا أستدل به على أنني كنت أقل من سبع سنوات، لأنني لو كنت أكبر من ذلك لأمرني بالصلاة، وكانت له حلقتان واحدة بعد المغرب وأخرى بعد الفجر، وفي كل حلقة يقرأ جزء بالتناوب، جزء في الصباح وجزء في المساء، مع العناية البالغة بالتصحيح والتجويد، كما أن هاتين الحلقتين كانتا فرصة طيبة لمن يريد أن يأخذ شيئًا من القراءات، فقد كان الوالد معه القراءات يدرسها ويعطي فيها إجازات.

ومن كثرة ما طرق سمعي من القرآن والقراءات التي كانت تقرأ عليّ عندما جاء وقت حفظ القرآن وجدت الأمر سهلاً، فعندما عزمت على حفظه ما أخذ مني غير شهر، فقد كنت أحفظ كل يوم جزءًا، وكان الحفظ المتقن في سن العاشرة تقريبًا، ومن بركات هذه الحلقات أن أكثر من يقرأ القرآن والقراءات في الصومال الآن (أكثر من ٩٨٪) تخرج في هذه الحلقات أو تخرج على من تخرج فيها.

أما مشوار القراءات فقد كان والدي يخصص دروسًا في الشاطبية، بل كان درس الشاطبية مثل القرآن، لا يتوقف أبدًا، لا في إجازة صيف ولا في يوم عيد ولا يوم عطلة ولا يوم جمعة... إلخ، وإذا انتهى الدرس، أي إذا انتهينا من شرح الشاطبية لا تؤخذ إجازة يرتاح فيها الطلبة والشيخ، كما هو معتاد عند المشايخ، بل كان يبدأ درس جديد في اليوم التالي مباشرة.

• نسمع لفضيلتكم مصاحف مرتلة بروايات عدة تذاع عبر الإذاعات العربية.. كيف تكونت فكرة تسجيل القرآن الكريم بروايات متعددة؟

– التسجيل الصوتي كان فكرة انبثقت

لهذا حفظت القرآن في شهر واحد... جزءا كل يوم!

عجز المطابع البدائية كان سببا في انتشار رواية حفص... ولا مانع من القراءة وفق المقامات... لكن بشروط!

من بعض تسجيلات هواة التسجيل من الطلبة الذين كانوا يصلون معنا، في مسجدي في قطر، فكانوا يسجلون القراءة في الصلاة، وكنت قد عزمت منذ أن بدأت أن أصلي بالناس أن أخرج هذه القراءات من حيز المحفوظات الضيق الذي لا يعلمه إلا القليل من طلبة العلم، لأن الله لم ينزل هذا القرآن بهذه الأحرف السبعة لكي تحفظ في مكان ولا تتداول، ولكن أنزلها لتقال للناس وتُقرأ، ومعظم من أسند في القراءات من أئمة قدامى إنما أخذوا هذه القراءات من أئمة في الصلاة، وكانت هذه مهمة وضعتها على عاتقي رغم قلة الموافقين لها، فهذا الفن صار غريبًا ليس على المسلمين، بل على طلبة العلم، لذلك انتشرت بعض الروايات لا سيما رواية السوسي عن أبي عمرو في البيوت والإنترنت وقد سجلت في الصلاة ولم أتعمد تسجيلها، لكن بعض الإخوة سجلوا بعد أن استحسنوا الصوت، ثم سجلنا في مصر ختمة أخرى أمام لجنة من الأزهر الشريف وبمراجعتها، للسوسي أيضًا، وهي التي تذاع في إذاعة دولة الكويت، وهذا النوع من التسجيل المراجع الذي يحضره العلماء هو الأفضل، أما الصلاة فقد يقع فيها خطأ أو سهو أو نسيان.

• سجلتم السوسي والدوري عن الكسائي وخلف عن حمزة وحفص.. ما سر اختيار هذه الروايات تحديدًا؟

– لما رأيت أن القراءات تدون في الكتب وتدرس في حيز ضيق ولم تسجل صوتيًا، إذ أول من سجل القراءات الشيخ الحصري، وقد سجل أربع روايات فقط، له حفص وله قالون وله الدوري عن أبي عمرو، وله ورش وكان الشيخ يريد أن يتم لكن وافته المنية قبل أن يستكمل المهمة، وجدنا أنه لابد من هذه التسجيلات، وقد حملت على عاتقي أن أخرج هذه القراءات من هذا الحيز الضيق، لكن قلت أنا لا أتحمل هذه المسؤولية وحدي، فأنا بشر قد أخطئ، فكانت المشورة أن أذهب إلى مصر وأسجل أمام لجنة من الأزهر ليكونوا مراقبين للتسجيل وأيضًا بعد الانتهاء من التسجيل يراجعونها مرة أخرى وهذا من فضل الله، وأول ما بدأت بدأت بخلف عن حمزة، وكان كبير المراجعين لي أثناء التسجيل فضيلة الشيخ أحمد عيسى المعصراوي شيخ عموم المقارئ المصرية الذي قال: هذه الرواية من أصعب الروايات فلنبدأ بها، فكانت بداية طيبة ثم بعد ذلك جاءت رواية السوسي ثم الدوري عن أبي عمرو، وأنوي تسجيل كل القراءات بصوتي، والآن الحمد لله نحن بصدد تسجيل قراءة ابن عامر في الأزهر وسجلنا هشام من طريق الشاطبية، أما ابن ذكوان فنسجل من الطريقين الشاطبية والطيبة، وكل منهما سيوضع في ختمة مستقلة.

• لماذا يبدأ طلاب علم القراءات أولًا بالشاطبية، على الرغم من أن الطيبة حوت الشاطبية وزادت عليها طرقًا كثيرة؟

هذا الفن يُتلقى والتلقي يتضمن أن تتبع الملقي نفسه، والملقون لهذا الفن والأئمة لهذا الأداء لهم نظام وسلم لابد من اتباعه، فمن أراد أن يتعلم القراءات قالوا له أولًا الشاطبية، لأنها هي المفتاح، بها يفتح الله لك إن شاء الله في البقية، لكن لو أن أحدًا قال أنا سأبدأ بالطيبة من البداية فلا بأس ولا مانع من ذلك، والشاطبية تدرس في معاهد القراءات في مصر في مرحلة تسمى العالية، تدرس في ثلاث سنوات، وإدراكا من الإمام ابن الجزري لأهمية

الشيخ في حوار مع رئيس التحرير

الشاطبية نظم الدرة المكملة للشاطبية، فالدرة لمن لا يعرف الشاطبية لا تفيده شيئًا، لأنها مكملة للشاطبية.

● برأيك لماذا انتشرت رواية حفص عن عاصم دون غيرها؟

– هذا الأمر يحتاج إلى فريق يكلف به، يبحث في البلاد التي فيها المخطوطات عن القراءات التي كانت منتشرة وما تاريخ انتشار رواية حفص بالضبط، والذي عندي إلى الآن في هذا الأمر، ولا أنسبه لنفسي، بل أخذته من الشيخ عبدالفتاح القاضي وأيضًا من بعض المخطوطات التي عندنا وعمرها قرابة ١٠٠٠عام من التاريخ الهجري أن الناس في بلاد المشرق كانوا يقرأون برواية الدوري عن أبي عمر، دل على هذا دليلان، الأول أن عندي مصحفًا خُطّ سنة ١١٧٣هـ في مصر، يقول كاتبه في المقدمة»واعلم أن هذا المصحف خط بما يوافق قراءة أبي عمرو، لأن أهل مصر لا يعرفون سواها، ولا يقرأون غيرها»، والثاني أن التفاسير الموجودة كلها كتبت على قراءة أبي عمرو البصري.

ويقال إنه لما بدأت المطابع في الانتشار، وأرادوا أن يطبعوا المصحف، وجدوا أن قراءة أبي عمرو تتضمن أحرفًا كثيرة لا يمكن كتابتها، فالأوائل كانوا يرمزون إليها بالألوان التي لم تكن متوافرة في المطابع في ذلك الوقت، مثل تسهيل الهمزات والادغام والإمالات، فلما أرادوا طبع المصحف طبعوه وفقًا للقراءة التي هي أقرب إلى الكتابة الموجودة على آلة الطباعة في ذلك الوقت فوجدوا أنها رواية حفص، لأنه لا يوجد فيها إمالات إلا حرفًا واحدًا ﴿بسم الله مجراها﴾، ولم يسهل إلا حرف واحد ﴿أاعجمي وعربي﴾، هذا الذي يتبادر، لكن المسألة تحتاج إلى تحقيق وبحث.

● ما رأيكم في قراءة القرآن وفق المقامات؟

لا علم لي بهذه المقامات، ولاشك أنّ ما يسمى بالمقامات أو بالألحان أو بالنغمات إن لم تكن متكلفة مخرجة لنص القرآن والتجويد عن الصواب إلى اتباع الألحان فهذا لا بأس به، أما أن يتكلف تعلمها وتصبح الشغل الشاغل، فهذا يقرأ بياتي وهذا سيكا...إلخ وتضيع الأحكام كما انتشر في السنين التي مضت، فهذا محل استنكار من العلماء، لكن الصوت الحسن مطلوب ومتفق على طلبه، فقد قال النبي ﷺ «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به»، وأيضًا قصة أبي موسى الاشعري رضي الله عنه معروفة، لكن هذا الصوت الحسن المطلوب بإيجاز من القول شرطه ألا يخرج القرآن عن معناه ولا يتجاوز الأحكام، فلا آتي لأوافق النغمة فأزيد في المدود، وأزيد في الغنن... وهكذا.

● ماذا عن سرقة النفس، كما يسمونها؟

– سرقة النفس خطأ لأنه من التجاوز في الأحكام، أما بالنسبة للحرمة الشرعية فقد قال الإمام إبن الجزري:

وليس في القرآن من وقف وجب
ولا حرام غير ما له سبب

فما يذكر أنه يجوز أو لا يجوز معظمه اصطلاحي إلا ما أخرج عن مراد القرآن إلى معنى محرف للشرع، فهذا حرام.

● كثير من طلبة العلم وغيرهم يتساءلون: هل قرأ النبي ﷺ بكل هذه الأوجه التي لا تكاد تحصى مع تحريراتها؟

– نعم النبي ﷺ قرأ بكل هذه الأوجه أو قرئت عليه، ولا شك أنها كلها متلقاة عن جبريل عن رب العزة، ومن المهالك ما انتشر بين البعض جهلًا منهم من أن القراءة الأصلية عند النبي ﷺ كانت حفص والبقية أذن بها، أما التحريرات فهي قسمان قسم ثابت عند الأئمة القدامى ومنصوص عليه في كتبهم، وهو عبارة عن المراعاة والتناسق بين الأحكام، فلا تأتي مثلًا وأنت تقرأ بقصر المنفصل فتمد بعضه «واللفظ في نظيره كمثله»، لكن لكل أهل فن متنطعون، ونفس هذا الكلام يوجه إلى علم الحديث، فهذه التحريرات لإثبات النص الصحيح، فالتنطع منبوذ، حتى إن خلط الطرق بعضها ببعض إذا كان من متقن للروايات عارف بها فهو مكروه، وكذلك خلط رواية برواية، وأقطع ما فيه أنه كذب على الرواية.

● من أبرز الشيوخ الذين تأثرت بهم؟

– كلنا عيال على الحصري، عليه تدربنا وتعلمنا القراءة، كذلك أستمع إلى المنشاوي، أما المجودون فأحب أن أستمع إلى الشيخ محمد رفعت، والشيخ محمد عمران، ومن الموجودين أحب أن أستمع إلى الشيخ محمد أيوب.

في رحاب الشيخ محمد أمين سراج

اسطنبول - خاص

في يوم الاثنين ٢٠١٢/٤/٣٠م بعد صلاة الظهر مباشرة زارت مجلة الوعي الإسلامي الشيخ محمد أمين سراج- حفظه الله- أمين الفتوى والمدرس بمسجد الفاتح في إسطنبول، والمولود عام ١٩٣١م في توقاد بلد العلماء، وشيخ الإسلام مصطفى صبري.

والشيخ أمين سراج لمن لا يعرفه، أحد العلماء المعروفين بالورع والزهد، فقد حفظ القرآن الكريم على يد والده رحمه الله، حيث كان يوقظه بالليل حتى لا يراه أحد ومع ذلك اكتشف أمره وسجن والده، حيث منعت أيام النكبة عام ١٩٤٣م تدريس العلوم الشرعية..

وقد تلقى العلم على يد بعض مشايخ مسجد الفاتح في إسطنبول كالشيخ محمد خسرو أفندي وهو من كبار مشايخ مسجد الفاتح، ورئيس القيمين الشيخ سليمان أفندي، وكلمة أفندي تطلق على أولاد السلاطين، وعلى العلماء.

ومن شيوخه أيضا العلامة الشيخ علي حيدر أفندي من كبار المشايخ في المشيخة الإسلامية في هيئة التدريس والإفتاء، والشيخ مصطفى لطفي أفندي، وقد تلقى العلوم الشرعية على أيديهم في الفقه الحنفي: مراقي الفلاح ومتن القدوري والهداية، وتفسير البيضاوي، وإحياء علوم الدين، والشفا للقاضي عياض، وصحيح البخاري والترمذي.

وفي سنة ١٩٥٠ رحل إلى مصر ودرس في الأزهر، والتقى العلامة

شيخ الإسلام مصطفى صبري الذي خصص له يوم الخميس، والشيخ محمد زاهد الكوثري الذي خصص له يوم الجمعة.

وقد تخصص الشيخ في القضاء الشرعي، ودرس السنة الأولى ولم يكمل.

ومن شيوخه في مصر: الشيخ محمد حسنين مخلوف، وعيسى منون، والشيخ أحمد فهمي أبوسنة، وعبدالوهاب البحيري، وغيرهم من العلماء.

ورجع الشيخ إلى إسطنبول عام ١٩٥٨، وقد زار دمشق أكثر من مرة، بدعوة من صديقه الشيخ د.نورالدين عتر، والتقى بعدد من علماء دمشق، منهم: الشيخ الفقيه وهبي سليمان غاوجي الألباني، والشيخ محمد أديب كلاس رحمه الله، كما التقى بالشيخ المقرئ الفقيه عبدالرزاق الحلبي.

ويعمل الشيخ حاليا مدرسا بجامع السلطان محمد الفاتح بإسطنبول، ويدرس الطلاب في مسجد الفاتح بعد صلاة الصبح في شهر رمضان، كذلك درَّس العلوم الشرعية والقرآن، والفقه الحنفي كنور الإيضاح ومتن القدوري، وملتقى الأبحر، والهداية، والتفسير للقاضي البيضاوي، وإحياء علوم الدين، والبخاري والترمذي، ودرَّس سبع مرات كتاب الشفا للقاضي عياض.

وفي عام ١٩٨٩م أصدرت مجموعة من صفوة علماء العالم الإسلامي فتوى بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين، وكان من بينهم: الشيخ محمد أمين سراج.

ولم يهتم الشيخ كثيرا بالتأليف، حتى إن بعض تلاميذه يدونون ما يقوله في دروسه، ولكنه ترجم مع آخرين، بعض الكتب الإسلامية إلى اللغة التركية:

ككتب العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى.

سيناريو الإعلام المطبوع في الألفية الثالثة (١-٤)

خبراء وأكاديميون يناقشون.. إعلامنا المطبوع في الألفية الثالثة.. الواقع والتحديات

هالة عبدالحافظ/ إشراق أحمد - دار الإعلام العربية

كثيرة هي التطورات الراهنة التي يشهدها العالم الآن بفضل ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتي لعبت دورًا هائلًا في المجالات كافة، ولاسيما الصحافة المطبوعة.. مع وجود دراسات عديدة ومخاوف أكثر بانقراض الصحافة المطبوعة للحد الذي يقول فيه المحلل تيم باجاران رئيس «كريتيف ستراتيجيز»: «إن نهاية الصحافة المطبوعة والاستعاضة عنه بالصحافة الرقمية مجرد مسألة وقت».. لكن لا يبدو الأمر كذلك بالنسبة إلى صحافتنا العربية المطبوعة، التي ارتبط بها القارئ بعلاقة حميمة من الصعب أن تمحوها صحافة الآلة.. تعالوا نتعرف عبر السطور التالية على واقع وتحديات صحافتنا المطبوعة في الألفية الثالثة.

«ثورة الاتصالات أدخلت الصحافة المطبوعة في اختبار صعب وجعلتها تواجه تحديات غير مسبوقة».. بهذه

يحيى قلاش: التحديات التقنية ليست خطيرة بالنسبة للصحف العربية

د.هشام عطية: العالم يتخلص من صحافته الورقية.. ولدينا تتزايد!

الكلمات بدأ الكاتب الصحفي يحيى قلاش، السكرتير العام السابق لنقابة الصحفيين المصرية حديثه، موضحًا أن هذا ليس التحدي الأول للصحافة المطبوعة في العالم العربي، حيث سبق أن تعرّضت لتحديات مماثلة عندما ظهرت وسائل إعلام أخرى مثل الإذاعة ثم البث التليفزيوني، وفي كل تجربة من هذه التجارب كانت هناك أصوات تردد أن هذه الوسائل الجديدة ستكون بديلًا للصحافة المطبوعة، وهذا ما لم يحدث.

أكبر التحديات

وعلى الرغم من اعتباره أن التوجه إلى الصحافة الإلكترونية أصبح من أكبر التحديات التي تواجه الصحف المطبوعة في العالم أجمع، فإن «قلاش» يؤكد أن الأمر ليس كذلك بالنسبة إلى الدول العربية، مبررًا ذلك بوجود نسبة كبيرة من الأمية الحاسوبية بين العرب، إضافة إلى نسبة كبيرة أيضا ليست لديها القدرة على امتلاك وسائل التكنولوجيا العصرية، ما يحول دون استيلاء الصحافة الرقمية على مكانة الصحافة المطبوعة، إضافة إلى جانب مهم وهو الارتباط الروحاني بين القارئ العربي والصحافة المطبوعة والتي يعتبرها جزءًا أساسيًا من عاداته اليومية.

أضاف «قلاش» أن الصحافة الإلكترونية والمدونات وغيرها تجارب بدأت تحظى بإقبال وانتشار في المجتمعات العربية، لكن ليس بالحد الذي يهدد الصحافة المطبوعة، وخاصة أن هذه الأخيرة تحظى بمصداقية أكبر مما ينشر عبر الوسائل الرقمية المختلفة.

وعن اختلاف واقع الصحافة العربية المطبوعة عنه في العالم، قال قلاش إن الصحافة المطبوعة في العالم كله تواجه تحديات كثيرة، لكنها في العالم الغربي أكثر؛ نظرًا إلى فقدان كثير من القراء الذين انصرفوا إلى الوسائل التكنولوجية، فالصحيفة في الأساس مشروع اقتصادي، وكثير من إمبراطوريات الصحافة في العالم بدأت تعمل على نقل مطبوعاتها إلى نسخ إلكترونية، فالتحديات التي تواجه الصحافة المطبوعة في العالم المتقدم أكبر منها بالنسبة إلى الصحافة المطبوعة في العالم العربي، ونفى بشدة فكرة اختفاء الصحافة المطبوعة على الأقل خلال قرن من الزمان!

دخول عصر جديد

أما د.هشام عطية، أستاذ الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة، فرجع بالحديث إلى الرصد العلمي للجهات المهنية المعنية بصناعة الصحافة، والتي ركزت في حديثها على أن الإعلام المطبوع بدأ يتقلص دوره من حيث عدد المطبوعات، وأرقام التوزيع، وذلك في العقد الأخير من القرن العشرين، والعقد الأول في القرن الحادي والعشرين، إلا أن هناك مناطق عديدة خارج الخريطة العالمية سارت عكس هذا الاتجاه وعلى رأسها المنطقة العربية، فهي المنطقة الوحيدة المحافظة على عدد المطبوعات بل إنها تزايدت.. لذلك يمكن القول إن الإعلام المطبوع في المنطقة العربية أفضل حالا من معظم مناطق العالم، موضحًا أن العدد الإجمالي للصحف مستمر في التزايد كل عام، وبالتطبيق على مصر نجد أن الواقع يشير إلى أن عدد المطبوعات يزيد من آن إلى آخر ما بين إصدارات يومية وأخرى أسبوعية، وذلك لأن جيل

قراءة الصحف هم متوسطو الأعمار، وكبار السن، وهؤلاء تربوا على الصحف المطبوعة حتى أصبحت جزءًا من أسلوب حياتهم، والتفسير الآخر هو أن الإنفاق على الصحافة المطبوعة أكثر بكثير من الصحافة الإلكترونية، إضافة إلى أن المعلنين ليس لديهم الثقة في الإعلام الإلكتروني، فالقارئ يفضل متابعة الإعلام الورقي، إضافة إلى أبعاد أخرى سياسية واقتصادية، مشيرًا إلى أن المؤشرات الراهنة تجعلنا لا نشعر بالخطر من التحوّلات؛ لأن الصحافة ليست صناعة ورق، إنما مهنة إبداع، وتعامل مع مصادر.

وأكد عطية أن الصحافة المطبوعة تؤدي دورًا مهمًا في الحياة، من تبادل وطرح أفكار، حتى إن التليفزيون يأخذ منها أفكاره وتحليلاته، فالبرامج الحوارية تعتمد في المقام الأول والأخير على الإنتاج الفكري للصحافة.

وعن التحديات التي تواجه الصحافة الورقية أكد أنها لا تواجه تحديات كبيرة على المستوى العربي من خلال منافسة الصحافة الرقمية، إنما التحدي برأيه هو كيفية دخول العصر الجديد والتعامل معه كمهنة وليس كورق أو شاشة، وذلك بالاستجابة لاحتياجات العصر، والتعامل بالوسيط الجديد.

انخفاض معدلات القراءة

إلى ذلك، أكد د.سليمان صالح، رئيس قسم الصحافة بكلية الإعلام جامعة القاهرة، أن أهم المشكلات التي تواجه الصحافة المطبوعة تتمثل في انخفاض معدلات القراءة بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة.. وفي الوقت ذاته ازدياد اتجاه الأجيال الجديدة إلى أشكال أخرى حديثة من الاتصال، كذلك تناقص دخل الصحف من الإعلانات الأمر الذي أدى إلى انخفاض توزيع الصحف، حيث اتجهت وكالات الإعلان إلى التلفزيون بقنواته المتعددة المركزية والفضائية المشفرة والمفتوحة، رغبةً في الاستفادة من مزايا الإعلان المرئي، مما أفقد الصحافة جزءًا مهمًا من الموارد التي كانت تعتمد عليها المؤسسات الصحفية.

وتابع سليمان أن ارتفاع تكاليف إنتاج الصحف المطبوعة من التحديات المهمة التي تواجه الصحافة المطبوعة، وتشمل جانبين يتمثل الأول في اعتماد الصحف على مواد خام نادرة أو محددة وهي ورق الطباعة، ومع كل زيادة في أسعار ورق الصحف تتضاعف مشكلة الصحف المطبوعة؛ بينما يتمثل الثاني في ارتفاع نفقات إصدار الصحيفة كمشروع فكري إعلامي صناعي تجاري يحتاج إلى ملايين الدولارات.. إضافة إلى تحد جديد وهو تغيّر أذواق القراء واحتياجاتهم الإعلامية وذلك نتيجة للمتغيرات المجتمعية المختلفة، وظهور وسائل إعلامية منافسة، وفي هذا الإطار تبرز ضرورة لجوء الصحافة المطبوعة إلى نوعية جديدة من المحررين يستفيدون من تقنيات العصر في تطوير صحفهم بما يستقطب مزايا الصحافة الرقمية وفي الوقت ذاته يحتفظ بجمهور الصحافة المطبوعة.

وأكد أن ظهور الصحافة الإلكترونية كمنافس للصحافة المطبوعة أمر ينبغي الاعتداد به، موضحًا أن الصحافة الإلكترونية توفر على القارئ انتظار يوم كامل، في الوقت الذي يمكنه متابعة الجديد من الأخبار في أي وقت خاصة مع وجود خدمة التحديث التي يتم إدخالها على الصحيفة الإلكترونية.. وهذا ما لا يتوافر في الصحيفة الورقية؛ نظرًا إلى التكلفة العالية لإصدار طبعات إضافية من الصحيفة لمتابعة مستجدات الأحداث؛ لذلك تتميز الصحيفة الإلكترونية بنقل الأخبار والموضوعات في أي وقت.

واعتبر سليمان أن الانتشار الواسع للصحافة الإلكترونية من أكبر التحديات التي تهدّد واقع الصحافة المطبوعة في الألفية الثالثة، لكنه اتفق مع الآراء السابقة في أن الأمر مختلف بالنسبة إلى الصحافة العربية التي أكد أنها ليست بمنأى عن الاندثار، لكن هذا لن يحدث قبل قرون، بينما الأمر في دول العالم المتقدمة قد لا يستغرق سوى سنوات قليلة وتختفي منه الصحافة المطبوعة وتتحول جميعها إلى نصوص رقمية عبر الوسائط التكنولوجية.

د.سليمان صالح: لا بديل أمامها عن الأخذ بتقنيات العصر

سعد النادي: المستقبل ليس في صالح الصحافة المطبوعة!

هذا مستقبلها!

وأشار سعد النادي، مدير الرصد والتحليل الإعلامي بالمرصد الإعلامي لمنطقة الشرق الأوسط، إلى وجود أكثر من واقع للإعلام المطبوع في العالم العربي، وخاصة مع تزايد موجات الربيع العربي في معظم الدول، حيث حدث انصراف من قطاع كبير من الجماهير العربية عن الصحف المطبوعة وخاصة المملوكة للحكومات أو تلك المحسوبة على الأنظمة السياسية وزاد الاهتمام بالصحف المستقلة التي تمتلك قدرًا أكبر من الحرية والاستقلالية عن السلطة، قائلًا: «إنه في جميع الأحوال حدث تحوّل لشريحة كبيرة من القراء إلى الإعلام الجديد؛ لدرجة أننا صرنا نسمع ما يسمى بالإعلام البديل أو الإعلام الإلكتروني أو الاجتماعي».

وعن التحديات التي يواجهها الإعلام المطبوع، رأى «النادي» أن هناك العديد من التحديات، أبرزها القدرة على ملاحقة واقع الحياة اليومية والمنافسة الشرسة التي يمثلها الإعلام الإلكتروني في ظل تزايد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي كالفيس بوك وتويتر، وما تتيحه هذه الوسائط من قدرة على مشاركة الأخبار بسرعة مع عدد كبير من القراء.

وأضاف أن هناك تحديًا آخر أفرزته الثورة الهائلة في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات وتسارع إيقاع الحياة بحدوث تغير في المزاج العام للقراء الذين أصبح شغلهم الشاغل هو الحصول على ملخصات مختصرة وسريعة للأخبار والموضوعات المختلفة إلى جانب ما يمتلكه الإعلام الجديد من مزايا كإضافة الصور الملونة ذات الجودة العالية وإمكانية إضافة مقاطع الفيديو والتفاعل الذي يحدث بين القراء والمواقع الإلكترونية من خلال المشاركة بالتعليقات أو في المنتديات الخاصة بهذه المواقع الإلكترونية.

«جارودي» .. في ذمة الله

فقدت الأمة الاسلامية المفكر الفرنسي، روجيه جارودي، عن عمر يناهز الـ٩٨ عامًا في بلدية شينفيير في سور مارن، جنوب شرق باريس.

ولد جارودي في فرنسا، لأم كاثوليكية وأب ملحد، حيث اعتنق البروتستانتية وهو في سن الرابعة عشرة، ودرس في كل من جامعة مرسيليا وجامعة إيكس أون بروفانس، وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي عام ١٩٣٧ عين أستاذا للفلسفة في مدرسة الليسيه من ألبي.

خلال الحرب العالمية الثانية أُخذ كأسير حرب لفرنسا الفاشية في الجلفة بالجزائر بين ١٩٤٠ و١٩٤٢، وفي عام ١٩٤٥ انتخب نائبًا في البرلمان، وصدر أول مؤلفاته عام ١٩٤٦.

وحصل جارودي على درجة الدكتوراه الأولى سنة ١٩٥٣ من جامعة السوربون عن «النظرية المادية في المعرفة»، ثم حصل على درجة الدكتوراه الثانية عن «الحرية» عام ١٩٥٤ من جامعة موسكو.

طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة ١٩٧٠م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفييتي، وفي السنة نفسها أسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية وبقي مديرًا له لمدة عشر سنوات.

أشهر المفكر الفرنسي إسلامه في ٢ يوليو عام ١٩٨٢ بالمركز الإسلامي في جنيف، ليبدأ نضاله الفكري والسياسي ضد الحركة الصهيونية العالمية ودولة الاحتلال الصهيوني في فلسطين.

في عام ١٩٩٦ أصدر «جارودي» كتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»، الذي شكك خلاله في أسطورة «الهولوكوست»، مكذبًا بالحجة والدليل المغالطات اليهودية حول عدد الضحايا اليهود في محرقة النازي، ليلاحقه الجانب الصهيوني قضائيًّا، ويَصدر ضده عام ١٩٩٨ حكم بالسجن سنة مع إيقاف التنفيذ من إحدى المحاكم الفرنسية.

نال جائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٩٨٥ عن خدمة الإسلام وذلك عن كتابيه Promesses de l Islam «وعود الإسلام» وL Islam habite notre avenir «الإسلام يسكن مستقبلنا»، ولدفاعه عن القضية الفلسطينية، وحصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة قونية في تركيا سنة ١٩٩٥.

ولقد أثرى «جارودي» المكتبة العالمية والعربية والإسلامية بعشرات المؤلفات التي ترجمت للعديد من اللغات، ومن أشهر مؤلفاته بعد إسلامه «وعود الإسلام»، و«المسجد مرآة الإسلام»، و«الإسلام وأزمة الغرب»، و«فلسطين مهد الرسالات»، و«الولايات المتحدة طليعة التدهور»، و«الإسلام دين المستقبل»، و«الإرهاب الغربي»، و«جولتي وحيدًا حول هذا القرن»، و«حوار الحضارات»، و«الإسلام وأزمة الغرب».

العمل الاجتماعي ودوره في التنمية

إدريس بوحوت
باحث مغربي في التنمية

قبل أن نقدم المفهوم العام للعمل الاجتماعي، تجدر الإشارة إلى أن العمل الاجتماعي يرد، في استعمالات الباحثين والمهتمين بالتنمية البشرية، والخدمات الاجتماعية، بعدة صيغ ومفاهيم، تختلف في التراكيب والمباني، لكنها تكاد تكون من باب تعدد الأسماء لمسمى واحد، والخيط الناظم الذي تنتظم فيه هو المقصد التنموي الإنساني الذي تسعى إلى تحقيقه مهما كانت تلك الأسامي.

وهكذا، نجد من بين تلك المفاهيم المتداولة في هذا الباب من قبل الباحثين (التكافل الاجتماعي، التضامن الاجتماعي، الخدمة الاجتماعية، العمل التطوعي، العمل الخيري، العمل الإحساني، العدالة الاجتماعية، الرعاية الاجتماعية، التغيير الاجتماعي... إلخ).

ومادام المقام لا يسمح بمناقشة بعض الفروق الرفيعة بين هذه المفاهيم، فإننا نكتفي ببعض التعاريف الشائعة والمتداولة بين الباحثين المهتمين، وسنشير فقط إلى ثلاثة مفاهيم في هذا المقام، لاعتبارين اثنين: أولهما لكثرة تداولها، وثانيهما لشموليتها واقتضائها لغيرها بشكل ضمني، وهي:

١- التكافل الاجتماعي

يقول أحمد عبده عوض: «التكافل الاجتماعي هو أن يتضامن أبناء المجتمع، ويتساندوا فيما بينهم سواء كانوا أفرادا أو جماعات، حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية الأيتام، ونشر العلم.. بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد» (١).

٢- الخدمة الاجتماعية

للخدمة الاجتماعية تعاريف أجنبية، وأخرى عربية، ومن التعاريف الأجنبية للخدمة الاجتماعية، نختار تعريف هنسون ١٩٢٥، حيث يقول بأنها: «نوع من الخدمة التي تعمل من جانب على مساعدة الفرد أو جماعة الأسرة التي تعاني من مشكلات لتتمكن من الوصول إلى مرحلة سوية ملائمة، وتعمل من جانب آخر على أن تزيل بقدر الإمكان العوائق التي تعرقل الأفراد على أن يستثمروا أقصى قدراتهم» (٢). أما التعريفات العربية فكثيرة؛ منها تعريف أحمد كمال أحمد ١٩٧٦، حيث يرى بأنها «طريقة علمية لخدمة الإنسان ونظام اجتماعي يقوم بحل مشكلاته وتنمية قدراته ومعاونة النظم الاجتماعية الموجودة في المجتمع للقيام بدورها.. لتحقيق رفاهية أفراده» (٣).

٣- العمل الاجتماعي

نجد من أهم تعاريف العمل الاجتماعي ما يلي: العمل الاجتماعي هو علم وفن ومهنة لمساعدة الناس على حل مشكلاتهم وقد ظهر بعد الحرب العالمية الثانية (٤). كما أنه «يمكن تعريف العمل الاجتماعي التطوعي بأنه مساهمة الأفراد في أعمال الرعاية والتنمية الاجتماعية سواء بالرأي أو بالعمل أو بالتمويل أو بغير ذلك من الأشكال» (٥).

وبناء عليه نقول: إن العمل الاجتماعي يشمل كل أنواع الخدمة الاجتماعية التطوعية، وأشكال التضامن الإنساني الهادف إلى مساعدة الأشخاص في وضعيات صعبة (اجتماعية، نفسية، تربوية، صحية، أسرية...) بقصد إزالة كل المعيقات والمشاكل التي تكدر صفو عيشهم.

مبدأ الاستخلاف وفاعلية الإنسان

إن الحديث عن العمل الاجتماعي يرتبط أساسًا بالواقع الاجتماعي أولًا؛ ثم بالعنصر البشري المستهدف في العمل الاجتماعي ثانيًا؛ وهذا الارتباط ليس هو وليد اللحظة، أو نتيجة تنظيرات فكرية معاصرة، بقدر ما هو منهج

أصيل في الثقافة الإسلامية.
ومنشأ هذا الارتباط يرجع بالأساس إلى مجموعة من العوامل، منها طبيعة الإنسان الاستخلافية، وكثرة احتياجاته وافتقاره إلى غيره لسد الخصاص والعوز الذي يشكو منه؛ ومنها تفاوت الناس في درجات الفقر والغنى؛ ومنها استحالة استقالة البشر عن بعضهم البعض وعن المساندة والمعاونة والتضامن فيما بينهم.
والعنصر البشري في العمل الاجتماعي الهادف إلى التنمية صنفان: صنف فاعل في العمل الاجتماعي، ومسهم فيه؛ وصنف منفعل به ومستفيد منه.
ولا يمكن أن يتحقق وجود الصنفين وتفاعلهما؛ أخذًا وعطاءً، وتأثيرًا وتأثرًا، إلا بالفهم الجيد للتصور الإسلامي الذي ترشدنا إليه الآية الكريمة ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة﴾ (البقرة: ٣٠). والخلافة أو الاستخلاف من معانيها التوكيل والإنابة على أمر ما لرعايته وحفظه، ومعلوم أن الرعاية بجميع أشكالها وألوانها، سواء أكانت مادية صرفة، أو معنوية ومجردة، فإنها تندرج في جنس العمل الرسالي، والسعي السامي، والجهد الباني، بغض النظر عن شكل هذا السعي والعمل، ولا ضير أن يكون فرديًا، أو جماعيًا؛ كما أنه لا يضر أن يتم بشكل عفوي تلقائي، أو بشكل منتظم ومؤسساتي.
وفي كل الأحوال، فإن `فاعلية الإنسان وتفاعله مع الآخر أمر محقق لا محالة، مع المحيط، ومع البيئة، بل مع الكون كله، وبفضل هذه الفاعلية والتفاعل تتحقق التنمية والتعدية لأوجه البر والإحسان، وتتراجع الأنانية، وتُجتث مظاهر الفقر والتخلف من المجتمع، وتُنزّه الأمةُ عن العبثية والرذيلة.

بُعد الاستعمار أو التنمية

إن بُعد الاستعمار أو عمارة الأرض، بكل تجلياته وتمظهراته، لا يعدو أن يكون سعيًا وعملًا هادفًا صالحًا قاصدًا بشكل مستمر ومنتظم، غايته تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية، على

مالك بن نبي: إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من «اللا فاعلية» في أعمالنا

الرغم مما قد يشوب هذا المصطلح؛ أي «الاستعمار»، وما قد يتضمنه من دلائل قدحية، سياسية أو إيديولوجية أو عسكرية استنبتها «المستعمر»– لا، عفوا، بل الغرب المخرب– في تربة بعض السذج والأدعياء الذين يعلو صوتهم، مكاء وتصدية، هنا وهناك، مع أن الصواب أنه مصطلح قرآني بامتياز، وظفه القرآن بدلالته الإيجابية الفياضة، وبعمقه المقاصدي الرصين، وعلى من سولت له نفسه ادعاء نقيض هذا، أن يقرأ قوله تعالى– إن لم تسعفه بساطة التفكير، وسطحية التأمل والنظر التي تحول غشاوة دون ذلك– على لسان صالح عليه السلام لقومه ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ (هود: ٦١).
ولقائل أن يزعم أيضا، أنه قد يكون الإنسان غير مؤهل لهذه العمارة بمفهومها التنموي الشامل والواسع.!!
والجواب على هذا من وجهين، الأول: أنه لا تكليف على غير المؤهل، سواء في ذلك الأهلية الشرعية، أو الأهلية العقلية، وهما أهليتان متلازمتان كما هو مقرر شرعا، أما الثاني: أنه حين أُمِرَ الإنسانُ، الخليفة في الأرض بالسَعي والمشي في مناكبها، كان ذلك على الكون الذلول المسخر لهذا الإنسان، حتى يحقق التنمية الإنسانية المنشودة. بمعنى آخر، لقد كانت كل الشروط الذاتية والموضوعية للسعي والعمل متوافرة كما يؤكد ذلك القرآن الكريم في غير ما آية، منها قوله عز وجل: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ (النحل: ٧٨).
لذلك دعنا من هذه المزاعم الواهية التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولنقف وقفة تأملية صادقة مع الذات لتشخيص مكامن الخلل، ولا شك أن أولى نتائج هذا التشخيص وأبرزَها، تحيلنا على مكمن الداء الحقيقي الذي يعاني منه المسلم العاصر في زمن كثرت فيه التحديات، وفشت فيه المثبطات التي تنخر العزائم، وتُضعف الهمم؛ إنها مثبطات ومعيقات تحدّ من النشاط البشري، وتجعله ميالا إلى الخمول والدعة والركود، كما شخص ذلك مالك بن نبي في القرن الماضي، حين تحدث عن الإنسان الجزائري خصوصًا، والمسلم عمومًا، في سياق حديثه عن المشكلة الاجتماعية التي يعاني منها المسلم في البلاد الإسلامية، مقارنة مع الإنسان هناك: في الغرب، حيث أكد أن «البلاد الإسلامية أزمتها ليست في الحركة (كما في الغرب) بل في «الركود»، فهي مشكلة الإنسان المتوطن فيها الذي عزف عن الحركة، وقعد عن السير في ركب التاريخ» (٦).
والإنسان الراكد الجامد الهامد، إنسان يصبح هو نفسه يعيق الحركة نحو الأمام، ويشل التنمية بركوده وجموده، ولأن هذا الركود ليس عجزًا بنيويًا فيه، بل هو أقدر وأقوى، وما العجز فيه إلا صفة عرضية، وقد ذكّرنا القرآن الكريم بنعمة القوة في قصة عاد، وكفار مكة الذين جحدوا هذه النعمة، قائلا: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (الأحقاف: ٢٦).
وقال عز وجل أيضا: ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ (الأعراف: ١٠).
فالتمكين حاصل، والمشكل يكمن في المُمَكّن الذي يُعرض عن شكر الله، وعن

توظيف سلطان (٧) التمكين فيما أمر الله. لذلك نجد ابن نبي يقترح لتجاوز هذا المشكل ما أسماه بفكرة التوجيه التي يعرفها بقوله: قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف؛ فكم من طاقات وقوى لم تستخدم.. وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها، حين زاحمتها قوى أخرى صادرة عن المصدر نفسه متجهة إلى الهدف نفسه!

فالتوجيه هو تجنب هذا الإسراف في الجهد وفي الوقت، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية، صالحة لأن تستخدم في كل وقت، والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية المناسبة لكل عضو من أعضائه» (٨).

فالأزمة إذن، أزمة تدبير وتوجيه للطاقات الإنسانية الخلاقة والمبدعة، آن الأوان لنكف عن هذا الإسراف، ونعمل جاهدين على ترشيد تلك الطاقات البشرية اللامحدودة، ونشكر الله على تلك النعم الممدودة، وتلك الآلاء اللامعدودة!

مجالات العمل الاجتماعي

لقد أولى الإسلام أهمية بالغة للعمل الاجتماعي، وتتجلى هذه الأهمية بالخصوص في الحث عليه والترغيب فيه، وبيان الأجر العظيم الذي يناله كل من يسعى في خدمة أخيه المسلم، وفي سيرة المصطفى ﷺ نماذج حية تعكس السبق الإسلامي لتهيئة الرسول ﷺ وتربيته على العمل الاجتماعي قبل أن يوحى إليه. لذلك نقرأ بشارة أمنا خديجة لرسول الله ﷺ في ساعة العسرة، كم تذكر ذلك كتب السيرة، لما عاد من غار حراء، تثبيتا لقلبه ﷺ «فوالله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» (٩).

ومعلوم أن صلة الرحم، والصدق في التواصل، وإكرام الضيف، ومساعدة المحتاجين والتخفيف عليهم كلها مجالات للعمل الاجتماعي، وهذا دليل واضح أيضا على أن النبي ﷺ كان اجتماعيا ويسعى في قضاء حوائج الناس، كما كان أمينا على ودائع الناس، لذلك نجده عندما هاجر أمر عليًّا برد الأمانات إلى أهلها.

إن مجالات العمل الاجتماعي التي يرشدنا إليها الدين الإسلامي متعددة ومتنوعة، وما هذه البشارة السابقة الجميلة والمشرقة للجانب الاجتماعي في سيرته ﷺ إلا غيض من فيض، وبالإضافة إلى ذلك، يمكن إجمال هذه المجالات فيما يلي:

١- الفرض الكفائي

قد يستخف البعض بالفروض الكفائية لكونها مقابلة للفروض العينية، والواقع أن الفرض الكفائي أشد وأخطر من الفرض العيني، ووجه الخطورة فيه من ناحيتين؛ لكونه يصبح فرضًا عينيًّا إذا تهاون الجميع في أدائه؛ ثم لأن الإثم والعقاب يعم الجميع في حالة التهاون فيه.

إذن، فهو عمل اجتماعي بامتياز؛ من حيث جهة الطلب (طلب جماعي)، ومن حيث جهة العقاب (عقاب جماعي)، بل من العلماء المعاصرين من يرى أن «الفروض الكفائية هي واجبات اجتماعية تتسع بسعة الحياة الاجتماعية، تؤديها المجموعة بكيفية تضامنية، إذا قام بها البعض سقط التكليف عن الباقين، لا استخفافا بحقها، وإنما لداع موضوعي هو انتهاء الحاجة إليها» (١٠).

بل إن الفرض الكفائي لوحده يحوي مجالات اجتماعية حيوية شكلت مجالا خصبًا للمناقشات العلمية والفقهية بين العلماء أشار إليها د.مصطفى بنحمزة بقوله «لقد كان حديث العلماء النابهين عن فرض الكفاية أكثر أصالة وعمقا فتناول نشر العلم وبناء القوة المادية والمعنوية في الأمة، وإيجاد جميع المهن والتخصصات التي تحتاجها الأمة، ابتداء من الطب والصيدلة ووصولا إلى مستوى الحجامة والفصد، ومنها الإفتاء، وتحمل الشهادات، وإعانة القضاة على إقامة العدل، وتوفير الأمن، وحماية الثغور، والدفاع عن الكيان، ومنها إنقاذ الغرقى والمشرفين على الهلاك، وإطعام الجائعين، وكسوة العراة، ومنها أيضا القيام بحقوق الموتى طاعة لله وإكراما لآدميتهم» (١١).

٢- حفظ الضروريات الخمس

والضروريات الخمس كما حددها الأصوليون هي حفظ الدين والعقل والعرض والنسل والمال. ومجال الضروريات مجال مهم أيضا للعمل الاجتماعي، فإذا كان علماء مقاصد الشريعة الإسلامية يجمعون على أن الهدف الأسمى للمصلحة الشرعية هو جلب المنافع ودرء المفاسد، فإن العمل الاجتماعي الذي يسعى إلى التنمية الإنسانية لا تغيب عنه هذه المصلحة، فبناء المؤسسات الدينية، ونشر العلم، وإنقاذ الملهوفين في الحالات الطارئة، والحروب والثورات، وكفالة اليتامى والأرامل، وإصلاح ذات البين، والحفاظ على الأمن العام.. كل ذلك يمكن أن يقع تحت مظلة العمل الاجتماعي.

وعموما فإن مجالات العمل الاجتماعي متعددة لا يسمح المقام ببسطها الآن، كتلبية الحاجات الاجتماعية، من تعليم وصحة ومأوى، وحماية البيئة من أخطار التلوث والمواد الضارة، سيما وأننا نخلد هذا اليوم، اليوم العلمي للماء الذي يصادف ٢٢ مارس من كل سنة؛ والحفاظ على التراث بنوعيه المادي والثقافي؛ ومساعدة المزارعين والفلاحين المتضررين من جراء الكوارث؛ وإقامة المنشآت والمؤسسات الاجتماعية كدور الأيتام والمتشردين والمسنين... إلخ.

عود على بدء

مما سبق نستنتج أن العمل الاجتماعي شيء أصيل في الدين الإسلامي الذي يحث عليه حتى في اللحظات الأخيرة من عمر الإنسان، كما في حديث الفسيلة المعروف، وسمو العمل في الإسلام ليس هدفا في حد ذاته، بل لما ينتج عنه من

حراك في مختلف دواليب التنمية التي يعتبر الإنسان محركها الأول والفاعل فيها وذلك لتحقيق الأهداف السامية من ورائه، والتي تتجلى في:

١- تقوية روح التعاون والتكافل بين جميع فئات المجتمع..

٢- مواساة المنكوبين والضعفاء والمحتاجين.

٣- تقوية وحدة الشعور بالانتماء للأمة.

٤- إعادة الاعتبار لقيمة العمل نفسه.

٥- تحقيق الأمن الاجتماعي.

٦- تحقيق التنمية الإنسانية.

٧- إبراز الصورة السمحة المشرقة للدين الإسلامي الذي يركز في جوهره على إنسانية الإنسان وكرامته.

الهوامش:

١- أحمد عبده عوض، التكافل الاجتماعي في الإسلام، ط ١، ٢٠٠٨، ألفا للنشر والتوزيع، ص: ١٧، ١٨.

٢- سماح سالم ونجلاء صالح، أساسيات العمل في الخدمة الاجتماعية، ط١، ٢٠١٠، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص: ٨، ٩.

٣- المصدر نفسه، ص: ١٣.

٤- http://www.alndwa.net/index.php?option

٥- http://alwaei.com/topics/current/article.

٦- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبدالصبور شاهين، ط:٤، ١٩٨٧، دار الفكر، ص: ٨١.

٧- يقال: «(مكّن) فلان عند السلطان مكانة، عظم عنده وارتفع فهو مكين، ومكنته من الشيء تمكينا جعلت له عليه سلطانا وقدرة فتمكن منه»، أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، كتاب الميم، مادة «مَكَنَ»، ط١، ٢٠٠٠، دار الحديث ص: ٣٤٣.

٨- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص: ٨٤.

٩- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ط ٢٠٠٨، دار الفكر، ص: ٤٦.

١٠- مصطفى بنحمزة، العمل الاجتماعي في الإسلام، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، سلسلة دفاتر المركز (٣)، ط ١، ص: ١٢.

١١- المصدر نفسه، ص: ١٣.

رئيس التحرير الأسبق في ذمة الله

الشيخ حسن مناع

فقدت الأمة الإسلامية رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» الأسبق وأحد مؤسسيها الشيخ حسن مناع، رحمه الله عن عمر يناهز الـ ٩٠ سنة في الكويت، وقد نعاه وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وجمع من العلماء والهيئات المعتبرة.

الشيخ حسن مناع صاحب رسالة إنسانية دعوية أمضى بها حياته وأعطى لها كل ما يملك من طاقة وصحة.

بدأت حياته العلمية بصعيد مصر

حتى جاء للكويت يوم كانت شق غمام الرقي والحضارة بعد الاستقلال بعامين، درس بالمعهد الديني أربع سنين ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف وكان له أثر كبير في إنشائها وتطورها حيث تقلد كثيرا من المناصب وتجول بإداراتها مطورا لها ومبدعا بها، والشيخ حسن مصري الجنسية، نشأ في قرية ريفية، وكان أبوه عمدة القرية وأخواله من علماء الأزهر، حفظ القرآن الكريم كله في القرية، ثم التحق بمعهد طنطا الديني وحصل على ثانوية الأزهر عام ١٩٤٣م، ثم التحق بكلية أصول الدين وحصل على العالية عام ١٩٤٧م، ثم التحق بتخصص التدريس وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٩م، وفي العام نفسه تولى التدريس في المعاهد الأزهرية.

حطت رحال الشيخ في الكويت سنة ١٩٦٣ حيث درس في المعهد الديني فدرس لكثير من الطلاب في الكويت، حيث كان يدرس التفسير والحديث، بالإضافة إلى مادة النحو.

بعد انتهاء الإعارة رجع إلى مصر سنة ١٩٦٧، ولكنه عاد ثانية للكويت وعمل واعظا وخطيبا ومدرسا، بالإضافة إلى مدير معهد الخطابة والإمامة، ثم مستشارًا ثقافيًا، ثم رئيسًا لقسم الثقافة الإسلامية عام ١٩٧٢م، ثم رئيسا لتحرير مجلة «الوعي الإسلامي» عام ١٩٨٣م، ثم مستشارًا شرعيًا عام ١٩٩١م، ثم مستشارًا بالإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية حتى وفاته، حيث عاصر الشيخ ثمانية عشر وزيرا للأوقاف والشؤون الإسلامية.

من أبرز مؤلفاته: كتاب «فتاوى وتوجيهات»، وكتيبات في مادة التوحيد في المعاهد الأزهرية، ومذكرات في مادة النحو لمعهد الكويت الديني، ومقالات دينية كثيرة في الصحف والمجلات.

أسرة التحرير آلمها المصاب الجلل، سائلين الله أن يلهم أهله الصبر والسلوان، وأن يرزقه الفردوس الأعلى، إنا لله وإنا إليه راجعون.

الموريسكيون في إسبانيا

انتماء الموريسكيين للإسلام شكل هويتهم.. وتسبب في طردهم من وطنهم!

د.علاء عبدالمنعم
مدرس بجامعة عين شمس

يبدو أن تاريخ الحضور العربي في شبة الجزيرة الأندلسية سيظل متمتعًا بمكانة خاصة في وجدان الوعي الجمعي للذات العربية، بحيث غدا اجترار هذا التاريخ واستدعاؤه من حين لآخر- في صيغته المكتوبة أو المصورة عبر أعمال سينمائية وتلفزيونية- ممارسة مألوفة يلجأ إليها العربي بغية تذكير جماعته بأخطاء الماضي لحفزهم على تجنبها في المستقبل في بعض الأحيان، وجلد الذات، وإيلامها في أحايين أخرى، ويبدو كذلك أن لعنة التحولات الحادة التي ميزت تاريخ الأندلس، وطبعته بنكهة درامية بالغة التأثير، قد انتقلت إلى تاريخ «الموريسكيين»، فإذا كانت حياة «الموريسكيين» في الأندلس قبل قرار الطرد الجائر، وفي أثناء محاكم التفتيش، تعد من المحاور التقليدية في كتب التاريخ الأندلسي في نسختيها العربية والأسبانية، فإن المرحلة التي تلي مرحلة الطرد من شبه الجزيرة الأيبيرية تظل مناطق معرفية معتمة، لا تزال في حاجة إلى مقاربات علمية دقيقة تكشف غوامضها وتفتح مغاليقها، ومن هنا تتأتى الأهمية الكبرى لكتاب «الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى» للكاتب الإسباني الشهير: ميكيل دي إيبالثا، وبترجمة د.جمال عبدالرحمن، ويتوزع الكتاب- الصادر عن المركز القومي للترجمة بمصر- على قسمين: يتناول الأول تاريخ «الموريسكيين» في الفترة التي سبقت عام ١٦٠٩م، ويعنى القسم الثاني بأخبار «الموريسكيين» بعد طردهم من إسبانيا، راصدًا أوضاع هؤلاء المطرودين في الدول التي هاجروا إليها بشكل جماعي، وأهمها المغرب وتونس والجزائر.

استهل المؤلف عمله باعترافه أن كتابه سيعنى بشكل خاص بمرحلة ما بعد عملية الطرد، أما مرحلة ما قبل الطرد فلن يهتم بها بالدرجة نفسها، وذلك لأن وضع «الموريسكيين» بعد الطرد ليس معروفًا بالقدر عينه لأسباب مختلفة، منها قلة الوثائق، والبعد الجغرافي للبلاد التي هاجر إليها الموريسكيون، وذوبان الموريسكيين نسبيا بين مسلمي المجتمعات التي استقبلتهم، فضلا عن سبب تاريخ عام يتمثل في تناقص قيمة المهزومين تاريخيًا، فما إن تنتهي المأساة الوحشية حتى يخرجوا من الساحة ويختفوا من متون الكتب والوثائق.

المُدَجّنون

يميز الكاتب في البداية من مصطلحين مهمين هما «الموريسكيون» و«المُدَجّنون»، فيوضح أن المقصود بالأول مسلمو الممالك الأيبيرية (قشتالة وأرغون ونابرا) الذين أجبروا على اعتناق المسيحية في بداية القرن السادس عشر الميلادي، وأما المدجنون فيقصد بهم هؤلاء الأندلسيون الذين كان بمقدورهم ممارسة شعائر الإسلام في الأراضي المسيحية على مدى العصور الوسطى قبل عمليات التعميد الإجباري في القرن السادس عشر، فهم أبناء الأندلسيين أو المسلمين ممن كانوا يعيشون تحت الحكم المسيحي في شبه جزيرة أيبيريا، وقد اشتق لفظ «موريسكي» من كلمة Sarracenos أو Moros وهي الكلمة التي كانت تطلق على المسلمين في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

التمييز الثقافي

يتعرض «ميكيل دي إيبالثا» في القسم الأول للحديث عن وضع الموريسكيين قبل الطرد، فيؤكد أنه لم يكن من السهل تمييز الموريسكيين عن غيرهم بالاعتماد على مظهرهم الخارجي، أو شكلهم الجسدي، وإنما يمكن تمييزهم استنادًا إلى المجالات الثقافية، وأول عناصر الثقافة الموريسيكية العنصر الديني، فانتماؤهم للإسلام هو الذي شكل هويتهم، فالأصل التقليدي الإسلامي للموريسكيين يفسر استمرارهم كمجموعة على مدى القرن السادس عشر، منذ تنصيرهم الإجباري وحتى طردهم النهائي، وعلى الرغم من اختلاف تطبيق الموريسكيين للإسلام، فإن أصلهم الإسلامي هو سبب طردهم من وطنهم، فضلًا عن الإسلام فهناك مجموعة من العناصر المميزة للموريسكيين، منها اللغة العربية التي كانوا يحافظون عليها، ويستعملونها، ويقدسونها بوصفها لغة الدين، وكذلك عنصر المأكولات والمشروبات، فقد كانوا يفضلون مأكولات بعينها كلحم الضأن والحلوى، وكانوا يتجنبون لحم الخنزير والخمر، كما كانت هناك الملابس والموسيقى وأشكال الأفراح المميزة.

وبالنسبة للمدجنين- وهم المسلمون المقيمون في مملكة يحكمها المسيحيون، فهم حالةٌ أسبق من الموريسكيين، وقد كانت تحكمهم لائحة تنظيم أوضاعهم، وكانت هذه اللائحة تضمن لهم حرية العقيدة، وتحدد مقدار الضرائب التي يدفعونها، فقد كانوا يتمتعون بإذن رسمي بممارسة شعائر الإسلام، وهو ما يفسر رغبة مسلمي غرناطة بعد سقوط دولتهم في أن تطبق عليهم لائحة المدجنين، حيث لم يستطيعوا تفهم أن يفرض عليهم التنصير الإجباري، وخاصة في ظل تسامح الممالك الإسلامية، وإيمانًا بحرية العقيدة لغير المسلمين.

التوزيع الجغرافي

يرصد الكاتب بعد ذلك التوزيع الجغرافي للموريسكيين على الأقاليم التي كانوا يقيمون فيها، فيذكر أن عددهم في مملكة أرغون بلغ ٢٠٠ ألف، حيث شكل المسلمون ٣٤٪ من مجمل السكان، وكان عددهم في مملكة قشتالة ٢٥٠ ألف من إجمالي سبعة ملايين نسمة، أما مملكة غرناطة فقد كان الموريسكيون يشكلون أغلبية السكان حتى عام ١٥٦٨م، واستمرت لمدة عامين، ونتج عنها قرار ترحيل الموريسكيين من غرناطة وتوطينهم في أراضي مملكة قشتالة، هذا بالإضافة إلى عدد كبير منهم نزح إلى أقاليم إسبانية أخرى وإلى بلاد إسلامية، وبعد طردهم من غرناطة لم يبق منهم سوى عشرة آلاف أو خمسة عشر ألفًا، وهو ما يفسر النظر لغرناطة بوصفها واحدة من أقل الأماكن التي وجد فيها الموريسكيون لحظة الطرد النهائي، إذ لم يكن بها سوى ألفين فقط.

الوضع القانوني

يتعرض المؤلف بعد ذلك للوضع القانوني للمسلمين بعد صدور قرار التنصير- ونلاحظ اعتماد المؤلف في هذه الأجزاء على ملفات محاكم التفتيش- وحياتهم داخل مؤسسة «الجماعة» ثم قرار الطرد النهائي من وجهة نظر السلطات الرسمية والكنسية، لينتقل الكاتب بعد ذلك للقسم الثاني المهتم بتناول أوضاع الموريسكيين في الدول التي هاجروا إليها، أو بالأحرى في منفاهم.

الموريسكيون في المغرب

ينبه الكاتب في بداية القسم الثاني من كتابه أن الموريسكيين بعد طردهم من إسبانيا، لم يُعَدُّوا موريسكيين إلا في الكتابات التاريخية الأوروبية التي تسميهم بهذا الاسم، لأنهم هم وأجدادهم كانوا موريسكيين عندما كانوا يقيمون في إسبانيا، والحقيقة أنهم بعد وصولهم إلى البلاد التي هاجروا إليها اندمجوا في المجتمعات الجديدة حتى اختفى هذا الاسم تمامًا.

وبينما كان الأوروبيون يطلقون على هؤلاء المطرودين موريسكيين أو غرناطيين إبان سنوات الطرد، كان أصحاب البلاد العربية المهاجرين إليها يسمونهم أندلسيين، وعلينا أن نتعامل مع هذه التغيرات في الأسماء بوصفها مؤشرات لاحتفاظ هؤلاء المهاجرين الجدد ببعض التراث ذي الأصل الإسباني، واندماجهم في الوقت نفسه في المجتمعات العربية الجديدة التي وفدوا إليها.

بالنسبة للوضع السياسي للمغرب في القرن السابع عشر، فقد كان المغرب يشغل حينها الأراضي نفسها التي شغلها في القرن العشرين، كانت مراكش هي العاصمة، وإن احتفظت فاس بمكانتها الخاصة، وعند وصول الموريسكيين كانت هاتان المدينتان هما المركزان الرئيسان المهمان في البلاد، وكانت مدينتا «رباط سلا» و«تطوان» هما الميناءان اللذان كان للموريسكيين فيهما دور بارز، وبالنسبة لدور الموريسكيين في السياسة الخارجية المغربية فيكشف الكتاب أنهم شاركوا فيها بقوة، فقد كان للمغرب دور هدف- في السياسة الخارجية- مشابه لهدف بقية الدول المغربية، وهو مواجهة العدوانين المسيحي، والبرتغالي، وهو ما يفسر توطينهم للموريسكيين وبخاصة في المناطق الساحلية التي شكلت الخط الأول في مواجهة العدو، وهو ما يفسر كذلك إلحاق الموريسكيين بالقوات البرية والبحرية كخطوة ضرورية لتدعيم الوضع السياسي للمغرب، ويوضح الكاتب حتمية أن نضع في اعتبارنا عناصر أربعة لفهم شكل انخراط المهاجرين الموريسكيين في المغرب، الأول: السلطة المركزية التي استقبلت الموريسكيين، ووفرت لهم أماكن الإقامة بما يتفق مع مصالحها الخاصة في استخدامهم في مواجهة العدو المسيحي، الثاني: خاص بالمجال العمراني، فقد كان للموريسكيين مصالح تتفق مع مصالح عناصر اجتماعية أخرى مثل البرجوازيين والمغاربة، العنصر الثالث: تمثل في المحيط الريفي الذي لم يستطع الموريسكويون الاندماج فيه لبنيته المحلية الخاصة، أما العنصر الرابع: فتمثل في قدرة الأندلسيين على الاندماج- في البداية- كطبقة اجتماعية من أصل أجنبي مع اليهود المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام والأجانب الموجودين بشكل مؤقت، إلا أن الموريسكيين سيكونون هم أقرب هؤلاء الأجانب للقب المغاربة، نظرًا للقواسم المشتركة بينهما، وأهمها الدين والثقافة.

وقد حاول موريسكيو المغرب القيام بما يشبه الاستقلال عن الشكل السياسي للمغرب، كما حدث في تطوان وضواحيها ورباط سلا، إلا أن موقف السلاطين السعديين في مواجهة محاولة الاستقلال هذه، وقوة القبائل المغربية وغيرها من الأسباب- التي يفيض الكتاب في تحديدها- نجحت في إجهاض حلم الاستقلال لدى الموريسكيين، ويختم المؤلف هذا الفصل بالحديث عن اندماج الموريسكيين في المغرب من خلال عوامل متعددة أهمها: استيعاب النظام الحضري والعسكري، ووضع الأندلسيين في الحملة التي أرسلها السلطان «أحمد المنصور الذهبي» إلى السودان، والاندماج اللغوي على مستويات اللغة والألفاظ والألقاب العائلية.

الموريسكيون في الجزائر وتونس

يذكر المؤلف أن الوثائق المتوافرة عن الموريسكيين في الجزائر أقل بكثير عن نظيرتها الخاصة بالمغرب أو تونس، ثم يؤكد أن القرب الجغرافي أدى إلى أن تكون سواحل الجزائر مكانًا يتطلع إليه المهاجرون الأندلسيون منذ أن استوطن المسلمون ضفتي البحر المتوسط، وفيما يتعلق بهجرة الأندلسيين قبل القرن الثالث عشر فقد كان تأسيس مدينة «وهران» رمزًا لإقامة الأندلسيين في الجزائر نحو عام ٩٠٣، كما كان الأندلسيون هم الذين أسسوا مدينة فاس في أوائل القرن التاسع، فالتنقل المستمر بين الشاطئين، والذي أسهم فيه بصفة خاصة فريضة الحج بالإضافة إلى الرغبة في تحصيل العلم أو القيام بنشاط تجاري، قد أدى إلى استيطان جماعات أندلسية بلاد المغرب، وإلى استيطان مغاربيين في الأندلس، أما بالنسبة لهجرة الأندلسيين في القرنين الثالث عشر والرابع عشر فقد وصلت في القرن الثالث عشر موجة كبيرة من المهاجرين الأندلسيين إلى بلاد المغرب ومنها الجزائر، نتيجة استيلاء المسيحيين على مناطق يقطنها مسلمون، وقد تشجع الأندلسيون في هذا القرن على الهجرة نتيجة اتصالهم بالمهاجرين الذين سبقوهم، وبعد هذه الهجرة الكبيرة، استمرت هجرة أفراد مدجنين إلى الجزائر، وقد أدى استيلاء الإسبان على غرناطة عام ١٤٩٢ إلى نزوح عدد كبير من المهاجرين إلى السواحل الجزائرية، وقد استقبلت وهران اعتبارًا من عام ١٤٩٣ عددًا كبيرًا من الغرناطيين، وتحولت إلى نقطة تنطلق منها الهجمات باتجاه السواحل الإسبانية.

لم تكن رحلة الهجرة من الأندلس إلى الجزائر آمنة دائمًا، بل إن المخاطر كانت تحيق بها في كثير من الأحيان، ويذكر المؤلف- دون توثيق- أن الموريسكيين النازحين تعرضوا لعمليات نهب قام بها- على حد ذكر المؤلف- سكان محليون كانوا ينظرون لهؤلاء المهاجرين بوصفهم أجانب، يرتدون ملابس غريبة، ويتحدثون لغة غير العربية، وربما هذا ما فسر الظاهرة اللافتة في الحالة الجزائرية، وهي عودة الموريسكيين من الجزائر، رغم أنها لم تكن شائعة، بسبب هذا العنف، بالإضافة إلى عدم قدرة كثير من الموريسكيين على التكيُّف مع المجتمعات الإسلامية، ويختم الفصل بالحديث عن النشاط الاجتماعي والاقتصادي للأندلسيين في الجزائر، وكذلك عن دورهم البارز في الجهاد البحري ضد الإسبان.

وبالنسبة لتونس فيبدو الأثر الموريسيكي ملحوظًا للغاية، وهو أثر لا يرتبط بالهجرة في مرحلة ما بعد الطرد فقط، وإنما يمتد إلى ما قبل هذا، في العصور الوسطى، حتى إن الأندلسيين المطرودين عند وصولهم تونس وجدوا أسرًا أندلسية مستقرة في تونس منذ سنوات طوال، وقد أسهم العلماء التونسيون في اندماج هؤلاء الوافدين في مجتمعهم الجديد من خلال ترحيبهم بهم، ومساعدتهم في تعلم أمور دينهم الإسلامي.

السلوك الأخلاقي لعلم المحاسبة

د. سلطان السهو -دكتوراه في المحاسبة - الكويت

تقدّم المحاسبة المالية معلومات هامة تساعد إدارة المؤسسة في اتخاذ القرارات المتعلقة بتوجيه الموارد الاقتصادية المتاحة لها، ومن ثم تسهل مهمتها في تخطيط نشاط المؤسسة وتوجيهه والإشراف عليه، كما تسهل مهمة الهيئات الحكومية المسؤولة عن الرقابة والإشراف على الاقتصاد القومي وجبايته للضريبة والزكاة، من خلال المعلومات المالية التي ينتجها.

المحاسب ملتزم أمام الله تعالى ثم أمام مجتمعه ومهنته ورؤسائه وعملائه ونفسه، بأن يؤدي واجباته وخدماته الوظيفية والمهنية بأعلى مستويات الكفاءة والإتقان والمسؤولية؛ لأنها أمانة، قال الله تعالى في صفة المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨).

ولكي يتحقق ذلك فإنه يجب أن يرفع من تأهيله العلمي والعملي، والتفقه الديني، والبحث المستمر بأنواع المعاملات ومشروعيتها من خلال التعلم والقراءة المستمرة، والتنمية المستدامة لمعارفه الفنية والعلمية والدينية، وكذلك عدم قبول أعمال مهنية ووظيفية إلا إذا توافرت لديه الخبرة العلمية والعملية، والقدرة على البحث التي تمكنه من أداء ما يسند إليه من أعمال وواجبات بكفاءة عالية. ورحم الله مَنْ قال: «مَنْ جَهِلَ قَدْرَ نَفْسِه عَدَلَ عَلَى نَفْسِه وَعَدَلَ عَلَى غَيْرِه، وَآفَةُ النَّاسِ مِنْ قِلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ».

كما ينبغي له لكي يحقق ما ذُكر؛ أن يضع خطة متكاملة لكيفية أداء الواجبات والخدمات الوظيفية، وتقييم نظام الرقابة، وجودة أعمال المساعدين له من محاسبين وإداريين؛ لذا يتطلب السلوك المهني والأخلاقي لعلم المحاسبة:

- الالتزام بمعايير المحاسبة الدولية.
- الالتزام بمعايير المراجعة المنبثقة من هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية.
- أداء الأعمال والخدمات والواجبات الوظيفية والمهنية بالعناية التامة.
- الالتزام بالأمانة والموضوعية والاستقلالية عند أداء الواجبات والخدمات المهنية.

وهذا كله يتطلب من المحاسب عدم اللجوء إلى الخداع أو التضليل أو الادعاء فيما يتعلق بالتأهيل والخبرة الفنية والعملية المكتسبة التي يتمتع بها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» (أخرجه الترمذي).

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من أقوال عمر رضي الله عنه

د. محمد حسان الطيان - منسق مقررات اللغة العربية - الجامعة العربية المفتوحة

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري:
«خذ الناس بالعربية، فإنها تزيد في العقل، وتثبت المُروءة».

هذه الكلمة من روائع ما نقل عن عمر رضي الله عنه، وهي تدل على نفاذ بصيرة، وقوة عارضة، وصواب رأي، فضلا عما تشتمل عليه من علو بيان، وفصاحة كلام، وروعة إيجاز.

إذ أدرك أبوحفص بحسه المرهف وحذقه البصير الخطر الداهم على العربية بعد كثرة الفتوح، وانتشار الصحابة في البلدان، ومخالطتهم للأعاجم، وبعدهم عن موئل الصفاء اللغوي، وبيئة الفصاحة والبيان، وخصوصا بعد تفشي اللحن في الكلام والقراءة والكتابة، وورود إشارات تؤذن بذلك.

وفيها تأسيس لقاعدة لغوية فكرية، باتت بحكم المسلمات في علم اللغة واللسانيات والفكر، وهي علاقة اللغة بالفكر والتفكير، والعقل والذكاء، هذه العلاقة الجدلية التي قطباها اللغة والفكر وكل منهما يؤثر ويتأثر، فكلما نمت اللغة وقويت نما الفكر وتطور، وكلما ضعفت وهزلت عاد الفكر واهيا هزيلا، والعكس صحيح أيضا، فالفكر السديد الصحيح يرقى باللغة ويسمو بها، والفكر الضعيف الضحل ينزل باللغة إلى الحضيض.

واللغة ليست مجرد رموز أو مواصفات فنية، بل هي أسلوب تفكير ونمط بناء وتثقيف للشخصية الإنسانية، وبقدر ما تكون اللغة دقيقة يكون الفكر دقيقًا والرأي صائبًا، فالإنسان عندما يفكر لا يستطيع ذلك إلا إذا وجد مخرجًا لكل فكرة بعبارة يقولها أو يكتبها، وما لم تتحول الفكرة إلى لغة فإنها تموت، ومن هنا فإن زيادة الثروة اللغوية يؤدي إلى زيادة الثروة الفكرية، ومن هنا أيضا كان الخلل في اللغة خللًا في التفكير كما قال الفيلسوف زكي نجيب محمود: «إذا دبّ خلل في اللغة دبّ خلل في التفكير» ذلك أن العلاقة بين اللغة والفكر علاقة جدلية أزلية فلا فكر دون لغة ولا لغة دون فكر.

هذا وإن ضعف اللغة أو قوتها معيار تقاس به ثقافة الأمم وحياتها، فالمجتمع الذي تقوى لغته ترقى ثقافته وحياته وفكره. «وكم عز أقوام بعز لغات».

من شعائر الله

والعربية تزيد على سائر اللغات أنها شعيرة من شعائر الله جل في علاه، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب، وهي إلى هذا الرباط المقدس المتين الذي يشد بعض أبنائها إلى بعض، ويصل مشرق هذه الأمة بمغربها، وحاضرها بماضيها ومستقبلها، وهي هوية الأمة.. ووعاء فكرها.. ووسيلة تواصلها.. وأداة المعرفة فيها.

واستهدافها يعطل نمو تفكير الأمة، ويلغي عقلها، ويطمس شخصيتها، ويعبث بثقافتها، ويقطع أوصالها، ويجفف ينابيعها، ويجتث جذورها ويتركها في مهب الريح، ولاسيما أنها لغة العقيدة والقيم والثقافة والحضارة والعلم والتعليم والعبادة.

وليست العربية لغة إقليمية تخص بلدًا معينًا أو شعبًا مخصصًا، بل هي لغة الأمة كل الأمة، ولست أعني الأمة العربية فحسب بل الأمة الإسلامية أجمع لأنها لغة القرآن الكريم.

من هنا كان لزاما على كل عربي صادق في ولائه، بل على كل مسلم ملتزم بإيمانه، أن يرعى هذه اللغة حق الرعاية، وأن يحفظها ويعنى بها حق الحفظ والعناية، يقول الإمام الزبيدي: «ولم تزل الأئمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم من التابعين يحضّون على تعلم العربية وحفظها والرعاية لمعانيها، إذ هي من الدين بالمكان المعلوم، فبها أنزل الله كتابه المهيمن على سائر كتبه، وبها بلّغ رسوله عليه السلام وظائف طاعته وشرائع أمره ونهيه».

ومن تنكّب عن ذلك ففي عروبته شك، وفي إسلامه نقص، كما يصرح أستاذنا الدكتور مازن المبارك حيث يقول: «وليس مخلصا للإسلام ولا واعيا في خدمة كتاب الله من لم يدعه حبُّه وإخلاصه ووعيه إلى العناية باللغة العربية، إن العربية صوت القرآن وصورته، ولا يطعن فيها أو يفصلها عنه إلا شعوبي».

ومن هنا نفهم شطر الكلمة التي قالها عمر، أي «تزيد في العقل» أما شطرها الآخر، أي تثبت المروءة، فالمروءة كلمة جامعة لمكارم الأخلاق العربية التي جاء رسولنا الكريم ﷺ متممًا لها، وحاضًّا عليها، وأسوةً يؤتسى به فيها. والعربية بشعرها ونثرها وعيون أخبارها ودرر أمثالها، بل بنصوص قرآنها، وأحاديث أفصح من نطق بها، تهدي إلى هذه المكارم وتدل عليها، وتربي كل ناطق بها على أحسنها وأقومها. وفي هذا يقول شاعرها الحكيم أبوتمام:

ولولا خلالٌ سنّها الشعر ما درى
بغاةُ النّدى من أين تؤتَى المكارمُ

وبعد فهل أزيدك شيئا؟ إن ما صدّر به عمر كلامه من قوله: «خذ الناس بالعربية» يشتمل على الحل الأمثل لما نعانيه اليوم من تردٍّ في لغتنا وضعف في عربيتنا، لأن الله يزَع بالسلطان ما لا يزَع بالقرآن، كما قال سيدنا عثمان.

الزمن.. باعتباره غزلا

أمين عبدالجبار -باحث يمني

يصعب الحديث عن الوقت أو الزمن بشكل مجرد من أي مضمون آخر غير مطلق الزمن؛ ذلك أنه في هذه الحالة سيكون الزمن فراغًا مطلقًا يصعب تخيل وجوده.. ونحن لا نريد في هذه التناولة أن نتحدث عن الزمن من حيث هو بحث من بحوث علم الفيزياء.. فذلك أمر يتكفل به أهل الاختصاص في هذا العلم، ولسنا منهم، وإن كان الاطلاع على أطراف من ذلك التخصص يقرب فهم ما نحن بصدده، ولأن الزمن بذلك المعنى آية من آيات الله الباهرة التي أودعها هذا الوجود الدال على عظمته وحكمته..

ليس ذلك مدار حديثنا هنا، وإنما الذي نريده ونقصده من حديثنا عن

الزمن أو الوقت في هذا الموضوع هو محتواهما.. فالعمر أو العقد منه – إذا قدر له أن يطول – أو الشهر أو اليوم أو ما دون ذلك، ليس هو العمر كما يفترض أن يكون.. وليس هو كذلك الذي تطلع عليه الشمس وتغيب، أو تتعاقب عليه الفصول وتتقلب فيه أحوال الطقس، وليس هو الذي تؤرخ به الأحداث ويُحتفل فيه في المناسبات، كلا.. كلا، إنما هذه الوحدات الزمانية– في حقيقتها– هي ما يُدَوّنُ لك فيها من أعمال خير وبر، وعليه فإن برهة عابرة في زمن مّاً من حياة إنسان مّا قد تكون بعمر أمم متطاولة في التاريخ، ولذلك فهم يسجلون تاريخ الأمم بعد ذلك باسم صاحب تلك اللحظة الفارقة، ولقد قال الله عز وجل عن أبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ (النحل: ١٢٠).

ليلة بألف شهر

ولا أَدَلّ على أن قيمة الزمن بما يَسْتَبْقيه فيه من آثار، من أن ليلة واحدة قد تفوق في بركتها ألفَ شهر من العمل الصالح ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ٣)

وأما ما سوى ذلك من أيام مديدة وأعمار ممتدة، فلا يكاد يذكر ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ (المؤمنون: ١١٣).

ومهما كان من شأن العمر وما ملئ به فإن كل ذلك مذخورٌ لك أيها العبد مدخر لملاقاتك في الكتاب الذي أُلزمته ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (الإسراء: ١٣)، وذلك حين يُنصب من نفسك على نفسك حسيبًا.

والغاية في العدل أن تحاسب نفسك بنفسك. وإنك لست واجدًا في هذا الكتاب شيئًا دسّه أحدٌ عليك خلسة أو افتُئتَ عليك فيه مثقالُ ذرة، وإنما هو العدل المطلق: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧). إن هذا الكتاب هو زمنك ووقتك وعمرك، ولن يغادر ثانية واحدة دون أن يحصيها ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩).

إنه ليس مجرد إحصاء يراكم أرقاما لا معنى لها.. بل إنه يضع كل شيء في موضعه، إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧–٨).

الإفلاس الحقيقي

يا الله.. ما أصعب أن يتخيل المرء أعمال الشر على صغرها تتجسد في الميزان أثقالاً، تتكاثر لتفضي بصاحبها إلى الهاوية؛ كما أبان ذلك رسول الله ﷺ، وهو يسائل أصحابه:

«أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه. ثم طرح في النار» (صحيح مسلم).

لقد كان ﷺ يستدعي إلى أذهان أصحابه تلك الصورة المفجعة للتاجر المفلس.. وهي صورة من بلاغتها جمعت المفارقة من طرفيها: التاجر بما يعنيه من التملك والغنى، ثم الإفلاس بما يفيده من مفاجأة التجرد من كل كسب، مصحوبًا بذل الإملاق.. إنها البلاغة النبوية.. وما من بيان غير كلام الله يستطيع أن يتجاوز رسم هذه الصورة التي تعني تفريط المرء بكسب وقت مضى في وقت لاحق، مما يحرق الوقتين معًا، وهي صورة جلاها القرآن الكريم كأبدع ما تكون التجلية، وأوجزها كأشد ما يكون الإيجاز ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ (النحل: ٩٢).

منحٌ!

إن الذي يهدر أوقاته ابتداءً، خاسرٌ خائب؛ لأن هذه الأوقات– لو علم– منحةٌ جليلة لا تتأتى لكل أحد، كما بين ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (رواه البخاري).

إذ هناك غير هذا الكثير المشار إليه في الحديث قليل من الناس لا يحظون بهاتين النعمتين.. كما في الحديث: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (صححه الألباني).

فإذا ما فوت الإنسان هذه المنح الجليلة ابتداءً ولم يهتبل فرص الحياة ليصّعد بها في درجات رضوان الله، عددناه خاسرًا خائبًا.. غير أن خسارته لا تقارن بذلك الغُفل الذي كد وكدح فيما ينفعه، وأتقن ما خُوّل من عمل وأجاد ما كُلّف من مهام في لحظات خاليات من العمر، كانت قد سجلت في سجل حسناته.

هكذا مضت ومضيت!

عطية الويشي
عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

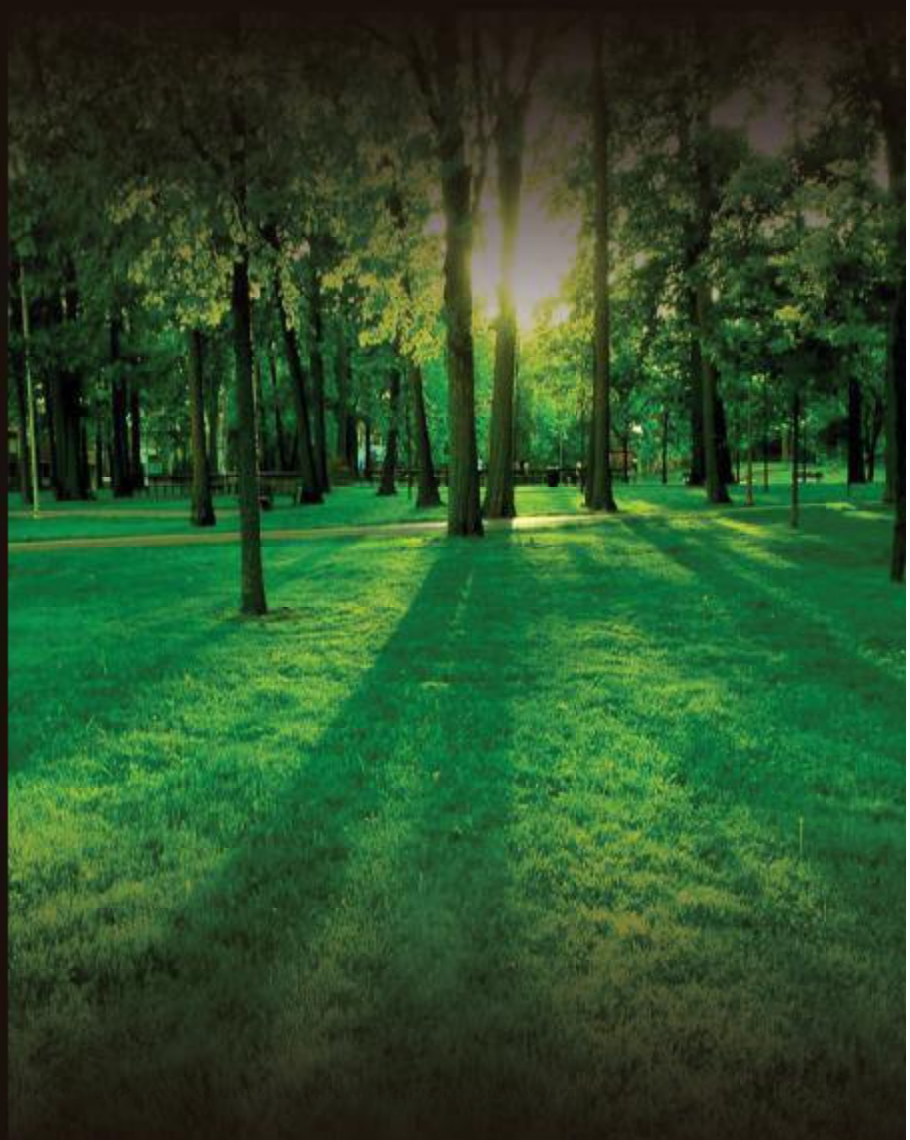

لا أدري، هل كنت محظوظًا بحبها- بعدما استغرقت حينًا من الدهر أحلق في فضائها بلا أجنحة، كانت في فتنتها تبرجها كالزئبق السحري بين أحضاني، فلا أكاد أبلغ بها نشوة اللقاء ولذة الوصال، حتى تنسل من بين يدي المرتعدتين، كنت بطبيعتي محدود الخبرة قليل التجربة، شأني شأن كل مراهق يتخطى مدارج الطفولة البريئة بشيء من الاغترار الباعث على تفسير الأشياء من حوله بمنطق طفل ساذج!

لم أفطن إلى عينيها المكتحلتين اللتين كانتا ترقباني عن كثب شغفًا بي، وحنُوًّا عليّ، ورقة لي، ورغبة فيّ.

كان بريقها الوهاج يلتمع في عيون عارفيها فتخطف قلوبهم الموجوعة بآلام فراقها! لكنني كنت مِنْ بين مَنْ حولي محفوفًا برعايتها.

لاح لي أنها تبدي بي اهتمامًا خاصًّا، وكنت كثيرًا ما أسأل نفسي: ما بال هذه ترغب في إنسان لم يزل بعد دون الفتوة؟!

كنت دائما أنام على أمل لقائها في الصباح، فإذا استيقظت وجدت نفسي بين أحضانها، أشعر وكأنها خلقت لي وحدي أنا، فلا أزداد إلا زهوا واغترارًا وانتشاء واختيالًا! لكنني لم أع أن كثيرين من أقراني كانوا يتنافسونيها، ينَامون مثلي هائمين بها وقد شغفوها حبًّا، يتمنونها ربما بأكثر مما أشتهيها لنفسي.

أحيانًا يراودني شعور بالغيرة والحقد فيما لو نافسني بها أحد سواي! لكنني لم أكن أركن لمثل هذه المشاعر السلبية إذ لم أكن مغاليًا في الغيرة عليها فيما لو تعرفت على غيري من الناس.

كنت أتفهم حبها لي وشغفها بي وكنت أقدر إقبالها عليّ، ولم أكن أشعر بأنها من صنف أولئك اللائي يحدثني أقراني عنهن «يتمنعن

وهنّ الراغبات»!. بل إنها كانت مطبوعة بإغراء طاغ وجاذبية لا تقاوم وإقبال ودود، لكنها مع كل ذلك كانت تنطوي على طباع غريبة لم تسعفني خبرة الحياة بفهمها!

كانت كالشمس في إسفارها وإشراقها وألقها الأخاذ! أذكر أن لقاءنا قبل الأخير كان ساخنًا أيما سخونة، مشحونًا بالعواطف وملتهبًا بحرارة الأحاسيس، حتى لقد صار قلبي من عشقها وفرط التعلق بها ينفري ويغلي في قدور الوجد.. وعلى لهيب الشوق لها والهيام بها والإقبال عليها كلما اتقدت في القلب جذوة أمل لقائها!

كل ذلك، والأيام تمضي والسنون تمر دون وعد بزواج يوظف هذه العواطف ويؤمن لعلاقتنا الاستقرار والاستمرار في ظل زواج أبدي سعيد.

على مقربة من نهاية أحد اللقاءات، انتابني شعور بالتوتر والدهشة والذهول الذي لا يغادر قلقًا وخيفة، فقد لاحت لفراستي الواهنة بسمة صفراء تنبث من بين المساحيق التي أتقنت توزيعها هذه المرة حتى بدت وكأنها أجمل ما كانت في أي لقاء جمعنا! لكن هذا لم يلفتني عن مجاملاتها الممتزجة بالإشفاق والتململ! مضتْ ومضيتُ على استحياء من شيبي ورهقي وانحناءة ظهري، تجاعيد بدأت تجترئ في زحفها على وجهي! مضيت ولم أعبأ غارقًا في الأمنيات لعلي أحظى منها بالتفاتة رضا توحي بأمل في وعد بلقاء آخر عما قريب!

ما لبثت أن انتابتني حالة من المروءة، فرُحتُ ألوم نفسي على هذا التعلق المهين، هممت أقلع برحال اليأس من عالمها الفتان، أخذتني منها نظرة إشفاق تومض بنذير خافت! لكن غمزات التصابي وهمزاته قد عادت لتصرفني عن نفسي اللوامة التي لم تكف عن وعظي وزجري والإشفاق علي مراهقتي السمجة!

تهاتفنا عبر أثير القلوب حول إمكانية لقاء قريب؟ وبالفعل التقينا- لكنه كان لقاءً كئيبًا، تغلب عليّ برودة الأحاسيس وجفاف المشاعر، كانت تنظر إليّ بنظرات غريبة، وكأنها تريد أن تبوح لي بسر أو تقول لي شيئًا، لكنها على أية حال لم تفعل.

على شفا واد سحيق في إحدى ضواحي قريتنا الجميلة.. ربوة عالية.. قباب بيضاء.. صمت وسكون يوحي بالوحشة تارة والرهبة تارة أخرى.. لكنه على أية حال كان لقاءً بعيدًا عن ثرثرة الناس وصخب الحياة وضجيجها وعن أعين المتطفلين والحساد، كان هناك شيء ما بداخلي يسخر مني، وكنت أشعر بمرارة سخريته، لكنني كثيرًا ما كنت أتجاوز هذه الوساوس تحت تأثير وهجها وشائقية حديثها الذي يخطف القلوب والأبصار!

برغم لذة اللقاء الأخير التي لم تنقض حتى وقت قريب من نفسي، كنت أشعر بشيء ما يعبث بسعادتي ويستخف بي! ولاسيما أن آخر عهدي بها عندما جاءت تعودني في مرض ألمّ بي على غير تحسُّب.

بدت وكأنها جاءت لتجدد عهد محبتنا، ولتقطع تلك الألسنة التي كانت تتناولها بين الحين والحين وترميها بالغرور والكذب.. تلك الأقاويل والاتهامات التي كانت تترامى عليها من جانب بعض كبار السن والبائسين الذين لم أرهم إلا يهرفون بما لا يعرفون.

لم أكن ألقي لتلك الثرثرات سمعًا ولا بالًا! ولم أكن ألتفت لأقوال الذين جربوا العشق قبلي، لكنني لاحظت في سلوكها ما يريبني فيها ويجعلني أكثر ميلًا وتقديرًا لما يتردد على ألسنة الناس عنها، لمَ لا أنصتُ للمجربين وأهل الخبرة قبلي؟!

كان مجرد حديث نفس هامس، ولكنّ صداه كان يتردد بصدري ندمًا وتحسرًا كالرعود التي تجتاحني فتبدو عليّ علامات الرعاش والتشنج..

وكنت كلما أفقت، وقعتْ عيناي عليها وكأنها تسترق النظر من طرف خفي وتتفرس في وجوه من حولي، مستأنسة بوجودهم.. توزع نظراتها علينا بطريقة مريبة.. كأنها تبحث عن غيري! تذكرت ما بين أول وآخر لقاء بيننا.. رأيته تاريخًا طويلًا من التفريط والتقصير في حق نفسي وربي وأهلي وخلّاني!

انتابتني غُصّة فنظرت إلى من حولي قد جاءوا لعيادتي آملًا أن يسعفني أحدهم بكوب ماء بارد، لكنني لاحظت انهماكهم بأحاديث جانبية لم تزدني إلا ضيقًا وتأففًا! لم يفطن أحدهم إلى ما أريد سوى واحد منهم كان يجلس بالقرب من سريري الذي أتمدد عليه يداعب حفيدي الذي كان يحوم حولي في ترقب وحذر كي يجد مني بادرة استعداد لمداعبته كعادتنا، لاحظت أن عددهم قد زاد، تقدم إليّ الرجل بكوب ماء وقد امتلأت عيناه بدموع لم أفهم دواعيها، كنت مشغولًا بها.. إنه صديقي سعيد، الذي تأثرت لحاله الحزينة ولعبراته.

لم أدْرِ على وجه التحديد ما الذي يبكيه؟! هامستُه بصوت متهدج وقلت له: ما بال دموعك أخي سعيد؟ هل لك من حاجة يمكن أن أسعى لك في قضائها؟ هل عرض لك من هموم الدنيا ما أحزنك؟ عمومًا لا بأس، سعيد.. انظر هناك تجد قنينة عصير.. خذ كوبا واشربه لعلك تهدأ وتستريح! وسأستدعي من يأتيني ببعض مالي ربما تستعين به على تجاوز محنتك شريطة ألا تماطلني في سدادها كعادتك. حاولت إدخال السرور عليه فما أفلحت.

لكن سعيد كان يقابل كُلّ ذلك بابتسامة مفعمة بالهموم، فقرأت في عينيه إشفاقًا علي، فتلطف، وقال لي بعيون حزينة: وحد الله يا صديقي! فقلت بصوت عفوي خافت: لا إله إلا لله! غمرتني عرقة غزيرة أسلمتني بعدها بقليل إلى شرقة وشهقة، أنفاس تخرج مني ما بين الشخير والخوار فلا تكاد تعود إلا بشق الأنفس! يا ربي! ما هذا؟! سمعت جلبة وضوضاء وأصواتًا متداخلة مضطربة الإيقاع، تارة ترتفع وأخرى تنخفض، لم أستطع أن أفهم ماذا يحدث تحديدًا.. لكن الحقيقة التي كانت تتسرب مرارتها إلى نفسي فأغتص بها بين كل لحظة وأخرى، حقيقة غريبة تتنامى إلى أسماعي شيئًا فشيئًا، توحي بأني أوشكت ألا يبقى مني سوى مجرد ذكريات إنسان مولع بالدنيا!

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور

بدَّل.. تبدَّل.. استبدل

عبدالله ايت الاعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

يشهد العارفون اليوم أن العربية الفصحى لم تعد تعبيراتها تستمد من أصولها، ومن منابعها الثرة؛ لأنها لم تعد في أيدي أبيناء الكلام العربي، الذين وضعوا أضواء ومنارات في السبيل اللاحبة، التي تهدي إلى كل مرشدة، بل أصبح أمرها مدبرًا من لدن سلطات وسائل الإعلام المختلفة، التي تمادت في الإطلالة علينا- صباحا ومساء- بعبارات خداج تشفع السم بالعسل، من خلال أمشاج الألفاظ والتعبيرات الطارئة التي تقذف بها من مصانعها اللغوية البراقة، والتي لم نسمع بمثلها في آبائنا الأولين.. لذلك لا ينبغي للباحث المدقق أن يصم أذنه عن هذا السيل الجراف القحاف، الذي إن لم يدمر كل شيء يصادفه، فسيذهب مع توالي الملوان(1) بالحصون والقلاع. تأسيسا على هذا اليقين، يتطلب النظر إلى قضية اللغة العربية الفصحى مراعاة التوازن بين أمرين مهمين هما: النظام والحرية. أما النظام فهو الذي يضمن للفصحى بقاءها صفية الكوثر، نقية الجوهر، خالية من الشوائب والأحراش التي تفعل فيها ما يفعل السوس في الخشب، باعتماد سياسة لغوية حريصة على التمسك بالقواعد والأصول التي تضمن لها سلطانها على الأفواه، لا ترضى عنها بديلا.. إلا إذا كنا مستعدين للتنازل عن أصالتنا وهُويتنا وعبقريتنا العربية. وأما الحرية فيسند أمرها إلى المجامع اللغوية، والشعراء المُفْلقين، والخطباء المصاقعة، والعلماء الذابرين، والمفنّين البلغاء الذين استصحفت آراؤهم، ووُطِّئ لهم سبيل القول في إثراء الفصحى، وفي توسيع آفاقها بالابداع والارتجال والقياس والتوليد والاشتقاق، والتعريب الذي يُري المفردة المستحدثة نَضرة لاعوَج فيها ولا أمت، من حيث السهولة والفصاحة واقْتعادُ المكانة المرتضاة، التي تزداد بها الفصحى غناء وكمالا يبعثان فيها الحياة، ويجددان أثوابها، في إطار من التمسك بالقواعد والقوانين التي تضمن لها البقاء.

وبما أن لغة القرآن الكريم تعد بلا امتراء حجة العربية الفصحى، وحارسها الأمين، ومَثلها الأعلى، ودرْسها المقدم، الذي يجب أن يُوجَّه إليه شداتها لينهلوا من معينها الصافي، ويرتعوا في رياضها الزاهرة، فإنني غبَرْتُ وقتا أتأمل ببصر حديد جملة من التعبيرات الشائنة التي تقذف بها القنوات الفضائية العربية، فجعلت من وكْدي وسَدَمي تصحيح هذه العبارات، إيمانا منّي أن مَن صحّح لفظة أو عبارة مستعملة في غير ما نطق به القرآن والشعر العربي البليغ، فكأنما صحّح الحياة، لأن تصحيح ما تقوله الكلمات يعد تصحيحا للفكر والمعاملات بين الناس؛ لإبادة سوء الفهم.

وحَريٌّ بتصحيح استعمالات اللغة أن يكون أمل الأمة كلها، لا رجاء طائفة من الغيورين الذين تسمع لهم صيحات هنا وهناك.. ألم يجب «كونفشيوس» عندما ساءت الأحوال في الصين بضرورة تصحيح اللغة، لأنه عندما تفسد اللغة تفسد المعاملات، ومن ثمة يفسد الفكر، وتُقلب الحقائق، وتضطرب المعاملات لاضطراب ما تقوله الكلمات على هذه الشاكلة.

بدَّل.. تبدَّل.. استبدل

الحاذق بقواعد العربية يدرك أن أغلب الذين يستعملون هذه اللفظة القرآنية فيما يقولون وما يطرسون، قد مرقوا من طاعة نظام استخدامها، حيث إنهم يوظفونها في غير ما نطق به القرآن الكريم، وما ذلك إلا من استحكام اللهجة العامية، وغلبة طبعها عليهم، حيث نقول بالعامية: «بدَّلْتُ القلم بالكتاب» إذا تركت القلم، وأخذت الكتاب.

هذا هو الاستعمال الذي درج عليه أغلب الذين يستعملون هذه اللفظة القرآنية، مثل قول أحد الصحافيين المشهورين في برنامج مشهور: لماذا لا يستبدل العرب الدولار باليورو؟ وهو يقصد أن يترك العرب التعامل بعملة «الدولار»، ليتعاملوا بعملة «اليورو»، وهو لعمري لحن فاحش، يُدخِل الفساد في اللغة، ولا يرعى حرمة للعربية الفصحى، ناهيك أن مثل هذا الاستعمال يدفع المتلقي إلى فهم الآيات القرآنية بغير ما أراد ربُّ العزة، الذي استعمل هذه الألفاظ الثلاثة «بدل- تبدل- استبدل» جاعلا الشيء المتروك على الدوام هو الذي تلحقه الباء، كما يتضح من الآيات القرآنية الآتية: ﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾(البقرة : ٦١) ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل

سواء السبيل﴾ (البقرة: ١٠٨)، وقوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾(النساء: ٢)، وقوله تعالى من سورة سبأ آية ١٦: ﴿وبدلناهم بجنَّتيهم جنَّتين ذواتي أُكل خَمْط...﴾. في الآية الأولى من سورة البقرة يُوبِّخُ موسى عليه السلام أتباعه الذين طلبوا منه الفُومَ والعدس والبصل، بعد أن مَنَّ الله عليهم بطعام المَنِّ والسَّلوى، قائلا: أتتركون الذي هو خير؛ وهو المن والسلوى= العسل والطير المشوي، وترغبون في الذي هو أدنى الموجود بمصر= الفوم والعدس والبصل؟

أما الآية الأخرى من سورة البقرة فيوضح الله- عز وجل- أن من يترك الإيمان إلى الكفر فقد ضل الطريق الجدد الذي يأمن سالكها العثار. أما آية النساء فإن الله جل شأنه ينهى عباده المؤمنين أن يتركوا طيبات الأموال، ويأخذوا ما خبث من المال.. وقل الشيء ذاته بالنسبة إلى الآية الواردة في سورة «سبأ»، الذين لمَّا عتوا عن أمر ربهم بدلهم بجنتيهم الخضراوين ذواتي الثمار المشتهاة، جنَّتين أُخريَين لا تُنبِتان سوى ما تمُجُّه الأذواق.

بناء على ما سبق، يجب التذكير بالقاعدة الآتية: «المتروك المرغوب عنه هو الذي تلحق به الباء أو من على الدوام، والمفعول به هو المرغوب بالنسبة إلى استعمالات هذه الألفاظ الثلاثة الآنفة، وبذلك نطق الشعر العربي. قال الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري يرثي الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ونَسُوا وَصاةَ محمد في صهـــره
وتبدَّلوا بالعزِّ دار بَـــوار

وقال ابن الرومي:

وبُدِّلْتُ من ذاك البياض وحُسْنِـه
بياضا ذميما لا يزال يســود

وقال المعري:

شكوت من الأيام تبديل غـــادر
بواف ونقلا من سرور إلى هـم

هذه أدلة لا تترك رسيسا من الشك في أن المتروك هو الذي تلحقه الباء أو من، نبذت منها نُبَذًا تكون أصواء تهدي إلى صفاء العربية.

١- الملوان: الليل والنهار، وتعرب الكلمة إعراب المقصور.

ربوع الشام

وليد الخطيب- شاعر سوري

صَبَرْنَا دَهْرَنا والصَبْرُ مَلاّ
وهَذا الشَيْبُ أَفْرَعَ واسْتَحَلاّ
وَهذا العُمْرُ يَومًا بَعْدَ يَوْم
يَزيدُ الضَعْفَ ضَعْفًا لَيسَ إلاّ
وَما زِلنا نَلوكُ المُرَّ لَوْكًا
وَمِنْ حِرْمَانِنا شُفْنَاهُ فُلاّ
تَعَوَّدْنا وَهَذا الإلْفُ شَرٌ
لِذا أَبْناؤُنَا انتَفَضُوا بِإلاّ
كَرامَتَنا وَحقُ الحُرِ ثَبْتٌ
وَنَكْرَهُ أَنْ نُذِلّ وَأَنْ نُذَلاّ
وَهَذي الشّامُ ثَارَتْ ثُمَّ قَالتْ
نُريدُ لِشَعْبِنَا أَنْ يَسْتَقِلاّ
فَمِنْ حَقِ الشُعُوبِ تَعيشُ أَمْنًا
وَتَحْظَى بِالحُقُوقِ وَلا أَقَلاّ
يُوَفِّرُها وَلِيُّ الأَمْرِ فَرْضًا
وإلاّ كَانَ حَقًا مُسْتَغِلاّ
فَخَيْرُ الأَرْضِ نَبْعٌ مُسْتَمِرٌ
يُعْطِي مَنْ بِها وَيَزيدُ فَضْلا
لِماذا لا أَراهُ وإنَّ غَيْري
لَفي حُلَلِ الزَبَرْجَدِ قَدْ تَحَلّى
لِماذا صَادَرَ البَاغي لِسَاني
وَلا حَقَنِي وَطَارَدَنِي وَأَجْلا
لأَنِّي لَمْ أُسِغْ رَأيًا سَخيفًا
وَلَمْ أَبْغِ الفَسَادَ وَأَنْ أَضِلاّ
لأَنِّي في الرَشادِ أَعيشُ وَحْدي
غَريبًا لَمْ أَجِدْ عَونًا وَظِلاّ
فَيَا غَدارُ أَنْتَ وَرِيثُ عَهدٍ
مَضَتْ أَيّامُهُ السَوداءُ وَحْلا
أَتَسْلُكُهُ وَأَنْتَ بِهِ صَغيرٌ
بِماذا تَنْتَهي إنْ صِرْتَ كَهلا
رُبُوعُ الشّامِ مَحَّتكُمْ بِمَقت
فَلا أَهْلاً بِكُم فِيهَا وَسَهْلا
كَفَى ظُلْمًا كَفَى قَهرًا وَإنّي
وَحَقِ اللهِ لَنْ أَرْضَاهُ حَلاّ
وإنْ قَدَمتُ رُوحي دُونَ عِرْضي
لَهَذا أَحْسَنُ الأَشْياءِ بَذْلا
وَإمّا النَصرُ كَيْ أَحْيا كَريمًا
أُمارِسُ مَا أُمَارِسُ مُسْتَقِلاّ

العِيدُ والشُّعَرَاءُ الحزانى

مصطفى عباس- ناقد أدبي

الأساسُ في العيدِ أن يكون نابضًا بالفرح، عامرًا بالحبور والبهجة، لا تفارقُ البسمةُ ثغرَ الناس ولا الإشراق مُحيّاهم، فالنفوسُ مطمئنةٌ، والقلوبُ مطمئنةٌ، والتهنئةُ متبادَلة، وحالةُ العيد كما قال الشاعر:

أتيتَ يا عيدُ والأرواحُ مشرقةٌ
فللبلابل ألحانٌ وتغريدُ

والعيد في الحقيقة هو محبةٌ وإخاءٌ، وصفاءُ قلوب، وخالصُ وداد، وتسامحُ نفوس، وصادقُ دعاء، فهو الذي ينشرُ المحبَّةَ، وينْزع من النفوس أشجارَ الحقد، ويجتثّ من القلوب جذور الضغائن، كما عبّر عن ذلك أحدُهم بقوله:

إنّ هذا العيدَ جاءْ
ناشرًا فينا الإخاءْ
نازعًا أشجارَ حقد
مصلحًا مُهدي الصفاءْ

ولكنْ، من المعلوم أن أحوال الناس تختلف، فالحياة دائمًا فيها حزنٌ عند قوم وسرورٌ عند آخرين، بؤس ونعيم، سُقم وعافية... ودموعُ الحزانى تسحُّ حتى في العيد، فلا يشعرون بفرحه، لذلك نرى أن عبدالله بنَ الحسين بن الحجاج عندما بشرّوه بقدوم العيد قال: قالوا: أتى العيد، فاستبشر به فرحًا فقلت: مالي وما للعيدِ والفرحِ

العيد والأحزان

وفي يوم العيد يحاول بعض المحزونين أن يُخبّئوا أحزانهم وذلك حتى لا يُنغصوا على الناس فرحتَهم، في حين نرى أن من الناس من تأبى عبراتُه إلا أن تسيل، وجفونُه إلا أن تُقرّحها الدموعُ، وإذا كان الشجيُّ شاعرًا فتأبى قوافيه إلا أن تُنظم، وعاطفته الجيّاشةُ إلا أن تُسكب في بحور الشعر.

وعند ذكر العيد والشعراء فلزاما علينا أن نتذكر المتنبي وقصيدته التي يُسائل العيد فيها قائلًا:

عِيدٌ بأيّةِ حالٍ عُدْتَ يا عِيدُ
بما مضَى أم لأمرٍ فيه تجْديدُ؟
أما الأحبّةُ فالبَيْداءُ دونَهمُ
فليْتَ دونَك بيدًا دونَها بِيدُ
لم يترك الدّهرُ من قلبي ولا كبدي
شيئًا تَتَيّمه عينٌ ولا جِيدُ

والشعراءُ الذين لم تدخل البهجةُ إلى قلوبهم يوم العيد، بل دخلها الشجن والأسى، تختلفُ دواعي أحزانِهم باختلاف أحوالهم.

العيد والأسر

فمنهم من كان أسيرًا يوم العيد، وهل هناك أشدُّ حزنًا كأسير يومَ العيد؟ هذا ما حصل مع الشّاعر أبي فراس الحمداني الذي حضره العيد، وهو أسيرٌ ببلد الروم فقال:

يا عيدُ ما جئتَ بمحبوب
على مُعَنّى القلبِ مكروبِ
يا عيدُ قد عدتَ على ناظرٍ
عن كل حسنٍ فيكَ محجوبِ

ومنهم من أتى عليه العيد وهو نائي

الديار عن وطنه، تلفحُهُ نارُ الغربة.. هجرهُ الأحبابُ، فسكب العبرات، وتجرّع الحسرات، وفوق هذا كله نزل به فقر مدقع، وإملاق مقيت.. فمن أين سيأتيه الفرحُ؟، وأنى للبسمة أن تلوحَ على محياه؟!، وهذه هي حالة الشاعر محمد بن هبة الله الذي قال:

وقائلٍ قال يومَ العيد لي ورأى
تَمَلْمُلي ودموعُ العين تنهمرُ
مالي أراك حزينًا باكيًا أسفًا
كأن قلبَك فيه النارُ تستعرُ؟

فقلت: إني بعيدُ الدار عن وطنٍ
ومُمْلقُ الكفّ، والأحبابُ قد هجروا

ومن المواقف المؤلمة يومَ العيد، أن يرى الأبُ أن جميع صغار الحي قد حصلوا على الهدايا، وهو فقير لا يملك مالاً يعطيه لطفله الصغير، فهو لا يملكُ إلا الدموعَ الحرّى، ولهيبَ الزفرات، فأخذَ يُعلّلُ صغيره بالأمنيات والوعود، لعله أن يجد فيها شيئًا من السلوان، وذلك كما حصل مع الشاعر قيصر سليم الخوري عندما وصف حرمان طفله في العيد، وبكاءَ أمه بعدما عاينت ذلك المشهدَ، فيقول:

رأى بُنَيّ صغارَ الحيّ قد غنموا
في ليلة العيد أشياءً وما غنما
وجاءَ يسأل مالاً لستُ أملكُهُ
ولو أتى طالبًا روحي لما حُرما
وعدتُه وجفوني حشوُها أَرَقٌ
وعدًا تعلّق في أجفانه حُلُما
لما رأت أمُّه حالي وحالتَه
مالت لناحية تُذري الدموعَ دما

ومن المواقف التي تكونُ أشدّ إيلامًا، وأكثر تأثيرًا، موقفُ لإنسان كان في العيد الماضي مَلكًا، يرفُلُ في أثواب السعادة، ويتقلّب في جنان الدنيا.. فما أتى عليه عيدٌ جديدٌ إلا وهو في المنفى بعيدًا عن وطنه، تداعبُ مقلتَهُ أطيافُ لنعيم مضى، ومُلك تلاشى، وأعني بذلك المعتمدَ بنَ عبّاد الذي كان متربّعًا على عرش إشبيلية، ثم ما لبث أنْ لعبت به الدنيا، وقلبَ له الدهرُ ظهرَ المِجَنّ، فقيّده ابنُ تاشفين، ونفاه إلى «أغمَاتَ» وهي مدينة بالمغرب فدخل عليه من بنيه، من يسلم عليه ويهنيه يوم العيد، وفيهم بناتُهُ، وعليهن أطمارٌ بالية، وكُنّ يبكينَ والضّياعُ قد غيّر صورَهُن، وحيّر نظرهن، وأقدامُهن حافية، وآثار نعيمهن عافيةٌ، فقال مخاطبًا نفسه، متذكرًا أعياده الماضيةَ التي كانت تأتيه وهو في الملك ونعيمه:

فيما مضى كُنتَ بالأعياد مسرورا
فساءك العيدُ في أغمَاتَ مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعةً
يغزلْنَ للناس ما يملكن قطميرا
بَرزْنَ نحوك للتّسليم خاشعةً
أبصارُهُنّ حسيراتٍ مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدامُ حافيةٌ
كأنّها لم تطأ مسكًا وكافُورا

العيد والأحبة

ومن الشعراء من يهيّجُ حزنَه يوم العيد رؤيةُ الناس يهنئون أحبابَهم، ويُضحون بقرابينهم، وهو وحيدٌ لا أحدَ يُهنّئُهُ، ولا خليلَ يواسيه، سوى دمع أحمرَ على وجنتيه يذرفُهُ ويُذريه، فهاهُو أبوالبقاء خالدٌ البلويّ يقول:

أتى العيدُ واعتاد الأحبّةُ بعضَهم
ببعض، وأحبابُ المتيّم قد بانوا
وأضحى وقد ضحّوا بقربانهمْ وما
لديه سوى حُمْر المدامع قربانُ

وكذلك الشاعرُ أبوالفرَج سلامةُ بنُ بحر فقد أشعلَ العيدُ أشجانه، وزاد همومه، لأنه ذكّره بعهد مضى مع الأحباب، ولم تبق منه إلا طلولُ الذكريات، فقال:

من سرّهُ العيدُ فما سرني
بل زاد همّي وأشجاني
لأنه ذكّرني ما مضى
من عهد أحبابي وإخواني

ونظيرهما أيضًا لشاعر غيره يؤكد فيهما أنْ لا عيدَ ولا فرحَ إلا بحضور الأحباب:

من سرّهُ العيدُ الجديـ
ـدُ فما لقيت به سرورا
كان السرورُ يتمُّ لي
لو كان أحبابي حضورا

ومما يثيرُ الشجنَ يوم العيد أن يرى الشاعرُ أعداء الأمة يَعيثون في الأرض فسادًا، ويُكثرون من بَغيهم وإجرامهم.. وذلك كما حلّ في فلسطينَ الثكلى، ومن ثَمّ في العراق الجريح.. وتذكرتُ في هذا الصدد قصيدةً لي نُشرت صباحَ يوم العيد عنوانُها: «عيدُ البائسين في العراق وفلسطين»، قصيدةٌ كانت مُترعةً بالبؤس، ومُتّشحةً بالأسى، ومطلعُها:

أين السعادةُ قل لي أيُّها العيدُ؟!
وفي فلسطينَ قتلٌ ثم تشريدُ

وأما بالنسبة لمُفضليّة الشاعر تأبّط شرًا، والتي خاطب فيها العيد، فقد ذكر أبوالفرج أن العيد فيها هو ما اعتادَ الإنسانَ من همٍّ أو شوقٍ أو مرضٍ أو ذكرٍ

وفي بداية القصيدة خَطابٌ موجّهٌ للعيد من تأبط شرًا (وهو لم يقصد عيدَ أضحى أو فطرٍ لأنه شاعرٌ جاهليٌّ!!) يقول فيه:

يا عيدُ مالَكَ من شَوْقٍ وإيراقِ
ومَرّ طَيْفٌ على الأهوالِ طرّاقِ
يَسْري على الأينَ والحيّات مُحْتَفيًا
نفسي فداؤُكَ من سارٍ على ساقِ

وعلى كل الأحوال فإنه لم يُسَرّ في ذلك العيد الذي عادَه محمّلاً بالهموم والأشواق...

ختامًا: العيدُ في سروره وبهجته والتلهّف للقائه من أجمل ما في ذكريات الطفولة، وكلما تقدم الإنسانُ في العمر، وابتعد به قطار الزمن عن رياض الطفولة البريئة خَفّتْ بهجةُ العيد لديه، وما ذلك إلا لكثرة هموم الحياة، وتَجدّد مُنغصاتها، وإنني أحببتُ أن أختم هذا المقالَ بأبيات حلوة مشهورة للشاعر إيليا أبوماضي ، يقول فيها:

أقبلَ العيدُ ولكنْ
ليس في الناس المسرّهْ
لا أرى إلا وجوهًا
كالحات مُكفهرّهْ
أيها الشاكي اللّيالي
إنما الغبطةُ فكرهْ
لا تكنْ مُرًّا ولا تجـ
ـعل حياةَ الناسِ مرهْ
إنه العيدُ وإنّ الـ
ـعيدَ مثلُ العُرس مرّه

وأسأله تعالى أن يجعل أعيادَنا عامرةً بالمسرات، وأن يُفرّج كرب كل مكروب، وحزنَ كلّ محزون، إنه سميع قريب.

عوامل قيام الحضارات وانهيارها في القرآن الكريم

القاهرة : مريم عبدالحميد
دار الإعلام العربية

يبحث هذا الكتاب في العوامل المؤدية إلى قيام الحضارات أو سقوطها من خلال القرآن الكريم، إذ أوضح كتاب الله عوامل قيام الحضارات التي كثيرًا ما تكون ذات عوامل سقوطها، وقدّم القصص القرآني نماذج لحضارات سادت ثم بادت، ولم يغفل الكتاب تناول الحضارة مشيرًا ومعددًا أسباب تدهورها، وكذا الحضارة الغربية التي حملت في طيات قيامها ونهضتها بذور أفولها؛ وفي الكتاب رد مباشر على دعاوى تصادم الحضارات التي نادى بها «هنتنجتون» وغيره، من خلال الإشارة إلى الدعوة القرآنية الكريمة لتحاور الحضارات بدلا من تصادمها.

ينطلق مؤلف الكتاب أسامة الألفي من فكرة مفادها أن الحضارة- شأنها شأن الإنسان- لها سنن وعوامل تؤدي إلى قيامها، لو أحسن تطبيقها واستثمارها، صلحت مسيرتها، وإن أُهملت تاهت وضاعت بين الدهاليز المظلمة، ومن ثَمّ يحاول الكاتب عرض تلك العوامل التي تؤدي إلى قيام الحضارات وصعودها، أو اضمحلالها وانهيارها.

المنهج القرآني

وبعد سعي لإيجاد مفهوم شامل لمصطلح «الحضارة»، يتوصل الكاتب إلى أن الجامع المشترك لمختلف المفاهيم السياسية والاقتصادية والتاريخية للحضارة هو الاستقرار، وأن الحضارة تعبّر عن حاجة إنسانية تميّز الإنسان عن غيره من الكائنات؛ وأن العوامل التي تحكم قيام الحضارات وانهيارها «سنن» معينة تتسم بالثبات، وهذا ما تنبّه إليه المفكرون المسلمون، فانكبوا على دراسة المنهج القرآني في التعامل مع التاريخ البشري، وسعوا إلى الانتقال بهذا التعامل من مرحلة العرض والتجميع إلى محاولة استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية والتاريخية كما فعل ابن خلدون مثلًا، فهناك سنن ونواميس تخضع لها الحركة التاريخية في سيرها وانتقالها من حال إلى حال. والإسلام لا يتصور أن القوى الاقتصادية

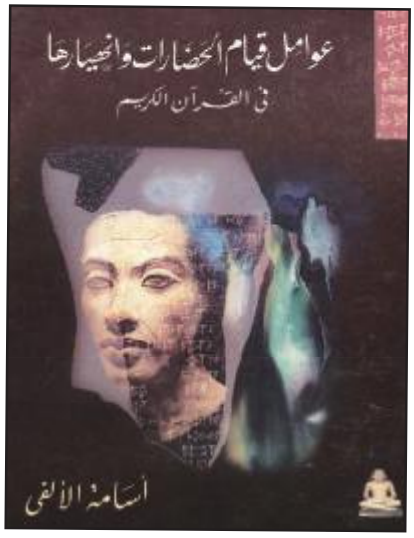

أو المادية وحدها يمكن أن تحدث أي تغيير أو تحول في المجتمع البشري، إنما تغيّر ما في نفس الإنسان هو الذي يتجلى في التغيير الذي يحدثه في ظروف البشر الخارجية، ومن ثم فإن فلسفة التاريخ الإسلامية هي تفسير التاريخ المعنوي؛ لأنها ترى في الإنسان كائنًا معنويًا، فالظروف الخارجية تؤثر في حياته لكن العامل الحاسم هو الإنسان نفسه.

عوامل قيام الحضارة

وأهم عوامل قيام الحضارة هو «العقيدة» فلا حضارة دون عقيدة تدفعها وتغذيها، وتقدم الشريعة الإسلامية نظامًا متكاملًا للحياة الإنسانية: سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا... فالتكاليف الشرعية في الإسلام ما وُضعت إلا للارتقاء بروح الإنسان وصياغة مجتمع العدالة والمساواة.

وثاني عوامل قيام الحضارة في الإسلام هو «الإنسان»، فعناية الإسلام بالإنسان وتأهله ليكون صانع الحضارة تمتد إلى آفاق رحبة متسعة، إذ حرص كتاب الله على أن يعرّف الإنسان أن جميع البشر متساوون، بغض النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة، فالجميع سواسية أمام قانون إلهي رحيم أساسه العدل؛ فالإسلام حرص على تأسيس إنسان متوازن الشخصية، سويّ النفس، لا يطغيه الغنى، ولا ينسيه الفقر، لا يستخفه النصر ولا تسحقه الهزيمة، لا تبطره النعمة، ولا تزلزله المصيبة، مطمئن القلب، راضي النفس، متفائل الروح، لا ييأس وإن سُدت في وجهه الأبواب، وتقطعت دونه الأسباب، موقن بأن مع العسر يسرًا، وأن بعد الليل فجرًا، وبعد الضيق فرجًا، وبأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

وفي المرتبة التالية يأتي العلم، وقد اتسم النهج الذي اتبعه القرآن الكريم

في دعوته المؤمنين إلى الأخذ بأسباب العلم بالشمولية والعلو فوق المتغيرات النسبية؛ ليناسب كل زمان ومكان، ومن هنا تتميز آياته بتوجهين: الأول دعوة الإنسان إلى تبصر آيات الله في الكون والنظر فيها، بل النظر في نفسه، والثاني الإشارة إلى حقائق علمية..

تعارف لا تصادم

ويدعو الإسلام إلى مبدأ تعارف الحضارات لا تصادمها، ففي أكثر من آية وموضع يؤكد لنا القرآن الكريم مبدأ الوحدة الإنسانية في المنشأ والميلاد، داعيًا إلى إقامة جسور من التعارف والتعاون بين البشر باعتبارهم جميعًا جاءوا من أب واحد وأم واحدة؛ وتعارف الحضارات يؤدي إلى تآلفها وتعاونها، ويفضي إلى الوئام، ويثري الفكر الإنساني، ويلبي حاجات البشر المختلفة؛ وذلك على عكس العولمة التي تعني فناء خصوصية الحضارات داخل حضارة واحدة معينة.

وقد اهتم الإسلام اهتمامًا كبيرًا برسم ملامح أساسية للمجتمع المسلم، تساعده على الاستقرار وبناء كيانه الحضاري، الذي تتوافر له المبادئ والقيم القرآنية الخالدة مثل التوازن والحركية والتطور بوجوهه المختلفة، بما يلبي مطالب الإنسان الحياتية، ويزكي نزعته التي ترفض العرقية والطبقية والمذهبية، وتساوي بين البشر في الحقوق والواجبات، فلا يتميز أحدهم على الآخر إلا بتقوى الله، وقد أولى القرآن الكريم للأسرة جل اهتمامه؛ لأنها خلية المجتمع الأولى، وأطر علاقاتها على أساس توازن دقيق، من خلال رابطة الزواج، التي هي أسمى ألوان ارتباط البشر، فقد وصفها القرآن بـ«الميثاق الغليظ».

الكتاب: عوامل قيام الحضارات وانهيارها في القرآن الكريم.
تأليف: أسامة الألفي
جهة النشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.
عدد الصفحات: ٢٣٠ صفحة من القطع الصغير.

وفاة الداعية سعاد الولايتي

الولايتي خلال مشاركتها في الملتقى الكويتي التركي عام ٢٠١٠

فقدت الكويت إحدى داعياتها المبارزات الأستاذة سعاد عبدالرحمن الولايتي بعد معاناة طويلة مع المرض فكانت الصابرة المحتسبة.

تلقت أم المثنى العلم الشرعي على يد العديد من المشايخ والعلماء، وعملت مدرسة للغة الإنجليزية، ثم تركت التعليم وعملت متطوعة سنوات طويلة في «لجنة التعريف بالإسلام» شغلت خلالها منصب «رئيس القسم النسائي»، مستثمرة دراساتها في الأدب الإنجليزي بجامعة الكويت، ودراساتها الشرعية، وكانت مثالًا رائعًا للدعوة والدعاة.

ولدت في مدينة الكويت عام ١٩٥٤م لأبوين كويتيين، وكان لأبويها اهتمام بالعلم والثقافة، واهتم والدها بالدعوة الإسلامية منذ مطلع شبابه، ورأس فيما بعد تحرير مجلة البلاغ الإسلامية الصادرة في الكويت، وكانت سعاد المولود الأول لوالديها، وكان للطابع الديني والثقافي الغالب على أسرتها أثر في اهتماماتها الدينية والثقافية مستقبلا.

تلقت سعاد تعليمها الابتدائي والمتوسط في مدرسة الزهراء الكائنة في منطقة القبلة وهي من الأحياء القديمة في مدينة الكويت، وأكملت دراستها الثانوية في ثانوية قرطبة التي كانت تقع في منطقة الشامية آنذاك، وفي عام ١٩٧٣م التحقت بجامعة الكويت وتخصصت في دراسة الأدب الإنجليزي، وقد تزايد اهتمامها بالأدب والدين في هذه الفترة.

في عام ١٩٩٠ وقبل الاحتلال العراقي الغاشم لبلدها بأشهر قليلة عادت مع أسرتها للكويت بعد حصول الزوج على درجة الدكتوراه من جامعة سانت أندروز باسكتلندا، وبعد تحرير الكويت أصدرت روايتها الأولى «واكويتاه» التي وثقت بها أحداث الغزو الغاشم، وتوالت إصداراتها الأخرى على مدى السنوات التالية، كما تولت تحرير صفحة الأسرة في مجلة المجتمع الكويتية، وفي الوقت ذاته كان لها زاوية أسبوعية في صحيفة الوطن الكويتية بعنوان «وقفة»، شرعت في عام ١٩٩٤م في دراسة العلم الشرعي على يد مجموعة من مشايخ الكويت، فدرست المذهبين الحنبلي والمالكي إلى جانب دراستها لمواد شرعية أخرى مثل أصول الفقه والحديث والقواعد الفقهية والعقيدة والسيرة النبوية وتزكية النفس، وحرصا منها على تدعيم أسلوبها الأدبي واللغوي قامت بدراسة النحو سنوات عدة.

في عام ١٩٩٧ عملت «مدير الشؤون النسائية» في لجنة التعريف بالإسلام، وهي اللجنة المتخصصة في دعوة المقيمين بالكويت من غير الناطقين باللغة العربية للإسلام، وخلال عملها قامت بتدريس الفقه باللغة الإنجليزية والعربية لداعيات اللجنة إلى جانب دروس الوعظ وكيفية الارتقاء بالشخصية الإسلامية، وبعد عشر سنوات من هذا العمل، آثرت ان تتفرغ لدراستها الشرعية ومؤلفاتها.

من أبرز مؤلفاتها: «واكويتاه» رواية في جزءين، «أريد أمًا» قصص قصيرة، «أزواج وزوجات» قصص قصيرة في جزءين، «تعلم كيف تتعلم» (مترجم)، «الداعية التي نريد» (دعوي).

أسرة التحرير آلمها المصاب الجلل، سائلين الله أن يلهم أهله الصبر والسلوان، وأن يرزقه الفردوس الأعلى، إنا لله وإنا إليه راجعون.

العدد (٥١٥) رمضان ١٤٣٣هـ - يوليو / أغسطس ٢٠١٢م

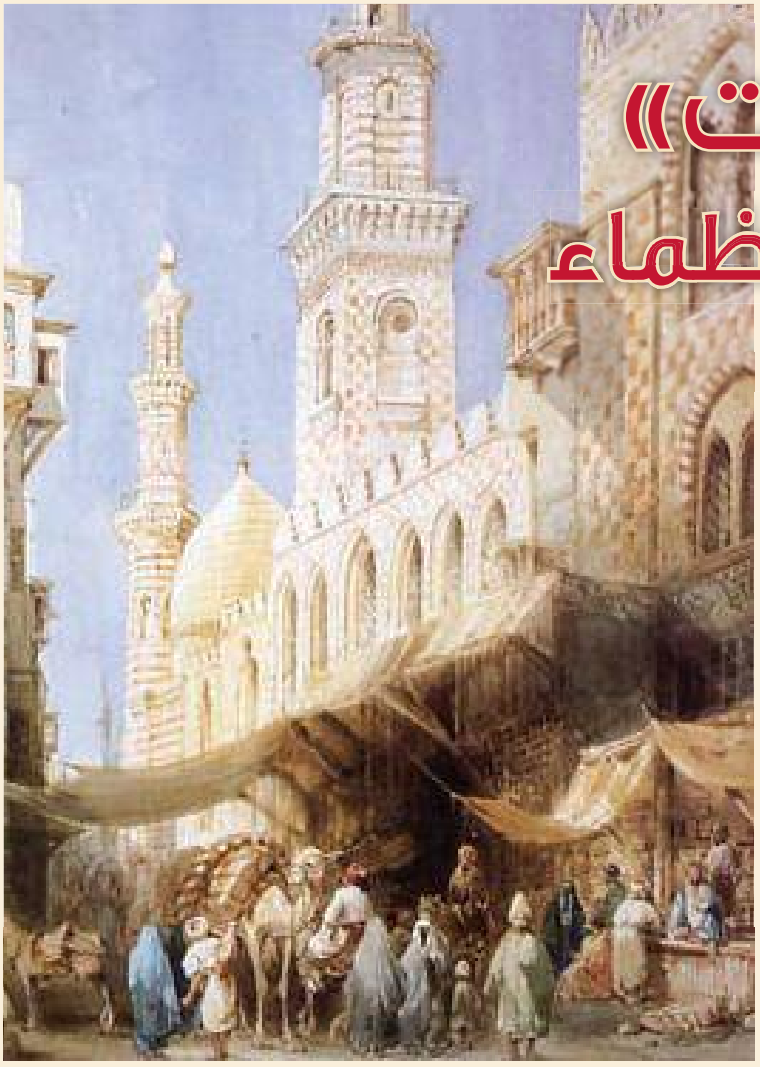

«بُسْت» مدينة العظماء

د. محمد محمدي النورستاني
باحث بوزارة الأوقاف الكويتية

سبق أن تحدّثت عن إقليم «سجستان»، موطن الإمام أبي داود السجستاني، وغيره من الأئمة السجستانيين والسجزيّين (1)، وقد ذكرت هناك أنّ مركزَ إقليم سجستان هو مدينة «زَرَنْج»، وكانت تُسَمّى أيضًا بـ«مدينة سجستان»، وفي هذا العدد أتحدّث عن مدينة من أشهر مدُن سجستان، وهي مدينةُ «بست».

هي مدينةٌ قديمةٌ عدّها القُدامى من أعمال (توابع) سجستان (٢)، وكانت ثانية المدن الجليلة في سجستان بعد مدينة «زَرَنْج» مركز سجستان، قال ابنُ حوقل النصيبي (ت بعد ٥٨٠هـ): «وبُسْت مدينةٌ ليس في أعمال سجستان بعد زَرَنْج أكبر منها، وهي وبئةٌ في نفسها، وزيُّ أهلها زيُّ أهل العراق، ويرجعون إلى مروءة ويَسار، وبها متاجرُ إلى بلد الهند، وبها نخيلٌ وأعنابٌ، وهي خصبةٌ جدًّا» (٣).

وقال المقدسي البشّاري (ت نحو ٣٨٠هـ) في وصف هذه المدينة، وفي وصف أهلها: «بُست قصبةٌ جليلةٌ، أهل دين (٤) ومروءة ويسار ونعمة، طيبةٌ خصبة، ولهم لباقةٌ وإسنادٌ ودرايةٌ، موضوعةٌ بين نهرين، وجامعةٌ للفاكهتَين، ليّنةُ الهوائين، نفيسة المدن، كثيرةُ القرى... وسمعتُ أبا منصور فقيهَ سجستان يقول: ما رأيتُ بلدًا على صغره أخصب ولا أكثر فواكهَ ونِعَمًا من بُسْت، إلا أنها وبيئةٌ متطرفة، صغيرة الرقعة، لها مدينةٌ عامرة، والجامعُ فيها، وربضُ الأسواقِ فيه، شربُهم من هيرمند (٥)، والنهرُ الآخرُ اسمُه «خُرْد روي» (٦)، يجتمعان على فرسخ، وعلى هيرمند جسرٌ من سفن بقربِ موضع مجمع النهرين، وعلى نصف فرسخ من نحو غزنين (٧) شبهُ مدينة تُسمّى «العسكر»، ينزلها السلطان...» (٨).

وتقعُ مدينةُ «بُست» على نهر «هلْمَنْد»، عند ملتقى النّهر الآتي من ناحيةَ مدينة «قندهار» معه، إلى الجنوبِ من ملتَقى النهرَين.

وكانت دائمًا موضعًا جليلًا بسبب موقعها المهم، قال الاصطخري: «على باب بُسْت جسرٌ من السفُن، كما يكون على أنهار العراق» (٩).

فهي ذاتُ موقع حسن جدًّا لكونها في الزاوية التي بَين هذَين النّهرين، في البقعة التي يُصبحُ فيها النهرُ صالحًا للملاحة، وحيث تلتقي الطرقُ الآتيةُ من زَرَنْج وهراة، لتعبُرَ نهرَ هيلمند على جسرٍ من السُّفن، ثم تتابع سَيْرَها إلى ما باتَ يُعرَفُ الآن بـ«باكستان»، ومن ورائها الهند، ممّا جعلها مركزًا تجاريًّا إلى بلادِ الهند (١٠).

وكانت تمتازُ بكثرة الزروع والنّخيل والأعناب والفواكه، نظرًا لوَفْرَة ميَاهِهَا، وخِصْبِ أرضها، وقد نعمت هذه المدينة قرابةَ قرنٍ من الزمان بأوج ازدهارِها

في عهد الغزنويين، إذ استولى عليها سبكتكين سنة (٣٦٦هـ)، ففصلها عن ولاية «زَرَنْج»، وأصبحت «بُست» المقرّ الثاني لحكّام غزنة، الذين أقاموا فيها معسكرَهم الدائم «العسكر»، ومازالت آثارُ هذه القلعة موجودة إلى الآن.

ذكرُ ما حلّ بمدينة بُست من الخراب والدمار

بعد مدةٍ من استقرار المدينة وازدهارها في عهد الغزنويّين امتدّت إليها حوادثُ الزّمان لتغتال بهاءَها، فأجالَتْ فيها يدَ الخراب، وأحالَتْ بساتينَها الغنّاء إلى صَحْراء مُجْدِبَة. وكان بدءُ ذلك حين اكتَسحَ علاءُ الدين حسن جَهانْ سُوز (أي محرق العالم) الغُوري مملكةَ الغَزْنويين، وكانت إحدى مُدُنها، فلحقَها ما لحقَ بمُدُن الغَزْنويّين من الخراب، وذلك حوالي سنة (٥٤٥هـ) (١١)، وقد نَهَبَها علاءُ الدين، وأحرقَ القِلاعَ السلطانيةَ فيها.

إلا أنّ ولاةَ الغوريين من سكّان هذا الإقليم ما لبثوا أن أصلحوا قصورَ الغزنويين في بُست، ورمّموا ما تهدّمَ من قلاعها، كما سكَنَها من بعدهم الخوارزمْشاه.

أمّا التخريبُ الكبير فهو الذي أصابَ المدينةَ من قِبل المغول (ت ٦١٨هـ)، ويصفُها ياقوت في أوائل القرن السّابع الهجريّ فيقول: «والخرابُ فيها ظاهر» (١٢).

وكان من الممكن لهذه المدينة أن تَلْتقط أنفاسَها، فتُرمّمَ ما تهدّمَ منها، لولا أنّ تيمور أجهزَ عليها في أواخر القرن الثامن، فأوقعَ بها وبما جاورَهَا الدّمار، حين زحفَ إليها من زَرَنْج (١٣)، ولم يَبْقَ من بُسْت إلا حِصْنُها الذي ظلّ يُقاوِمُ الأحداثَ بفضل موقعه الحَرْبيّ، إلى أن خرّبَه نادرْشَاه في القرن الثاني عشر الهجري، عام ١١١٧هـ/ ١٧٣٨م، ولا تزالُ أسوارُه قائمةً على شاطئ «الهيلمند»، كما أنّ الأطلالَ التي تَشغَلُ مساحةً كبيرةً من الأرض تَشهدُ على ما كان لعاصمة الغَزْنويين من عظمة وبَهاء (١٤).

ابن حبان.. المحدث الفقيه.. ولد فيها واحتضن ثراها جثمانه

وحصنُ بُست ما زال يُعرف بـ«قلعة بُست»، ومازالت أسوارُه قائمةً إلى الآن، كما أسلفت.

وبالقرب من مدينة «بُست» المندثرة، مدينةٌ أخرى الآن، تُسَمّى «لَشْكَرْكَاهْ»، وهي مركزُ محافظة «هيلمَنْد»، الواقعة إلى الجنوب الغربيّ من العاصمة «كابول» في أفغانستان، بين مدينتَي قندهار وزَرَنْج، وهذه المدينة (لَشْكَرْكَاهْ) تُعتَبَرُ هي مدينة بُسْت؛ لأنها أعيدَ بناؤها في الموقع الجديد، وسُمّي باسم حِصْن بُست، ومعنى «لَشْكَرْكَاهْ»: موقع العسكَر، وباسم بُست سُمّي مطار مدينة «لَشْكَرْكَاهْ»

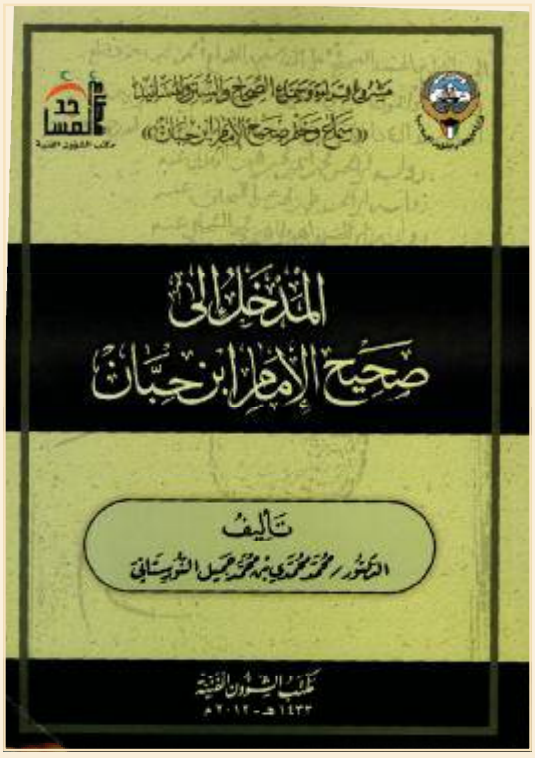

الجنوب الغربيّ من العاصمة «كابول» في أفغانستان، بين مدينتَي قندهار وزَرَنْج، وقد اندثرت هذه المدينة، ولم يبقَ منها سوى أطلالها الممتدّة على مساحة شاسعة، وسوى بقايا من أسوار حِصنها الكبير، الذي يُعرف الآن بـ«قلعة بُست»، وقد نشأت مدينةٌ أخرى في القرب من الموقع القديم، وهي مدينة «لَشْكَرْكَاهْ»، ومطارُها سُمّي باسم «مطار بُست».

والجدير بالذكر أنّ كثيرًا ممن ألّفوا في البلدان أفاضوا في وصف بست، بل لا يكادُ مؤلّف في الموضوع يخلو من وصف هذه المدينة، إلا أنّ الكتاب الذي أشارَ إليه الإمامُ ابنُ حبان في كلامه السابق «فضائل سجستان» من المصادر التي يُتَوَقّعُ أن تكون أكثر تفصيلًا في وصف المدينة وأهلها؛ لأنه لأحد أئمتها البارزين.

مدينةُ «بُست» من معاقل العلماء

الآن.

دخول الإسلام إلى بست

وقد اختلفَ المؤرّخون المسلمون في زمن دخول بست في حوزة المسلمين، ويُستَخلَصُ من كلامهم أنّ سجستان وكابل قد فُتحتا أيام الخليفة عمر بن الخطاب سنة (٢٣) بقيادة عاصم بن عمرو التميمي وعبدالله بن عمير، إلا أنّ أهلَها نقضوا بعده، فأعيدَ فتحُهما زمنَ الخليفة عثمان رضي الله عنه بقيادة عبدالله بن عامر بن كريز سنة (٣٠هـ)، وقد ذكرَ الإمامُ ابنُ حبان هذا في ترجمة الربيع بن زياد، حيث قال: «إنّ عثمانَ بنَ عفان رضي الله عنه في السّنة التاسعة والعشرين عزلَ أبا موسى الأشعريّ عن البصرة، وعثمانَ بنَ العاص عن فارس، وولّى البصرةَ وفارس كلّها عبدَالله بنَ عامر بن كُرَيز، فأنفذَ عبدُالله بن عامر في أول سنة ثلاثين الربيعَ بن زياد إلى سجستان، وولّاه عليها، ففتح سجستان على يديه، وقد ذكرنا تلك القصةَ بتمامها في فضائل سجستان» (١٥).

والخلاصة أنّ مدينة بُست تقع الآن في محافظة هيلمَنْد، الواقعة إلى

معاقل العلم والعلماء

قد خرجَ من هذه المدينة أعلامٌ وعلماءُ كثيرون، منهم: الإمامُ حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطّابي البُستي (ت٣٨٨هـ)، وهو من نسل زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، صاحب المؤلّفات الكثيرة، منها: «أعلام الحديث»، وهو شرح صحيح البخاري، و«معالم السنن» في شرح سنن أبي داود، و«غريب الحديث»، وكتب أخرى كثيرة.

ومنهم: شيخُ الخطابي الإمام ابنُ حبان البُستي، وهو الإمامُ أبوحاتم محمدُ بنُ حِبّان بن أحمد بن حِبّانَ بن معاذ بن معبد بن سَهيد التميمي البُستي (١٦).

و«حِبّان» بالموحّدة المشدّدة، مع كسر أوّله.

و«التّميميّ» نسبة إلى تميم جدّ القبيلة العربية المشهورة، وهو تميم بن مُرّ، الذي يصلُ نسبُه إلى عدنان، فهو عربيٌّ الأصل، أفغانيٌّ المولد والبلد.

وقد أجمعت المصادر على أنّ الإمامَ ابنَ حبان وُلد في مدينة «بُست»، ولكن لم يُحدّدوا سنةَ ولادته، ويؤخذ من أقوال العلماء أنه وُلدَ بين سنة (٢٧٥- ٢٧٩هـ)، وقد قاربَ الثمانين من عمره.

نشأ الإمامُ ابنُ حبان في مدينة بُست، وأمضى فيه طفولتَه وأوائلَ شبابه، ثم غادرَها إلا أنه عادَ إليها في آخر عمره، وتوفي فيها.

وكان الإمامُ ابنُ حبان من الأئمة الذين جمعوا بين الحديث والفقه، وهو على طريقة شيخه الإمام ابن خزيمة في الفقه، والذي لازمَه في الحضر والسفر، وحذا حذوَه في الصحيح، وفي منهجه وطريقته في الفقه. وقد ذكرَ العلماءُ أنّ الإمامَ ابنَ حبان من المجتهدين، قال الإمام ابنُ كثير (ت٧٧٤هـ): «أحدُ الحفّاظ الكبار المصنّفين المجتهدين، رحلَ إلى البلدان، وسمعَ الكثيرَ من المشايخ...» (١٧).

وكان الإمامُ ابنُ حبان يَعيب على المحدّثين الذين يهتمّون بالإسناد فقط، دون الاهتمام بالمتون، كما كان يعيب على الفقهاء الذين يهتمّون بالمتون فقط، دون الاهتمام بطرق الأحاديث، وكان متعلّقًا بشيخه الإمام ابن خزيمة لِما رأى فيه

الجمعَ بين الأمرين، قال- رحمه الله تعالى- في شيخه: «وما رأيتُ على أديم الأرض مَن كان يُحسنُ صناعةَ السنن، ويحفظ الصحاحَ بألفاظها، ويقوم بزيادة كلّ لفظة تُزادُ في الخبر، ثقةً، حتى كأنّ السنن كلّها نصبَ عينيه: إلا محمد بن إسحق بن خزيمة- رحمة الله عليه- فقط» (١٨).

وقد أشارَ إلى هذا الموضوع في مقدمة (صحيحه)، وكادَ ينفردُ بمذهب خاصّ فيما يتعلّقُ بزيادة الثّقة، حيث اشترطَ في المحدّث الثقة الذي تُقبَل منه الزيادة في المتن أن يكون فقيهًا (١٩).

ومما اشتُهرَ فيه الإمامُ ابنُ حبان هو الرحلة في طلب الحديث النبويّ الشريف، حيث إنه قد استغرقَ قرابةَ أربعين سنة في رحلاته إلى أن رجعَ إلى وطنه بُست أخيرًا.

وقد أشارَ الإمامُ ابنُ حبان إلى كثرة رحلاته قائلًا: «ولعلّنا قد كتبنا عن أكثر من ألفَي شيخ من إسبيجاب (٢٠) إلى الاسكندرية» (٢١)، و«إسبيجاب» إقليمٌ يقعُ أقصى الشرق الإسلاميّ في ذلك الوقت، وكانت ثغرًا من أشهر ثغور الإسلام على حدود القبائل التركية التي لم تدخل بعدُ في الإسلام، قال المقدسيُّ (ت نحو ٣٨٠هـ): «ويُقال: إنّ بها ألفًا وسبعمائة رباط، وهي ثغر جليلٌ ودارُ جهاد» (٢٢)، وكان هذه الأربطةُ للمجاهدين المتطوّعين، تَشترِكُ في بنائها مدُن ما وراء النهر قاطبة.

كما أنّ الإسكندريةَ من أشهر مدن مصر، والتي كانت آخر مدينة يُرحَلُ إليها من جهة المغرب الإسلامي، فالإمامُ ابن حبان «يريد من قوله هذا أن يبيّنَ لنا أنه رحلَ إلى أقصى ما تمكن الرحلةُ إليه لطلب العلم في عصره... ولا يسعُنا إزاءَ هذا العددَ الضخم من الشيوخ في تلك الرقعة الواسعة مِنَ الأرض إلا أن نُـرَدّدَ مع الذهبيّ قَولَه: هكذا فلتكن الهِمَم» (٢٣).

فرحلاتُ الإمام ابن حبان شملت أقصى الشرق وأقصى الغرب في البلاد الإسلامية التي كان يُرحَل إليها في ذلك الوقت.

هذا، وكأنّي بالإمام ابن حبّان يَستَمتِعُ بتلك الرّحلات المنهكة، ويتلذّذُ بها: لأنها هي السبيلُ إلى حفظ سنة النبيّ ﷺ، وهذا الشعورُ واضحٌ من كثيرٍ من كلامه في كتبه، من ذلك قولُه في مقدمة صحيحه:

«... ثمّ اختارَ طائفةً لصَفْوَته، وهَداهُم لزومَ طاعته، من اتّبَاع سُبُل الأبرار في لزوم السُّنَن والآثار، فزيّنَ قلوبَهم بالإيمان، وأنطقَ ألسنَتَهم بالبيان، من

كشف أعلام دينه، واتّباع سُنَن نَبيّه بالمدّاوَبة (٢٤) في الرّحْل والأَسْفار، وفراق الأهل والأَوْطار، في جَمْع السُّنَن ورَفْض الأهواء، والتفقّه بتَرْكَ الآراء، فتجرّدَ القومُ للحديث وطَلَبوه، ورَحُلوا فيه وكَتَبُوه...» (٢٥).

فمادامَ أنه يؤمِّل بلوغ هذه الدرجة، فتلك الرحلاتُ مما تزيدُه سرورًا، وتزيلُ عنه آثارَ التعب والهموم.

وجديرٌ بالذكر هنا أنّ الإمامَ ابنَ حبان، صاحبَ تلك الرحلات الطويلة، قد ألّفَ معجَمًا لشيوخه على المدن، وسمّاه «المعجم على المدن»، وهو من الكتب المفقودة.

كما أنه ألّفَ كتابًا في آداب الرحلة، وهو من الكتب المفقودة.

والذين يتبيّنُ من استعراض شيوخ ابن حبان أنّه رحلَ عدّةَ رحلات بين إسبيجاب والإسكندريّة، وليست رحلةً واحدة، والأدلة الدالة على ذلك عديدة لا يتحمّلُها هذا المقال.

ويبدو أنّ ابنَ حبان ظلّ يصحبُ كبارَ العلماء، ويتلقّى على أيديهم، حتى ودّعَ آخرَ شيخَين من كبار شيوخه (٢٦) عام (٣٢٥هـ)، ثم ذهبَ إلى سمرقند، فتولّى قضاءَها، وفقّهَ الناسَ وعلّمَهم، ثم غادرَها وذهبَ إلى نيسابور، فعلّمَ بها سنة (٣٣٤هـ) قليلًا، ثم غادرَها إلى نَسَا حتى سنة سبع وثلاثين، حيث تولّى قضاءَها هذه المدةَ، ثم عادَ إلى نيسابور، فبنَى فيها مدرسةً، وقرأ الناسُ عليه جملةً من مصَنّفاته.

وفي عام (٣٤٠هـ) عاودَه الحنينُ الشديدُ إلى وطنه، فوصل إلى مدينة سجستان (٢٧) عاصمة إقليم سجستان، فعلّمَ بها... وخرجَ منها في نفس تلك السنة إلى مدينة بُست، بعد رحلة امتدّت أربعين سنةً من عمره، فحطّ رحالَه فيها، وبنى دارًا ومدرسة، وذاعَ صيتُه، وصارت الرحلةُ إليه لسماع مصنّفاته، والإفادة من علومه، حتى وافاه أجلُه عام أربعةٍ وخمسين وثلاثمائة، رحمه الله تعالى» (٢٨).

وقد أخذَ الإمامُ ابنُ حبان- رحمه الله تعالى- عن شيوخٍ كثيرين، كما أشارَ هو إلى ذلك، ومن أشهرهم:

١- الإمام الحافظ أبويعلى الموصلي، وقد روى عنه في صحيحه (١١٧٤) حديثًا.

٢- الإمام الحافظ الحسن بن سفيان الشيباني النَّسَوي، روى عنه في صحيحه (٨٣٠) حديثًا.

٣- الإمام محمدُ بنُ الحسن بن قتيبة المخمي العَسْقَلاني، روى عنه في صحيحه (٤٧٢) حديثًا.

٤- إمامُ الأئمة الحافظُ الحجة الفقيه شيخُ الإسلام أبوبكر محمدُ بنُ إسحق بن خزيمة السُّلَمي النيسابوري (ت٣١١هـ)، قال عنه الإمامُ ابنُ حبان: «ما رأيتُ على أديم الأرض مَن كان يُحسن صناعةَ السنن، ويحفظُ الصحاحَ بألفاظها، ويقومُ بزيادة كلّ لفظة تُزادُ في الخَبر، ثقةً، حتى كأنّ السننَ كلّها نصبَ عينيه: إلا محمد بن إسحق بن خزيمة- رحمة الله عليه- فقط» (٢٩).

وقد لازمَ الإمامُ ابنُ حبان شيخَه الإمامَ ابنَ خزيمة في الحضر والسفر، وتخرّجَ به في الفقه، وحذا حذوَه في صحيحه.

وقد أخذَ عن الإمام ابن حبان أئمة كثيرون، منهم: الإمام الحاكم النيسابوري، والإمام ابن مندة، والإمام الدارقطني، والإمام الخطابي، والحافظ غنجار البخاري، وغيرهم من الأئمة الأعلام.

ومما اشتُهرَ فيه الإمامُ ابنُ حبان: كثرة التأليف في كثير من فروع الشريعة، فألّفَ كتبًا كثيرةً في الحديث، والفقه، والبلدان، وغيرها.

ومن أشهر كتبه: صحيحُه، الذي عُرف بـ«التقاسيم والأنواع»، و«صحيح ابن حبان»، وكذلك: كتاب «الثقات»، و«المجروحين»، و«مشاهير العلماء»، و«روضة العقلاء»، وغيرها.

وقد فُقدت أكثرُ كتبه، ولم يصلنا من كتبه إلا النزر اليسير.

رحمَ الله الإمامَ ابن حبان، وأجزلَ له المثوبة، وتقبّل منه كلّ ما قدّمه للأمة الإسلامية، وأسكنَه فسيح جَنّاته.

الهوامش

(١) مجلة «الوعي»، العدد (٥٣٥)، (ص٥٢).

(٢) انظر: «مسالك الممالك» للاصطخري (ص٢٣٨)، «صورة الأرض» لابن حوقل (ص٤١٩).

(٣) كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ص٤١٩).

(٤) أي: أهلُها أهلُ دين ومروءة.

(٥) كذا في المصدر، واسمُه الصحيح «هلُمَنْد»، يعني: أنّ شربَهم من نهر هلمند.

(٦) يُسمى الآن «نهر أرغنداب» أو «أرْكَنْداب».

(٧) أي: غزنة، يقصد: من جهة غزنة، وهي جهة الشمال.

(٨) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي المعروف بالبشّاري (ص٣٠٤).

(٩) مسالك الممالك، للاصطخري (ص٢٤٤)، وبنحوه قال المقدسي في أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ص٣٠٤).

(١٠) انظر: بلدان الخلافة الإسلامية (ص٣٧٧، ٣٨٣-٣٨٤)، مقدمة الشيخ شعيب (٨/١).

(١١) انظر: البداية والنهاية (٢٢٩/١٢)، نزهة الخواطر (٧٩/١)، تاريخ الدول الإسلامية (٦٢٥/٢-٦٣٠)، معجم الأسرات الحاكمة (ص٤١٩).

(١٢) معجم البلدان (٣٢٨/١- بست).

(١٣) انظر: بلدان الخلافة الشرقية (ص٣٨٤).

(١٤) دائرة المعارف الإسلامية (٢١٥/٣-٢١٩ بُست)، وانظر: مقدمة الشيخ شعيب للإحسان (٨/١)، الإمام محمد بن حبان البستي للحمش (١١٢/١-١١٣).

(١٥) الثقات، لابن حبان (٢٢٥/٤). وكتاب «فضائل سجستان» من الكتب المهمة لابن حبان، والتي مازالت مفقودة.

(١٦) انظر: الأنساب، للسمعاني (٢٤٨/١- البستي)، تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر (٢٤٩/٥٢)، معجم البلدان، لياقوت الحموي (٤١٥/١- بست)، تاريخ الإسلام (٧٣/٨).

(١٧) البداية والنهاية (٢٧٦/١١).

(١٨) «المجروحين» (٩٣/١).

(١٩) انظر مقدمة صحيحه (١٥٩/١).

(٢٠) «إسبيجاب» أو «أسبيجاب» مدينةٌ تقع في إقليم يحملُ الاسم نفسه، وتقعُ إلى الشمال من مدينة طشقند- عاصمة أوزبكستان- إلى الشرق من نهر سيحون (سير دَرْيَا)، وهي مدينة سيرام الحالية، التي هي على نهر «أريس» أو «بدم»، وهو رافدٌ من روافد «سيحون» اليمنى، وهي تقع الآن في جمهورية كازاخستان. انظر: بلدان الخلافة الشرقية (ص٥٢٧)، المسلمون في الاتحاد السوفييتي (٤٩٧/٢).

(٢١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (١٥٢/١).

(٢٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي البَشّاري (ص٢٧٣). وانظر: المسلمون في الاتحاد السوفيتي (٤٩٧/٢).

(٢٣) اقتباس من كلام الشيخ شعيب الأرنؤوط في مقدمة تحقيقه لصحيح ابن حبان (١٠/١)، أمّا كلام الإمام الذهبيّ ففي «السير» (٩٤/١٦).

(٢٤) أي: بالجِدّ والتعب، والاستمرار في ذلك.

(٢٥) مقدمة (صحيحه) (١٠٠/١-١٠١).

(٢٦) هما الحافظان: محمد بن عبدالرحمن الدغولي، وأبوحامد أحمد بن محمد بن الشرقي.

(٢٧) هي مدينة «نِيمْرُوزْ»، وهي مركزُ ولاية «نيمروز» في الجنوب الغربيّ من أفغانستان.

(٢٨) «الإمام محمد بن حبّان البستي ومنهجُه في الجرح والتعديل»، للشيخ عداب الحمش (١٥١/١-١٥٢).

(٢٩) «كتاب المجروحين» لابن حبان (٩٣/١).

تحفيز الناشئة على القراءة في الأسرة

أحمد حسن الخميسي- كاتب سوري

إذا أرادت الأسرة أن يغدو أبناؤها قارئين، فما عليها إلا أن تقوم بدعوتهم للقراءة، وتؤمن لهم المناخ المناسب، وتوفر الوسيلة، وتمارس فعل القراءة قبل أن تأمر به، وفيما يلي توضيح موجز لكل خطوة من هذه الخطوات:

أولًا: الدعوة للقراءة

تبين الأسرة للأطفال قيمة القراءة في حياة الفرد والمجتمع، ولاسيما القراءة الحرة خارج المناهج المدرسية، فالقراءة الحرة تدعم المناهج المدرسية، وتزيد التلميذ ثقافة وعمقًا في عقيدته وعبادته وأخلاقه، وتجعله يطل على العالم من أوسع الأبواب.

وهذه الدعوة للقراءة تكون في جلسات

حوارية هادئة بين الآباء وأطفالهم في الاجتماعات الأسرية في المنزل أو خارجه، وعلى الأسرة أن تتحين الوقت المناسب للتوجيه نحو القراءة الحرة المثمرة.

وفي أثناء الحوار تذكر لهم أمثلة توضح الفرق بين من يقرأ ومن لا يقرأ، وتناقشهم حول برامج الأطفال التلفزيونية التي تدور حول القراءة والثقافة والكتابة.

وتحثهم على المداومة على المطالعة يوميًا ولو قلت ليزدادوا علمًا، فالحبيب المصطفى ﷺ الذي هو أسوتنا كان يحرص كل الحرص على تلقي العلوم من ربه، وعن طريقة الملاحظة والتجربة في الحياة.

كما أن الأسرة تبين لأبنائها الصغار والكبار صدق مقولة «أنا أقرأ إذن أنا موجود».

وإذا أرادت أن تثبت الأطفال على القراءة، فلتكثر من الحوافز والجوائز التشجيعية، وتجري المسابقات القرآنية حول من يقرأ أكثر، ومن يفهم بشكل أعمق، ويتوجب أن يعقد الأب جلسة خاصة لقراءة القرآن مع أفراد الأسرة بما فيهم الصغار، وجلسة أخرى لقراءة كتاب مفيد.

ثانيًا: تأمين الوسيلة

إذا اقتنع الطفل بالقراءة وأقبل عليها فمن المفيد أن نؤمن له الكتاب المناسب له الذي يلبي تطلعاته في شكله ومضمونه، وأن يكون ملائمًا لسنه، فالقصص الموجهة للأطفال الصغار تختلف عن قصص الأطفال الكبار الذين تجاوزوا العاشرة، فلكل مرحلة عمرية ما يلائمها من الكتب، ولنحرص على أن نضع بين يدي أطفالنا قصصًا وكتبًا تنمي الاكتشاف والاختراع، عسى أن نكون أمة مخترعة لا نعيش على مخترعات غيرنا، وأن نكون منتجين لا مستهلكين.

ويتم تأمين الكتاب إما عن طريق الشراء وإما عن طريق الاستعارة، وجميل جدًا أن نصطحب أطفالنا إلى المكتبة أو إلى المعرض لنشتري معًا ما يجب أن يقرأه الأطفال، فإذا ما شبوا عن الطوق، ندعهم يشترون بأنفسهم مع بقاء النصح والإرشاد حول اقتناء الكتاب. ونحبب إليهم زيارة المركز الثقافي ومكتبة المدرسة واختيار الكتب التي تناسبهم وقراءتها، كما أننا نحثهم على قراءة مجلات الأطفال ومراسلتها. ثم نخصص لكتب الأطفال مكتبة جميلة بألوان جذابة، وندعو الطفل إلى ترتيبها وتبويبها دون أن نمنعه من الاطلاع على مكتبة الكبار.

ثالثًا: القدوة القارئة

لعلي أجزم أن أهم خطوة نقوم بها كي نشجع أطفالنا على القراءة أن يروا الكتاب بين أيدينا نطالعه بنهم وشغف، فإذا رأى الطفل أباه وأمه وإخوته يقرأون تشبه بهم فهو يعتبر أبويه قدوة مثالية بالنسبة إليه، وعلى الأغلب سيخفق الأب في دعوة أبنائه للقراءة إذا كان هو لا يقرأ.

السعادة كما يراها طالب

تسنيم منذر الكيالي- طالبة أردنية في المرحلة الثانوية

مازلتُ أذكر أوّل يوم لي في مدرستي الجديدة هذا العام وكأنّه كان بالأمس، والآن قد شارفت السّنة الدّراسيّة على الانتهاء.. فمتى مرّت كلّ هذه الأيّام؟! ولماذا لم يشعر معظمنا بمرورها؟! وهل ستمضي بقيّة السّنين بهذه الطّريقة وبهذه السّرعة الفائقة؟! أسئلة طالما حيّرتني وشغلت تفكيري.

نظرتُ إلى حياتنا وإلى طريقة عيشنا لعلّها تكون السّبب وراء مشكلتنا في أوقاتنا، فرأيتُ أنّ الطّالب يصحو من نومه مرغمًا مكرهًا على الذهاب إلى المدرسة وكأنها دار حبس وتعذيب، فلا يقوم من فراشه إلّا لأنّه لم يجد خيارًا آخر، ثم يهوّن عن نفسه قائلاً: ما هي إلّا ساعاتٌ قليلةٌ سأمضيها سريعًا مع رفاقي في المدرسة، ثمّ أعود إلى المنزل فرحًا عندما تنتهي، وبالفعل يجرّ الطّالب نفسه جرًّا إلى المدرسة، كالذي يحمل على ظهره جبالاً من هموم الدّراسة والمدرّسين فلا يستطيع المشي إلّا بتثاقل وانحناء.

ثمّ تبدأ الحصّة الأولى أو كما يعتبرها كثيرٌ من الطّلاب «الكابوس الأوّل»، فالذي لم ينم بالأمس ينام في هذه الحصّة مع إبقاء عينيه مفتوحتين عندما ينظر إليه الأستاذ ومغلقتين إذا أدار ظهره، وعندما يرنّ جرس انتهاء الحصة «جرس الإنقاذ» يستيقظ النّوام، ويبتسم كلّ عابسٍ لزوال الأحزان، وبعد ذهاب

المدّرس الأوّل وأخذ قسط قليل من الرّاحة يأتي المدرّس الثّاني، فالثّالث، فالرّابع، والطّلاب مازالوا على الحال نفسه، فإن غاب أستاذ شعروا ببهجة وسعادة لا توصف، وأصبح الصّف وكأنّه شعبٌ انتصر أخيرًا على حكم ظالم جائر حكمهم لسنوات وقيّد حريّتهم ومُتعتهم فاحتفلوا برحيله إلّا من رحم ربّي من المعلمين المخلصين المحبوبين.

وسرعان ما ينتهي ذلك كلّه، فتنتهي ساعات الدّوام، ويركض الأولاد إلى منازلهم سعداء بعد أن كانوا متعبين ومنهكين، فمن رآهم قبل لحظات ظنّهم أمواتًا، فيعودون إلى البيوت فرحين، يستريحون ويسرحون ويأكلون ويرتاحون ويلعبون ويجلسون على الحاسوب تارةً، ويشاهدون قنوات التّلفاز تارةً أخرى، ويتكلّمون في الهاتف مع رفاقهم في ساعات طوال.. فيمر اليوم وتنقضي السّاعات بلا أيّ إنجاز يُذكر، ويعود الأولاد مرّة أخرى إلى الفراش حاملين هموم الغد وتستمرّ الأيّام وتتقدّم على هذه الحال.

كيف ولماذا نعيش؟

هذه صورة من صور الحياة التي نعيشها الآن أو بالأحرى نموتها الآن، فكلّ يوم يمرّ ينقص في المقابل من عمر الإنسان شيئًا، وتكمل الأيّام سيرها مسرعة لا تنتظر أن يصحو من نومه هذا ولا ذاك.. وكثيرٌ من النّاس لا يعلم كيف يعيش، والأولى من ذلك أن يعرف المرء لماذا يعيش، وما الهدف الحقيقيّ من وجوده في الحياة؟ أهو يعيش فقط لأنّه وجد نفسه فجأةً من سكّان هذا الكوكب؟ فكان كمن ألقى بنفسه في نهر الضّياع، أينما جرى هذا السّيل فهو لا محالة ذاهبٌ معه أينما اتّجه دون تفكير، إلى أن ينتهي جريانه في نقطةٍ ما فيلقيه وتنتهي حياته!

وللأسف فهذه حياة الكثيرين منّا، لا نشعر بأيامنا لأننا فقدنا الغاية منها، نريد فقط أن ننهي يومًا نعيشه الآن بأسرع وقت ممكن بحجّة أنّنا نتطلّع إلى المستقبل الذي يُخيّل إلينا أن السّعادة توجد دائمًا فيه.. فالطّالب يحلم بانتهاء المدرسة، فإن انتهت سنةٌ يتطلّع أن تنتهي السّنة التي تليها، فإن انتهت أمل أن تمرّ السّنة التي بعدها أسرع منها حتّى يتخرّج ويترك المدرسة إلى الأبد، وعندما يتركها فإنّه يطمح أن يرتاد الجامعة، وعندما يضمن له مقعدًا فيها فإنه يحلم بالوقت الذي سيتخرج فيها ويأخذ شهادته الجامعيّة ويعمل بها ويعيش عيش الأغنياء والسعداء، وعندما يحصل على بعض هذه الأمنيات يبدأ يفكّر في الزّواج وإنجاب الأبناء ظنًّا منه أنّ السّعادة لا تكون إلا إذا تحقق له كل ذلك، فإن تحقق وأنجب الأبناء يرى أنهم مازالوا أطفالاً فيحلم باليوم الذي سيكبرون فيه ويعقلون، وهكذا تستمر الأحلام.

هذا طبع الإنسان؛ كلّما تحقق له مرادٌ يتمنّاه طمح إلى ما هو أعلى، ظنًّا منه أنّه سيكون أسعد النّاس إن وصل إلى ما تمنّاه، فما إن وصل إليه اعتاد عليه ووجده أمرًا عاديًا، بل طمع بالمزيد، تمامًا كمن يرى سرابًا من بعيد في وسط الصّحراء فيركض إليه، وعندما يصل إليه لا يجده شيئًا.. يركض الإنسان مستعجلا يريد فقط أن ينتهي مما هو فيه ويفرّط بحاضره، لا لشيء إلّا لأنّه يريد اللحاق بمستقبله وعيشه فهو يخاف إن تأخّر أن يضيع عليه، لكنّه لو تذكّر أنّ الله قد كتب لكل امرئ منّا مصيره وعمله لاطمأنّ قلبه وما عاد يقلق على مستقبل ولا حاضر، فقد أيقن أنّه لن يصيبه إلّا ما كتب الله له.

ألم تسمعوا بالحكمة التي تقول: «إنّ المستقبل في الدّنيا شيءٌ لا وجود له، إنه يوم لن يأتي أبدًا، لأنّه إن جاء صار حاضرًا». أجل، هذه هي الحقيقة التي أغمضنا أعيننا عن رؤيتها وأغلقنا آذاننا عن سماعها؛ ففي الدّنيا نمتلك فقط الحاضر، أمّا المستقبل الحقيقيّ الذي علينا أن نطمح إليه فهو مستقبلنا في الآخرة، والعاقل منّا من رأى حاضره الآن بين يديه فعمل به لآخرته، فليس هنالك وقتٌ آخر للعمل إلا به، لا الماضي الذي ذهب ولا المستقبل الذي لم يأتِ وقد لا يأتي!

ابدأ الآن

الآن هي اللحظة الوحيدة التي نمتلكها، فلا تقل سأكلّم فلانًا غدًا في موضوع ما بل كلّمه الآن إن استطعت، ولا تقلْ عندما تأتي الإجازة سأفعل كذا وكذا وأمارس كلّ هواياتي، بل ابدأ الآن ومارس هواياتك، ولا تقل سأدرس غدا بل ادرس الآن، ولا تقل سأفعل كذا وكذا غدًا بل افعله الآن، ولا تقل بأنّك ستكون الأسعد بين البشر عندما تكبر بل اسعد بحياتك الآن إن استطعت، فكمْ سمعنا من كبارٍ قالوا إنّهم عاشوا أجمل لحظات حياتهم في صغرهم، فلماذا لا نرى جمال الحياة في وقتنا الحاضر ونسعد بها نحن أيضًا؟ فالسّعادة بأيدينا نحن وليست بأيدي غيرنا، أبوابها مفتوحة دومًا أمامنا، ولكن علينا أن نسعى نحن إلى إيجادها لا أن ننتظر أن تجيء هي إلينا.

ومن أراد أن يكون سعيدًا أغمض عينيه عن أيّ تشاؤم أو أمرٍ سلبيّ من الممكن أن يعكّر عليهً صفوَ حياته، فلا يرى إلّا ما فيه تفاؤل وأملٌ وإيجابيّة. فلا تكن كمن أراد الذّهاب في رحلة مع رفاقه، فلمّا رأى الحافلة قديمة ومهترئة ظلّ يشكو طول الوقت ولم يشعر بالسّعادة بعدها لأنّ مزاجه كان قد تعكّر، ولكنّه لو تجاهل هذه الأمور البسيطة ونظر إلى الجانب المشرق في الموضوع وحمد الله على أنه وجد أصلاً من يوصله إلى تلك الرّحلة لما شعر بضيق وتعاسة بل لارتاح قلبه واطمأن، فبحمد الله والرّضا بقضائه تكمن السّعادة.. فعش أوقاتك بكاملها الآن واستفد منها فيما هو نافع، ولا تبذرها فيما هو تافه ولا تؤجّل أمورك، ولا تسعى إلى إنهاء أمرٍ ما بأسرع سرعةٍ فقط لأنّك متشوّقٌ إلىً الأمر الذي بعده، فمن يدري هل سيأتي هذا الغد أم لا؟!

أزواج على المقهى!

نعيم السلاموني - كاتب مصري

يخطئ الكثير من الأزواج عندما يظنون أن حق زوجاتهم وأبنائهم قاصر على توفير المأكل والمشرب والملبس، وهو غاية ما هو مطلوب منهم، فالعلاقة الزوجية ليست مالا يعطى ومأكلا يقدم أو ملبسا يشترى أو مصاريف أخرى، إنما هي أبعد من ذلك.

فالأصل في عقد الزواج يقوم على السكن والمودة والرحمة، وقد جعله المولى عز وجل آية من آياته يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

فالسَّكن هو أساس الزوجية ويقصد به سكن النفس والجسد للجسد ومن خلاله يتحقق الهدف الذي شرع من أجله الزواج، وقد ألزم الله الزوج بواجباته نحو زوجته من حق المعاشرة وأدب المساكنة وتوفير الراحة لها كما ألزمها هي بواجبات تقوم بها نحو زوجها، ولكن هناك غفلة من كثير من الناس عن قيمة قضاء الوقت الأكبر من الفراغ بين الأبناء والزوجة فالبعض يفر إلى المقاهي وجلسات الأصدقاء متصورًا أنه أدى واجبه نحو البيت مادام قد وفر الماديات المطلوبة ولا يعود إلا وقت النوم مع أن للمرأة حقوقًا مثله يقول تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾ (البقرة: ٢٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ

وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقاً عَلَى المُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٦).

إن من آفات العصر هروب الزوج من المشكلات مع الزوجة والأولاد إلى المقاهي وجلسات الأصدقاء دون إدراك أن الأسرة بمن فيها الزوجة والأولاد مسؤوليته وسيحاسب عنها الزوج يوم القيامة يقول ﷺ «ولأهلك عليك حقا» فالأهل هم الزوجة والأبناء، وحقوق الزوجة من ضمنها الترويح عنها وإشعارها بالمودة والإقبال عليها أو الجلوس معها كما كان يحدث في أيام الخطوبة.

وعندما يكون المقهى أهم من البيت فإن خطورة ذلك تتمثل فيما يلي:

١ – الأثر السلبي على العلامات الزوجية.

٢ – له تأثير أكثر سلبية على الأبناء الذين يفتقدون دور الوالدين من حيث الرعاية والمتابعة والرقابة فيتحول الجميع إلى غرباء تجمعهم وحدة المكان فقط.

٣– إذا ركز الزوج على الأمور المادية فقط مع عدم مراعاة الجوانب الإنسانية الأخرى فسوف يختل توازن الأسرة النفسي والاجتماعي ويصبح الأبناء في غياب الأب محاصرين بتيارات فكرية وثقافية تستهدف اختراق عقولهم.

٤ – يخلق إحساسًا بالغربة بينه وبين زوجته فيزيل الألفة والمحبة ويجمد المشاعر الطيبة التي تربطهما.

٥ – هناك قلة من الزوجات قد يطلبن الانفصال كي تبدأ حياتها مع رجل آخر لا تسرقه المقاهي.

٦ – إن الأبناء لا يتلقون تراكم خبرات أبيهم إلا ببقائه بينهم يرعاهم ويتابعهم ويعاقب ويكافئ فكيف يعلمهم الصلاة وهو لا يأتي إلا بعد أن يناموا وكيف يعلمهم الأمانة والشجاعة والصدق والإخلاص دون أن يروه؟!! وما الكوارث التي تقرأ عنها في الصحف إلا نتيجة شعور الزوجة بالوحدة وغياب الزوج كثيرًا عن البيت.

إن علاج هذه الظاهرة يجب أن يكون عبر الآتي:

١– نشر ثقافة الواجبات في الأسرة وذلك بأن على الإنسان أن يقدم واجباته مثل أن يطالب بحقوقه.

٢ – من الواجب ألا يترك الرجل بيته كثيرًا وأن يكون مؤنسًا لأهله، فوجوده في المنزل أطول قدر يضفي لونًا من الدفء ويقضي على الجفاء الذي يحدث في الأسر بسبب انشغال الزوج.

٣ – يجب على الزوج أن يكون متعاونا مع زوجته ويشاركها في تحمل المسؤوليات لتوفير سبل الحياة الكريمة.

٤ – على الزوج سرعة إنهاء الغربة والتي تؤثر على الأبناء وذلك بتطبيق مبادئ الإسلام من حيث التراحم والود وإشاعة المحبة بين أفراد الأسرة يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي يحافظ عليها وينفق ويعاملها معاملة طيبة ولا يبتعد عنها فترة طويلة.

٥ – حقوق الزوجية على بعضهما البعض أمر يجب الالتزام به مهما كانت الظروف فالهروب إلى المقاهي يخلق الجفوة بين الزوجين ويجعلهما أشبه بغرباء يعيشون تحت سقف واحد.

٦ – يجب أن يكون هناك وقت لاجتماع كل أفراد الأسرة يتبادلون فيه الحديث والمشاعر الطيبة ويعرض الأبناء مشاكلهم وأفكارهم وطموحاتهم ويتعاون الجميع على التصدي للمعوقات.

٧ – يجب أن يتفانى كل فرد في إسعاد الآخر ويجب أن يهتم كل فرد بما يهتم به الآخر.

المجمع العلمي المصري

ثاني أقدم مكتبة في العالم بعد الفاتيكان

(1798م - 2011م)

إبراهيم عثمان عبدالرحيم
باحث في التراث المصري

تعاقبت على المجمع العلمي المصري (ثاني أقدم مكتبة في العالم بعد مكتبة الفاتيكان) ثلاث مراحل زمنية من تاريخ مصر:

-الحملة الفرنسية: بقيادة نابليون بونابرت (1798 – 1801).

-فترة حكم محمد علي وأسرته (1805 – 1952)

-عصر الجمهورية سنة 1952 حتى سنة 2011

لم يُمس المجمع العلمي المصري فيها كتراث للمصريين، بل حوفظ عليه لكن مع تطور الزمن وسقوط النظام وبداية بزوغ مرحلة في تاريخ مصر حدثت المأساة الكبرى (حريق المجمع العلمي المصري) لكن لكل جواد كبوة، فانهضي يا مصر فأنت صاحبة أعرق وأقدم حضارة بشرية عرفها التاريخ على مر العصور.

أهم أقسام ومحتويات المجمع

يتكون المجمع العلمي المصري في مقره الحالي (حديقة وزارة الأشغال بناصية شارع الشيخ ريحان) قاعة رئيسية و6 غرف، غرفة للدوريات، غرفة للخرائط، غرفة للحاسب الآلي وكان يحوي المجمع ضمن مقتنياته نسخًا أصليّة مهمة على سبيل المثال:

لوحات عمارة جامع السلطان حسن سنة 1846م

أطلس تاريخي دولي يرجع الى سنة 1847 م

محفوظات ليوناردو دافنشي من 6 أجزاء سنة 1840م

مجموعة لوحات حفر قناة السويس ووصف اللوحات

مذكرات نابليون بمنفاه سانت هيلانه سنة 1847م كما أملاها بنفسه عن الحملة بمصر وسوريا

تصميم جرافيك: هشام البسيوني

يحتوي المجمع العلمي المصري على ألف وثيقة تضم كتباً ومخطوطات نادرة

مراحل تاريخ المجمع من التأسيس إلى الحريق

1798م

أسس نابليون بونابرت هذا المجمع في القاهرة واختير مونج رئيسًا له وبونابرت نائبا للرئيس. وكان يتكون من أربعة أقسام: (قسم الرياضيات – قسم الطبيعة – قسم الاقتصاد السياسي – قسم الآداب والفنون الجميلة) وكان الباعث على إقامة هذا المجمع العمل على التقدم العلمي في مصر ونشره في أنحائها.

1859م

عقدت جلسته الأولى في بيت حسن الكاشف أحد أمراء المماليك بحي الناصرية وتعطلت أعمال المجمع بعض السنين حتى عادت الحياة إليه في سنة 1859 بمدينة الإسكندرية في عهد والي مصر محمد سعيد باشا.

1880م

في سنة 1880 انتقل المجمع العلمي المصري إلى القاهرة في مقره الحالي (حديقة وزارة الأشغال) ويعتبر المجمع العلمي المصري أول معهد أنشئ في الشرق الأدنى وله مكانة ممتازة في الأوساط العلمية وينشر مجلة علمية وله مكتبة كبرى بعض موجوداتها نادر الوجود، فهي من أقدم المكتبات في مصر.

1952م

أصبح المجمع عضوا في الاتحاد العلمي المصري الذي اعتمد مجلس الوزراء المصري لائحته الأساسية في عام 1955 وكان يضم إلى جوار المجمع العلمي نحو عشرين جمعية علمية مصرية

2011م

في ديسمبر من عام 2011 م شب حريق في المجمع العلمي، وتصدرت الصحف المصرية ووكالات الأنباء العالمية عناوين تعبر عن الحزن والأسى لما حدث فقد احترقت معظم محتويات المجمع البالغ عددها 200 ألف وثيقة ولم ينج منها سوى 25 ألف وثيقة فقط .

رؤساء المجمع العلمي المصري علي مراحله المختلفه

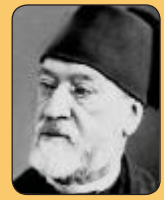

أوجست ميريت باشا
ترأس 3 مرات غير متعاقبة

جاستون ماسبيرو
1882 – 1886 م

يوسف أرتين باشا
(1889 – 1904)

اسماعيل سري
1919 م

د. علي ابراهيم باشا
1941 م

د. طه حسين
1943 – 1944 م

د. حسين فوزي
1968 م

د. سليمان حزين
1974 م

د.محمود حافظ
(توفى أثناء حريق المجمع)

أخـــــــــيرا..

لا يسعنا سوى أن نقول بالمعرفة والعلم وليس بالجهل ندعو إلى الحب من اجل التئام الشمل للحفاظ على هذا الوطن الجريح الذي تزامنت تداعيات حريق مكتبة المجمع العلمي المصري مع تهاوي مصرنا الغالية التي يتربص لها العدو من كل حدب وصوب لكى تسقط هذا البلد الغالي على قلوبنا فتحيا أحيا مصر أم العروبة وهبة النيل ومقبرة الغزاة التى تعاقب عليها حكام وثقافات مختلفة بلغات مختلفة فانصهرت فيها جميع الشعوب الوافدة عليها فهي تعتبر بوتقة تاريخها العميق .

تصدرت الصحف المصرية ووكالات الأنباء العالمية عناوين تعبر عن الحزن والأسى لما حدث في مصر من حريق المجمع العلمي ومنها:

- احتراق المجمع العلمي المصري خسارة لا يمكن تعويضها - عار علينا أن يبني المحتل الفرنسي المجمع العلمي المصري ويحافظ عليه الإنجليز ويحرقه أبناؤه المصريون - تدميره مأساة للثقافة العالمية - قلب مصر يحترق - جريمة في حق التاريخ - حريق يلتهم ذاكرة مصر التاريخية - الجهل يحرق المجمع العلمي أقدم مؤسسة علمية.

إعداد : محمود محمد الكبش
باحث بوحدة البحث العلمي في إدارة الإفتاء

ما يبطل الصوم وما لا يبطله

(ج١/ص٢٤٤/ف١٢٨)

عرض على اللجنة الاستفتاءُ التالي: هل يبطل الصيامَ ما يلي؟:

١- إعطاء المريض حقنة دوائية تحت الجلد أو في العضل.

٢- إعطاء المريض حقنة من الفيتامينات تحت الجلد أو في العضل.

٣- إعطاء الحقنة في الوريد.

٤- إعطاء محلول الجلوكوز (نوع من السكر) في الوريد كعلاج، أو كمحلول لإذابة الأدوية، وكذا محلول الملح (السالاين) كمحلول لإذابة الأدوية التي تعطى في الوريد.

٥- استخدام التحاميل الدوائية وإدخالها في فتحة الشرج بين أذان الفجر وأذان المغرب.

٦- سحب دم من مريض كعلاج أو لغرض إجراء التحاليل الطبية عليه.

(أ) أجابت اللجنة عن السؤالين الأول والثاني بما يلي:

لا يبطل الصومَ إعطاءُ المريض حقنة دوائية أو من الفيتامينات تحت الجلد أو في العضل، وكذلك أيّما دواء يعطى بهذه الكيفية، واللَّه أعلم.

(ب) قررت اللجنة بالنسبة للسؤالين الثالث والرابع الإجابة بما يلي:

إن إعطاء الحقنة الدوائية أو الغذائية من الجلوكوز، أو محلول الملح في الوريد لا يفطر، ولكن يحسن ألّا يتخذ ذلك حيلة لدفع الجوع، وذلك لأنّ المفطر هو ما وصل إلى الجوف أو الدماغ من فتحة طبيعية أو مباشرة، واللَّه أعلم.

(ج) وبالنسبة للسؤال الخامس أجابت اللجنة:

إن استخدام التحاميل الدوائية وما في معناها من الحقن الشرجية المائعة، أو التي تتحلل؛ يفطر به الصائم، وعليه القضاء دون الكفارة، واللَّه أعلم.

(د) وبالنسبة للسؤال السادس أجابت اللجنة بما يلي:

إذا كان يترتب على سحب الدم الضعف أو الهزال؛ يكره للصائم ذلك، ولا يفطر به بحال، واللَّه أعلم.

استعمال الصائم قطرة العين

(ج١٦/ص٧٨/ف٤٩٠٢)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي، ونصه: أضطر أثناء الصوم لاستعمال القطرة لمرض يصيب عيني فما حكم صومي؟

أجابت اللجنة بما يلي:

القطرة في العين إذا لم يصل أثرها إلى الحلق لا تفطر الصائم بالاتفاق، فإذا وصلت إلى الحلق لا تفطر أيضًا عند الحنفية والشافعية، وذهب المالكية والحنابلة إلى أنها مفطرة، والله أعلم.

غسل الكلى هل يفطر الصائم؟

(ج١٨/ص١٥٦/ف٥٦٠٩)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي: والدي مريض بالكلى ويضطر للغسيل كل يوم، غسيل مائي يبدأ من الساعة ٨ الثامنة مساءً حتى الساعة السادسة صباحًا، فهل يحقّ له أن يصوم أو يفطر، حيث إن شهر رمضان على الأبواب، ووالدي مُصرٌّ على الصوم.

أجابت اللجنة بما يلي:

هذا الغسيل لا يفطر الصائم، وأما بالنسبة لصيام هذا المريض؛ فإن اللجنة ترى أنه يجب الرجوع في ذلك إلى الطبيب المسلم العدل الذي يقوم بمعالجة هذا المريض والإشراف عليه، فإن رأى أن الصوم يضره فله الفطر، ثم إن كان يرجى شفاؤه- بحسب ظن الطبيب- فعليه القضاء بعد الشفاء إن شاء الله تعالى، بعدد ما أفطر من الأيام، وإن كان لا يرجى شفاؤه فعليه الفدية عن كل يوم أفطره بمقدار دينار كويتي يصرفه للفقراء والمساكين، والله أعلم.

إخراج الزكاة من المواد التموينية

(ج٣/ص٧٨/ف٧٢٣)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي: هل يجوز صرف زكاة الفطر أو صدقته من مواد التموين التي تصرفها الحكومة للناس في البلد، علمًا بأن هذه المواد تصرف بسعر أقل من سعر السوق، كما أن وزارة التجارة تخالف من يتصرف ببيع هذه المواد، وتحيله إلى النيابة العامة؟

أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز صرف زكاة الفطر أو صدقته من مواد التموين التي تصرفها الحكومة في البلد، ولا أثر لاختلاف سعر الطعام المدعوم عن غيره لأنها إخراج عيني، فلا ينظر فيه للقيمة، وأما منع الجهات المختصة من بيعها ممن تسلمها من التموين فهذا لا يخل بماليتها، ويمكن للفقير أن يستهلكها أو يدخرها، والله أعلم.

حبس زكاة الفطر لقوم مخصوصين

(ج٦/ص٧٨/ف١٧٦٣)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي، ونصُّه:

نحن أعضاء صندوق خيري للجالية الخاصة بقريتنا، بالنسبة لزكاة الفطر يدفعها البعض على أهل قريته في فلسطين، ونستلمها في رمضان، ولا نستطيع إيصالها، أو لا نجد من ينقلها بسرعة (لتضييق العدو الاقتصادي وإجراءاته)، وربما نتمكن من إيصالها بعد العيد، فهل نأخذها بنية زكاة الفطر أم نتركها، ولا نأخذها من أصحابها حتى نبرئ ذمتنا أمام الله تعالى، وجزاكم الله خيرًا.

وأجابت اللجنة بما يلي:

الأصل والسنة إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد، ويجوز إخراجها طيلة يوم العيد أما تأخيرها عن يوم العيد فيجوز في إحدى حالتين:

أولًا: أن يسلمها إلى جهة مأذونة لها من ولي الأمر بتقبل الصدقات وتوزيعها؛ لأن تلك الجهة صارت مفوضة عن الفقير.

ثانيًا: إذا أعدّ زكاة الفطر لقوم مخصوصين، وأخّرها لتسليمها لهم في أقرب وقت ممكن، وقد قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: «فإن أخرج الزكاة ولم يعطها قال: نعم، إذا أعدها لقوم»، المغني لابن قدامة: (٦٦٦/١).

ويجوز للجهات المأذون لها بجمع الصدقات وتوزيعها أن تتصرف بما فيه المصلحة، ولو بتبديل أعيان الصدقات المدفوعة، أو وضعها في جداول توزع بحسب الحاجة، والله أعلم.

دفع زكاة الفطر عن الخادم المقيم في بيت مخدومه

(٦٩٥٤/١٠٦/٢٢)

عرض على اللجنة الاستفتاء التالي، ونصُّه:

هل يلزم المخدوم بإخراج زكاة الفطر عن خادمه؟ علمًا أن الخادم يأكل ويشرب ويسكن في بيت مخدومه؟

أجابت اللجنة بما يلي:

الخادم الذي له راتب شهري أو سنوي أو غير ذلك لا تلزم صاحب العمل صدقة فطره، وإن تكفل بطعامه وشرابه ومسكنه، إلا أن يتبرع عنه، ويخبره بذلك، والله أعلم.

حبوب منع الحمل في رمضان

الموضوع (١٩٩٧/٤٠)

سئلت «لجنة الفتوى في الأزهر الشريف» السؤال التالي: يحرص بعض النساء على صيام كل أيام رمضان، ولتفادي الدورة الشهرية التي تمنع الصيام يتعاطى بعضهن أقراصًا تمنع الدورة، فما رأي الدين في ذلك؟

أجابت: رمضان شهر مبارك عظيم فيه من الخيرات والنفحات ما لا يوجد في غيره، وقد فرض الله فيه الصيام على المكلف القادر المستطيع، لينال الثواب العظيم، وخفف عن ذوي الأعذار فأباح لهم الفطر حتى يزول العذر، وعليهم قضاء ما فاتهم من أيام رمضان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ (البقرة:١٨٥).

وممن خفّف الله عنهم في رمضان المرأة في أثناء الدورة الشهرية، وفي مدة النفاس، فأوجب عليها الفطر كما أوجب عليها القضاء، والقضاء سيكون في أيام غير رمضان، والشهر الذي يجري فيه القضاء ليس له من الفضل وليس فيه من النفحات ما في رمضان، ولذلك يرى بعض النساء منع نزول الدم في رمضان ليصح الصوم ويَفُزْنَ بفضل رمضان من صيام ومن صلاة التراويح وقراءة قرآن.

ولا يوجد دليل يُحرم ذلك في كتاب أو سنة، ولا في مأثور السلف الصالح، بل جاء في المأثور عنهم أنهم كانوا يجيزون للنساء في موسم الحج أن يتعاطين ما يمنع نزول الدم حتى لا يُحْرمن من أداء الشعائر التي تشترط فيها الطهارة كالطواف حول البيت والصلاة في المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول بالمدينة، وكقراءة القرآن الكريم.

وكان منقوع شجر الأراك الذي يؤخذ منه السواك مفيدا في هذا الموضع، فوصفوه للنساء ولم ينقل اعتراض أحد عليه، ومع جواز ذلك أنصح باستشارة الطبيب قبل تناول أي دواء يمنع نزول الدم، فقد يكون فيه ضرر.

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
aelbarbary@live.com

اللّه تاجر لها في غزلها

جاءت امرأة إلى داوود عليه السلام قالت: يا نبي الله.. أربك...! ظالم أم عادل؟
فقال داود: ويحك يا امرأة هو العدل الذي لا يجور، ثم قال لها ما قصتك.
قالت: أنا أرملة عندي ثلاث بنات أقوم عليهن من غزل يدي فلما كان أمس شددت غزلي في خرقة حمراء وأردت أن أذهب الى السوق لأبيعه وأبلغ به أطفالي فإذا أنا بطائر قد انقض علي وأخذ الخرقة والغزل وذهب، وبقيت حزينة لا أملك شيئًا أبلغ به أطفالي.
فبينما المرأة مع داوود عليه السلام في الكلام إذا بالباب يطرق على داوود فأذن له بالدخول وإذا بعشرة من التجار كل واحد بيده مائة دينار فقالوا يا نبي الله أعطها لمستحقها.
فقال لهم داود عليه السلام: ما كان سبب حملكم هذا المال قالوا يا نبي الله كنا في مركب فهاجت علينا الريح وأشرفنا على الغرق فإذا بطائر قد ألقى علينا خرقة حمراء وفيها غزل فسددنا به عيب المركب فهانت علينا الريح وانسد العيب ونذرنا لله أن يتصدق كل واحد منا بمائة دينار وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت، فالتفت داوود «عليه السلام» «إلى المرأة وقال لها: رب يتجر لك في البر والبحر وتجعلينه ظالمًا، وأعطاها الألف دينار وقال: أنفقيها على أطفالك.

ترتيلا منذر الكيالي

المحرر:

جزاك الله خيراً ابنتنا الكريمة.. فكم من متعجل لرزق ربه مع أن رزقنا في السماء، وكم من مسيء الظن بربه مع أن الله عند حسن ظن عبده به.

النصر والتمكين في اجتماع القلوب والأبدان

من المعلوم أن الأمة متى ما اجتمعت أبدانها واتحدت قلوبها، كتب الله لها النجاح والفلاح والنصر على الأعداء، ومتى ما تفرقت أبدانها واختلفت قلوبها، ضعفت قوتها وسادتها الفوضى والضياع والخسران، ومن أعظم الأدلة على ذلك أن الله أمرنا بالجماعة وعدم الفرقة والخلاف، حيث قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يسير مع أصحابه ذات يوم، وقد أنهكهم المسير وبلغ التعب بهم مبلغاً، وأصابهم الظمأ من شدة حر الشمس الساطعة أشد إصابة، فمروا بعشب وشجر، فأذن لهم النبي ﷺ بالنزول للراحة والاستظلال بالشجر، فلما نزلوا تفرقوا في الشعب وتحت الأشجار هنا وهناك، فرآهم النبي ﷺ الرؤوف الرحيم، فنهاهم عن ذلك وأمرهم بالاجتماع، وقال لهم إن تفرقكم هذا من عمل الشيطان، وقد أكد الهادي البشير ﷺ في حديث عام جامع شامل، على حقيقة يجهلها ويتغافل عنها كثير من الناس وهي من أعظم أصول وقواعد علم النفس والتربية، حيث قال خير البشر ﷺ «الجماعة رحمة والفرقة عذاب». فإذا اجتمعت الأسر والمجتمعات والأقطار والبلدان، كان اجتماعهم رحمة، وعمهم الخير والسلام والمحبة والأمان، وبذلك تزول الأحقاد والضغائن وتنتهي الغارات والحروب، فيا أمة الإسلام، والله لا نصر ولا تمكين لكم حتى تجتمع أبدانكم وتتحد قلوبكم، واعلموا أن رسول الله ﷺ عندما كان يصلي جماعة بأصحابه يقول لهم استووا اعتدلوا لا تختلفوا فتختلف قلوبكم. واستدل شيخ الإسلام ابن تيمية «رحمه الله تعالى» من هذا الحديث على أصل راسخ ثابت، هو أن اختلاف الأبدان دليل على اختلاف القلوب، وأن اختلاف القلوب هو أصل اختلاف الأبدان، وعلى الرغم من كثرة النصوص القرءانية والأحاديث النبوية، التي بينت لنا الداء والدواء وخاصة في هذا المجال، لم يتنبه المسلمون لها ولم يفقهوا دلالتها الواضحة ومعانيها السامية الصافية، وكل ذلك بسبب ضحالة العلم وقلة التفقه في الدين، وابتعادنا عن شرع ربنا الكريم، فعاشت أمتنا الإسلامية قرونا من الزمان في مستنقع الذل والهوان، فأوطاننا محتله، وثرواتنا وخيراتنا مسلوبة منهوبة جهارا نهارا كدمائنا المسفوكة وأعراضنا المنهوكة من غير خجل أو حياء، فيا من ترجون النصر والتمكين وحدوا قلوبكم كي تجتمع أبدانكم وتصولوا على الجناة البغاة صولة الفرسان في ميادين القتال، وتعيدوا لأمتكم مجدا رثيناه منذ زمان، وإن كان أكثرنا قد نسيناه أو فقدناه من الأذهان، فإلى متى؟ ومتى ينتهي هذا الحال؟

عقيل حامد

المحرر:

وهل يؤخر أمتنا العظيمة إلا الفرقة! صدقت يا أخي الكريم ولا يبقى أمامنا سوى الاتحاد في كل قطاعات حياتنا وليبدأ كل منا بنفسه فيرى إن كان لا يصل رحمه ثم يدعو لصلاة الجماعة ثم يبرز أهمية التسامي فوق الخلافات والمصالح الفردية الضيقة.

مفتاح الحياة

ملامح جميلة.. هادئة .. رقيقة .. ذات بهاء وصفاء.. فواحة الحضور تشبه في رقتها لوحة للفنان العالمي «رينوار».

استدعى جيش اشتياقه كله الذي توقف عن الحركة في كل الاتجاهات وهو يشهق من المفاجأة.. طيفها يدور في اللاوعي.. لا تقبض عليها الذاكرة من أثر حضورها الطاغي كانت المدينة تستسلم للنعاس.. وبقايا الباعة الجائلين أفواههم تتثاءب بعد أن سحبت الشمس أشعتها الأخيرة.

نسيم هادئ رائق يتسلل الى رئتيه.. ازداد بريق عينيها الجميلتين الواسعتين.. وتوردت وجنتاها بعد أن سرى الدفء في أوصالها وهو يطلبها للزواج.. الإنسان لا يرى في المرأة إلا ما يريد رؤيته.. يرى الشعور وليس الواقع.. ونادرا ما يتطابق الإحساس مع الواقع.. وسط أجواء فردوسية.. أقيمت الزينات والاحتفالات بعرس كأنه ليلة من ألف ليلة.. ورزقهما الله بالبنين والبنات.. واتسعت تجارته.. وتعددت سفرياته إلى دول آسيا، كان دور الزوجة مهم جدًا في حياته.

فقد استطاعت القيام بأدوار متعددة في حياة زوجها.. فهي الأم التي ترعى طفولته الكامنة.. والصديقة التي تشاركه همومه وأفكاره وطموحاته.. والابنة التي تستثير فيه مشاعر الأبوة.. والزوجة التي تعوضه عن كل نساء الدنيا.. كما نجحت في الاستحواذ عليه.

وهو الذي لم يعد يرى غيرها.. ولا يأنس إلا لها..

ولأن الطقس ليس معتدلا طوال الوقت.. فقد تعرضت الزوجة لأزمة قلبية حادة بينما الزوج في واحدة من رحلاته البعيدة.. يتلقى هاتفا من ابنته تخبره بالأزمة التي انتابت الأم والزوجة والصديقة والحبيبة.. وعلى أول طائرة تغادر البلاد.. ومن المطار الى المستشفى في سباق مع الريح.. يتلقى صدمة مروعة في وفاة الزوجة نتيجة لأزمة قلبية شديدة.. استمر الأطباء لثلاث ساعات.. يحاولون إبقاءها على قيد الحياة بحقنها بالأدرينالين والصدمات الكهربائية.. والإنعاش القلبي الرئوي ولكن دون جدوى حين اقترب رفيق العمر من سريرها وهمس بكلمة السحر «أحبك» عادت الحياة إلى قلبها.. غير مصدقة قطع رحلته وعودته المفاجأة من أجلها.

«أحبك» كانت مفتاح الحياة.. والكلمة التي تحب سماعها.. وتعيد النبض في العروق.. أقوى من كل الصدمات الكهربائية وجرعات الأدرينالين.

أصيب طاقم الأطباء وجميع أفراد الأسرة بالذهول والدهشة.. عند عودة علامات الحياة والوظائف الحيوية في أجهزة الأم للعمل مرة أخرى.. وانتظام معدلات ضربات القلب والعودة الى عالم الأحياء.

محمد محمود غدية

المحرر:

المدهش أن البعض يبخل بهذه الكلمة البسيطة نطقًا، العظيمة أثرًا، على زوجته وأم أولاده وبناته ولا نعرف سببًا واضحًا لهذا البخل في المشاعر.. لو يعلم الناس يا أخي الكريم أهمية ما ذكرته لنا وكم يتغير سلوك الزوجة إلى الأفضل.. لسارعوا جميعًا الى غمر أسماع رفيقات دربهم بهذه الكلمة الساحرة ممتثلين لأوامر الله ورسوله التي توجهنا إلى حسن المعاشرة والرفق بالقوارير.

الصفوف الأولى

إذا جاز أن يكون لكل شيء مفتاح! فمفتاح هذه الأمة هو كتاب الله تعالى لما يشتمل على العناصر اللازمة، والمكونات الأساسية لخلق جيل فريد لا يصيبه الوهن ولا تأسره الشهوة ولا يقعده الألم، سيما أن الباطل مترس بعدده وعدته في جميع العصور والدهور كأنه لم يخل منه جيل قط وتلك هي سنة الدفع والمدافعة، ومن هنا كان أصحاب القرآن الذين يعملون به ويحفظون حروفه وحدوده هم أصحاب الصف الأول في المجتمع، ألم ترى أن المسلمين لما انكشفوا في غزوة حنين نادى رسول الله ﷺ على أصحابه قائلا لهم: يا أصحاب سورة البقرة.

وهو هو ذلك الذي دعا به مولى أبو حزيفة في معركة اليمامة إذ قال لأصحابه: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال حتى قال آخر في ذات الموقعة: أيهزم الدين وأنا حي؟ بئس حامل القرآن أنا، وكأن الأمة لا تنتصر إلا بحملة هذا الكتاب بل ولا تتقدم إلى الأمام وتأخذ مكانتها من الريادة والقيادة والتوجيه والتأثير إلا برجال أوفياء يحملوا هذا القرآن في صدورهم تتحرك به جوارحهم وتنطق به أفعالهم.

يكون القرآن هو محرك الأمة ودافعها الأول والأخير لما يصوغه من بناء الشخصية الإسلامية ونضجها وحسن وعيها، وسلامة إدراكها، ومتانة بنيانها حتى صرح «عمر بن الخطاب» بعد فتح القادسية بقوله: ما نفس على فتح القادسية إلا استشهاد سعد بن عبيد القارئ الذي كان ممن جمع الكتاب، إذن فأهل القرآن (والذين هم أهل الله وخاصته) هم الذين يصوغون الشهداء ويحملونهم على سنا الآيات وضوء المعاني التي بها يفتح الله تعالى بالنصر لأوليائه حتى يستعلي صاحب القرآن على الشدة ويقفز فوق الألم، فتسكن العاصفة ويتجاوز الآلام، وتخف الجراح وتلهج النفس بالثناء على فاطرها تستمطره الرحمة، وترجوه السكينة وهي مطمئنة وما تزال كذلك حتى تلتقيه.

علي مدني

رسالة إلى رئيس التحرير

السيد رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي»
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مع أطيب التمنيات
سرني ما نشرتم في العدد ٥٦٢ من مجلتكم المؤمنة عن كتابي، ولايزالون يقاتلونكم: في ميدان التعليم والبحث العلمي وعروبة اللسان.. وحمدت الله - عز وجل - أن وصلت كلماتي

ولو كنَّ من القيان فأين حقوق الإنسان؟

من واقعنا نستمد أقوالنا وننشد ديننا ومن ذلك ما قرأته وأقرؤه بإعلامي الخليج بين فترة وأخرى عن انتحار خادمة أو اقبال بعض الخادمات على قتل في أسرة مخدومه.
وما التقيته، بنفسي وأنا بمطار دولة خليجية حيث وجدت فلبينية سال دمعها مدرارا وتواصل استمرارا وهي تهاتف جهارا.
فسألتها عن سر حزنها فعلمت منها أنها للفلبين ذاهبة وأنها لم ترى طفليها منذ عدة أعوام وأنهما الآن يصرخان في انتظار قدومها وأنها عانت وذاقت الآلام من كفيل جعلها لا تنام، وكنت أعجب من دول تدعي الإسلام وتتغنى بالإسلام أمام الأنام وترفع له الاعلام، وتزخرف ببعض مبادئه الإعلام، ثم في الحقيقة هي تمر عليه مر الكرام حيث الكثير من هؤلاء في واقع الأمر معه ألد الخصام.
فما إن يقع إنسان تحت يد هؤلاء إلا ويستعبده وبدون حقوق أو اهتمام وكأنه السخرة أو المسخرة التي تقاد باللجام، سواء من قبيل الكفالة او الاستخدام ويثقل كاهل المستخدم مشاق لم يكن يصدقها حتى المنام ومصاريف ورسوم تضيع معها الآمال ولقمة العيش بحيث يتمنى سرعة الختام.
ومن هذا الصنف البأيس الخادمات والخدام حيث شاهدت قناة تسمى الصحراء كانت تأتي بأخبار فحول الإبل وإذا بشاشتها تأتي بحديث هام لفضيلة الشيخ خلوقة بن محمد الأحمري وبعنوان «في بيتنا خادمة» وكم وفّى وللحق أدّى وقال إن الخادمة تعيش كدّا كدّا وللقيا أسرتها تعد الأيام عدّا عدّا وهي تعيش تحت قهر أسرة مكفولها فردا فردا والبعض يتخذ منها بديلا للزوجة وندا، بل والأبناء يعتلون ظهرها فحشا ولوطية ومدّا وهي في الأغلب الأعم لا تملك لهم ردّا إذ هي المقهورة المهددة قولا وفعلا ووردا، فبيتها في دولتها بحاجة ماسة لمرتبها زوجا وولدا، والحياة أمامها أقامت لها حائطا وسدا، فلا تملك دفعا أو صدا وهنا قال الشيخ إن الله سينتقم لهؤلاء بعد أن مد لمكفوليهم الإمهال مدّا، ويا قوم أين أنتم من قوله ﷺ «من لا يرحم لا يرحم» «اخوانكم خولكم» وقوله تعالى «يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود» أين الإيمان؟ وهل عقد الخادمة ينص على استخدامها لذكور البيت وتكن جارية الجميع، فتجارى الفحل والوديع وتساحق صاحبات الخلق الشنيع؟ ياله من واقع فظيع يتخذ من الخادمة حمالة للقطيع في منظومة تداس فيها القيم وتضيع، ولم يعد الإسلام السد المنيع ويجاهر البعض بجرمه وله يذيع فتنتقم الخادمة أو الخادم أو يصبح هو الصريح ويذهب لدياره أو تذهب لديارها بمآسي ووضع مريع، حتى وإن حملت بهدايا فبأس الصنيع حيث ينتظر المجرمون أكلا من ضريع.

دكتور عصام الحسين حميد

المحرر:

لا نملك إلا الدعاء معك أيها الأخ الكريم والمعلم الفاضل بأن يرقق الله قلوب المسلمين أجمعين فيضربوا المثل كما كانوا في الرحمة والمودة.

الخط العربي.. إبداع تشكيلي

الخط العربي يتمتع بإمكانات تشكيلية لا نهائية، فحروفه مطاوعة للعقل، وليَد الخطاط الحاذق إلى أبعد الحدود لما تتميز به من المد والقصر والاتكاء والإرداف والإرسال والقطع والرجوع والجمع مما لا يتوافر في أي من الخطوط في اللغات الأخرى، وهو فن يجمع الليونة والصلابة في تناغم مذهل، وتتجلى فيه قوة القلم، وجودة المداد المستمدة من النفحات الروحانية، التي تهيمن على الخطاط المبدع في لحظة الإبداع التي لا تكرر نفسها، فمن

أشتاق للبيت العتيق

رمضان أقبل
وبمكة أشواقي
مزدانة ترنو
إلى مشتاق
يحن قلبي إلى
يوم التلاقي
ليطوف ملبيًا
لله دنا مطلاق
ومن زمزم الطهر
اسقني يا ساقي
ما بال إبراهيم
يطيق الفراق
يودع هاجرًا
ورضيعه الباكي
بغير زرع
ولا ماء يذاق
لكنه اليقين
بمالك الأملاك
دعا لبيت الله
بشمر وعشاق
فانفجرت العين
بمائها الرقراق
وأتاه غبر
من كل فج عميق
ليطوفوا شعثًا
بالبيت العتيق

أسماء فتحي

إلى قلوب كثير من المسلمين عن طريقكم النبيل.

د.فخر الدين قباوة

المحرر: الأخ الكريم د.فخر الدين، أسعدتنا مساهمتكم ووصلنا بحثكم القيم عن العولمة وكذلك المقالات الخاصة بالشهر الفضيل وسوف تنشر بمشيئة الله تباعًا.

ساحة الفكر المخزون ينطلق نص جذاب، أو حكمة مأثورة مع تخيل مبدئي لنوع الخط الذي ينبغي أن يكتب به، ومع إعمال الفكر، وحث القريحة تبدأ ملامح التكوين الخطي تظهر رويدًا للروح، ثم للعين، ثم تنفذ اليد الإبداع الحقيقي.

إن من يمعن النظر في الخط العربي يجد بينه وبين سائر الأشياء تشابهًا وتقاربًا نسبيًا، يميز ذلك من نبغ في فن الخط، وصار خبيرًا بأسراره وخفاياه، ومن ألطف الأدلة، وأظرف البراهين على ما للخط العربي من المنزلة الرفيعة أن الشعراء كثيرًا ما كانوا يشبهون محاسن المحبوب بأنواع الحروف العربية، فشبهوا الحاجب بالنون، والعين بالعين، والصدغ بالواو، والفم بالميم والصاد.

وعلى الرغم من كل هذه الإمكانات التشكيلية لا يجد الخط العربي الاهتمام اللائق به تعليمًا وإبداعًا.

علي إبراهيم كشك

الحرية قيمة إنسانية

يتحدث كثير من المفكرين عن وجود لونين من الحرية وهما: الحرية الطبيعية والحرية الاجتماعية، فالحرية الطبيعية هي تلك الحرية الوجودية التي فطر الخالق سبحانه وتعالى الإنسان عليها، والحرية الاجتماعية هي الحرية التي يمنحها النظام السياسي والاجتماعي القائم على منظومة أفكار ومعتقدات محددة وبحيث يكفلها المجتمع بكل هيئاتها وإداراتها لأفراده أجمعين من حرية الفكر والتعبير إلى حرية المعتقد والنقد، ولكل من الحرية الطبيعية والأخرى الاجتماعية طابعها الخاص.

فالحرية الحقيقية الطبيعية ليست شعارًا يمكن إطلاقه بسهولة للاستهلاك الدعائي بل هي ممارسة قائمة على الالتزام الأخلاقي تضمنه قوانين ونظم مؤسساتية في الدول، ولهذا فلا حرية حقيقية إلا مع وجود دولة حقيقية وعادلة ولا حرية إلا بأن نكون أحرارًا من الداخل لا أن نكون تابعين في تفكيرنا وأن نكون أحرارًا بإرادتنا وأن نكون مع الإصلاح الرشيد الهادئ العقلاني والحرية لا تعني أيضًا الانفلات السياسي ولا الغرائزي.. إنها قبل كل شيء مسؤوليتك في أن يكون قرارك من ذاتك من نفسك من قناعتك الوطنية القائمة على محبة الوطن والعلم والوعي، ولذا فإن للحرية إذن حدودًا وضوابط تتركز أساسًا على عدم الاعتداء على حريات الآخرين وعدم إثارة مشاعرهم ومقدساتهم بقطع النظر عن صحتها وأحقيتها وفاعليتها الحضارية.

محمد السيد عامر

المحرر:

نشكر إسهاماتكم الإنسانية المفيدة والحريصة على ترسيخ القيم دون إفراط أو تفريط.

ردود سريعة

- الشيخ خالد رزق تقي الدين، الأمين العام لمشايخ البرازيل، سعدنا بتحليلكم ظاهرة الاعتداء على الطفولة في هذا البلد الذي تضطلعون فيه ببذل الجهد لإظهار قيم الإسلام ونسأل الله العافية لنا ولهم.
- الفاضل فتحي موسى.. مساهمتكم «مأدبة القرآن» تلخص معاني الآيات المختارات مع تفسيرها وشرح الدروس المستفادة منها، لكنها متاحة في مصادر عديدة للمعرفة، نشكركم ونأمل في تواصل مستمر مع إسهامات أخرى لها تفردها.
- الأستاذ الدكتور أحمد عيساوي أسعدتنا مساهمتكم عن قلعة الإسلام في الجزائر لكن المسجد معاصر نسبياً ونود لو تساهم معنا في باب منارات بالكتابة عن مسجد تراثي ما، نضيء للقارئ طريق معرفته معمارياً وتاريخياً.
- الدكتور خالد راتب صدقت أخي الكريم الأمة الإسلامية إذا عاشت باسم الله ونور الهداية ستتقدم كل الأمم وتعود حضارتها لتشرق من جديد نفعاً على العالم بأسره.. جزاكم الله خيراً على المعلومات القيمة التي قدمتموها ولولا أن المجلة نشرتها من قبل لكانت مساهمتكم على صفحاتها تشرق بإذن الله.
- الفضل عبدالصمد الإدريسي، مقالاتكم القيمة التي أرسلتها إلى المجلة تنم عن فكر عميق، لم يكتف بربط مشوار المفكر عبدالوهاب المسيري بصور ذهنية لمن سبقوه من عمالقة الثقافة الموسوعية فحسب، ولكنه جاء بسرد واعٍ سهل ممتع، ومع ذلك فوفقاً لإشارتكم بأنها نشرت من قبلُ في دوريات أخرى لايمكن إعادة نشرها في «الوعي الإسلامي» طبقاً لسياسة تحرير المجلة.. نتطلع لمساهمات أخرى منكم خاصة بنا لنتشرف بنشرها.
- الفاضلة بشرى شاكر، نقدر لك حرصك على استنباط معاني الرحمة والرفق في الإسلام وتحذيرك من عواقب الشدة وإخراج الآيات عن سياقها الطبيعي لتناسب أهواء البعض.. نفعنا الله وإياك بمبادئ الشريعة السمحاء.
- الأخ الكريم محمد ثابت توفيق قصتك «مدن تعرف الرحمة في رمضان» تخاطب العقل والوجدان وتعكس همومنا جميعاً وتطلعنا إلى مراعاة المسلمين لخصوصية الشهر الكريم.. القصة طويلة لدرجة لا تسمح بنشرها وفقاً للمساحة المتاحة.. وفقكم الله لما فيه الخير دوماً.

القراء الافاضل: لم يتسع المقام للتعقيب على كل ما وصل المجلة من مساهمات واقتراحات القراء الأعزاء ونأمل في الأعداد المقبلة الإشارة إلى ما تيسر منها إيماناً من إدارة التحرير بأن كل حرف يخطه قارئ «الوعي الإسلامي» له به علينا حق الرد مع الشكر والامتنان دوماً.

من غرر الحكم

بشار بكور

هذه مجموعة من الحكم، بل من درر الحكم وغرر الكلم تخيرتها من شتات تراثنا العربي والإسلامي العريق، وقد جمعت هذه الحكم بين جزالة اللفظ وفخامته، وبين شرف المعنى وسموه، ولو كان هناك كلام يؤتدم به لكانت هذه الحكم مما يؤتدم بها، وكأن الجاحظ- رحمه الله- عنى أمثال هذه الحكم النيرة بقوله: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة، وغشّاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله، فإذا كان المعنى شريفًا بليغًا، وكان صحيح الطبع بعيدًا عن الاستكراه، ومنزّهًا عن الاختلال مصونًا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة» (١). وقد سقت هذه الحكمة كيفما اتفق دون ترتيب معين، كحال اللؤلؤ المنثور، راجيًا أن يعم نفعها والعمل بمقتضاها.

- الأعمالُ العظيمة ما هي إلا أعمالٌ صغيرة كُتِبَ لها الاستمرارُ.
- أفلاطون: «ينبغي لكَ مع مَعْرِفَتِكَ بأنَّك من هذا البدن بمنزلة مَنْ هو في حبس، ألَّا تَرومَ لنَفْسِكَ إطْلاقَكَ مِنْهُ مِنْ قِبَلِ أنَّك لم تَحْبِسْ نَفْسَكَ فيه، لكن تنتظر الذي حَبَسَكَ فيه أن يُطْلِقَكَ مِنْهُ» (١).
- مَنْ فَسَدَتْ بِطَانَتُه كان كَمَن غَصَّ بالماء فلا مَساغٌ له، و مَنْ خَانه ثِقَاتُه فقد أُتِيَ مِنْ مَأْمَنِه.
- مَنْ كان له مَالٌ ولا يُنفقه في حقوقه، كان كالذي يُعَدُّ فقيرًا وإنْ كان موسِرًا (٢).
- الرافعي: «لا تغضبْ من حماقة امرأة تحبّها، ولا تغضبي من حماقة رجل تُحبّينه، وإلا فأينَ تَدُسُّ الحياة سُمَّهَا إلا في ألذِّ أطعمَتِها؟» (٣).
- كلُّ غمٍّ كان سببًا للسرور، فهو سرورٌ، وكلُّ ظلمةٍ كانت طريقًا إلى النور، فهي نورٌ.
- عامر بن الظَّرب: «دعوا الرَّأي يَغِبُّ حتى يَخْتَمِرَ، وإياكم والرَّأيَ الفَطِيرَ» (٤)، يريد أن على الإنسان أن يتأنّى في الرَّأي و يتثبَّتَ فيه حتى يستحكمَ رأيه.
- رُجوعُكَ إلى الله عزَّ وجلَّ عن ذنب قد عَمِلتَهُ خيرٌ لكَ من رجوعك إليه مع الصَّلَف (٥) من برٍّ قدْ أَتَيْتَه (٦).
- ابن المعتز: «كَرَمُ الله عزّ وجل لا يَنْقُضُ حكمته، ولذلك لا يجعل الإجابةَ في كل دعوة» (٧).
- خذوا الحكمةَ ممن سمعتموها منه، فإنه قد يقول الحكمةَ غيرُ حكيم، و تكون الرميةُ من غير الرامي.
- الحكمة شجرة تنبُت في القلب، و تثمرُ في اللسان.
- إنَّه مَنْ جمَعَ بين الحقِّ والبَاطل لم يجتمعا له، وكان الباطلُ أَوْلَى به، فإنَّ الحقَّ لم يزل يَنْفِرُ من الباطل، والباطلَ ينفر من الحقِّ (٨).
- توكَّلْ على الله، فهو أَوْفَى وكيل، وأَكْفَى كفيل (٩).
- ابن عطاء الله السكندري: «ليس المتواضع الذي إذا تواضعَ رأى أنه فوقَ ما صنع، ولكن المتواضع الذي إذا تواضَعَ رأى أنه دونَ ما صنع» (١٠) أي- مثلًا- مَنْ جَلَسَ في آخر المجلس مثلًا ورأى أنه يستحقُّ الجلوس في صدره، وإنما فعل ذلك تواضعًا، فهو المتكبِّر. ومن رأى أنَّ مرتبتَه أحطُّ من ذلك وأن جلوسَه في آخر المجلس فوق ما يستحق لكونه لا يرى لنفسه قدرًا ولا رتبة، فهو المتواضع (١١).
- إنَ جوهرَ التطور لا يقوم على التخلّي عن الثابت، و إنما على توفير العلاقة الحيَّة والخصْبة بينه وبين المتغيِّر (١٢).
- عندما تكتشف أمرًا بنفسك فإنَّك لن تنساه أبدًا.
- المستبدُّ برأيه موقوفٌ على مَدَاحِضِ الزَّلَل.
- مَنْ ثقَّلَ عليك بنفسه وغَمَّكَ في سؤاله، فأعرِهْ أُذُنًا صمّاءَ وعينًا عمياءَ (١٣).
- الرافعي: «مَن خُلِقَ بطلًا فلا عجبَ أن توجد له الأقدارُ من كل ما حوله مادةَ حرب» (١٤).
- محمد بن الحنفية: «ليسَ بحكيم مَنْ لم يُعَاشِرْ بالمعروف مَنْ لم يجدْ مِنْ مُعَاشَرَتِه بُدًّا، حتَّى يجعلَ اللهُ له مِنْ ذلك فَرَجًا ومَخْرَجًا» (١٥).
- ليس العاقلُ الذي إذا وَقَعَ في الأمر احتالَ له، ولكن العاقلَ يحتال للأمر

حتى لا يقعَ فيه (١٦).

– لا خيرَ في طُولِ الرَّاحةِ إذا كان يُورثُ الغفلةَ، ولا في طولِ الكفَايةِ إذا كان يؤدي إلى المَعْجَزَةِ، ولا في كَثْرَةِ العيِّ إذا كان يُخْرِجُ إلى البَلادَةِ (١٧).

– لا يجب عليكَ أن تقولَ كلَّ ما تعرف، لكن يجب عليك أن تعرفَ كلَّ ما تقول.

– ذو النون المصري: «ليس العَجَبُ ممن ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، إنما العَجَبُ ممن ابْتُلِيَ فَرَضِيَ».

– أحببْ حبيبَكَ هَوْنًا ما، عسى أن يكون بَغيضَك يومًا ما، وأبغضْ بغيضَك هونًا مًا، عسى أن يكون حبيبَك يومًا ما. أي: كنْ معتدلًا في الحبِّ والبغض، ولا تبالغ فيهما.

– الرافعي: «إذا لم يكن الإيمانُ بالله اطمئنانًا في النَّفْس على زلازلها و كوارثها، لم يكنْ إيمانًا، بل هو دعوى بالفكر أو باللسان لا يعْدُوهما، كدعوى الجبان أنه بطلٌ، حتّى إذا فَجَأَه الرَّوْعُ أَحْدَثَ في ثيابه من الخوف» (١٨).

– وكيع: «لا يكمُلُ الرجلُ أو لا ينبُل حتّى يكتبَ عمّن فوقَه، وعمّن هو مثلُه، وعمّن هو دونَه» (١٩).

– يديع الزمان النورسي: «لقد وضع الظُّلمُ على رأسه قَلَنْسُوةَ العدالة، ولبست الخيانةُ رداءَ الحَميَّة، وأُطلِقَ على الجهاد اسمُ البغي، وعلى الأَسْر اسمُ الحريَّة، وهكذا تبادلت الأضدادُ صُوَرَها».

– مثَل المؤمن مثل النَّحلة، تأكل طيِّبًا وتضع طيبًا.

– المخلوق إذا خفتَه استوحشتَ منه وهربت منه، والله تعالى إذا خِفْتَه أنسْتَ به وقربت إليه.

– مَعْروفُ زَماننَا هذا مُنْكَرُ زَمانٍ قد مَضَى، ومُنْكَرُ زَماننا هذا معروفُ زمانٍ يأتي (٢٠).

الهوامش

– البصائر والذخائر١/ ١١٠.
٢– كليلة ودمنة، ص ٩٨.
٣– كلمة وكليمة، ص ٣٤–٣٥.
٤– نهاية الأرب ٦/٧٧. الرَّأي الفطير: الرَّأي العجِل الذي لم يختمر بعد، مأخوذ من قولهم: عجينٌ وطينٌ فطير، وهو ما خبز أو طين به من ساعته قبل أن يختمر. و الفطير: كلُّ ما أُعْجِل به قبل نضجه. أساس البلاغة (فطر).
٥– الترفُّع و التكبّر.
٦– البصائر والذخائر٢/ ١٦٢.
٧– زهر الآداب ١/٥٩٩.
٨– التذكرة الحمدونية ١/٣٩٦.
٩– كتاب المبهج. ص ٢٩.
١٠– الحكم العطائية، ص ١٦٠.
١١– الحكم العطائية بشرح الشرنوبي، ص ١٦٠.
١٢– عصرنا و العيش في زمانه الصعب، ٤٦.
١٣– البيان والتبيين ١/ ٢٠٣.
١٤– كلمة و كليمة، ص ٣٦.
١٥– البصائر والذخائر ١/ ١٤٧.
١٦– التذكرة الحمدونية ٣/٢٦٦.
١٧– التذكرة الحمدونية ٦/٣٨٢.
١٨– وحي القلم ٢/ ٩٣.
١٩– تهذيب الكمال في أسماء الرجال١/ ١٦٦.
٢٠– البصائر والذخائر٤/ ١٩٩.

ويعود العيد!

د. محمد بابا عمي
أكاديمي جزائري

ويعود العيد، ليلقي بظلاله على العالَم أجمع، مسلمه وكافره، مؤمنه وفاجره، إنسيّه وجنيّه... ولينشر شذاه وعبيره عبر الأثير، فيحتفي مَن اهتدى، ويحار مَن أعرضَ عن طريقَ الهدىَ.

ويعود العيد، وقد سقطت عروشٌ ودُكّت جيوش، وعزّ قوم وذلّ آخرون، وفقرت عوالم وغُنيت أخرى، ومات بعضٌ منّا وأهلّت عيونُ بعضٍ... الشمس لاتزال هي ذات الشمس، والقمر هو نفس القمر؛ ولا شيء تغيّر إلا عند بني البشر.

ويعود العيد، ومن الناس مَن آمن وعمل صالحًا، ورضي بما قدّر الله له واجتهد فيما قدَر، وأخلص النية لوجهه الكريم وصبر، وجدّ في المسير وما ضجر... ومنهم- والأسف ملءُ الجوانح- مَن أعرض واستكبر، وجاهر بالمعصية ولم يستح مِن خالق ولا مخلوق، ولم تنفعه العبر، فلم يثنه عن غيّه مرض ولا موت ولا فتن.

ويعود العيد، لنقول للجميع: «عيدكم مبارك، وكلُّ عام وأنتم والأمّة الإسلامية، والبشريةُ جمعاء، بخير»؛ ذلك أنّ العيد يدفعنا إلى قصد الخير وفعله، ويرفعنا بالروح الإيجابية وإحسان الظنّ بأهله، ويعلّمنا كيف نكره الكره، ونبغض البغضاء، ونفتح خندقا بيننا وبين الشحناء والرعناء.

ويعود العيد، لينحني الولدُ أمام أمّه يرسمُ قُبلة على جبينها البلّوري، ويلقي التحية على والده يقبّل كلتا يديه الماسيتين، ويأوي الزوج إلى سربه بعد طول غياب، ويسافر الحبيب إلى حبيبه بأغلى التضحيات والأثمان... إنه عنوان الألفة بين القلوب، ودليل الرحمة المهداة من ربّ القلوب.

ويعود العيد، ثم يُطوَى من الأفق كلُّ شيء، في أقرب من لمح البصر: التعبُ والإنفاق، اللباسُ واللحم، السرورُ والتواصل، الابتسامةُ والكلمة، البشرُ والأضاحي... كل شيءٍ يختفي، فلا يبقى سوى «الأجر»، و«المثوبة»، و«القبول» عند الكريم المنّان القائل: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ (الحج: ٣٧)، والقائل بيانًا لهذا: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦).

ويعود العيد، وما لنا وللمتنبي، فحال عيدنا هنا كحاله هنالك، والعيد عيدٌ في مكة أو في دار السلام، في «مالبورن» أو في «سانديغو»، في الجزائر أو في مدينة الإسلام... إذ التكبير تكبيرٌ، والمساجد مساجد، والمآذن مآذن، والصلوات صلوات، والحبور حبور.. كل ذلك عند الله سواء، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: ٢٧).

نعم، بميزان الأرض تختلف العوالم والمعايير والاعتبارات، لكن بميزان السماء لا فرق ولا فضل، إلا بمقدار القبول والرضا؛ فالمتّقي هنا مَرْضِيٌّ، والفاجر مطرود؛ وهنالك لا يشفع شافعٌ لعاص، ولا يجحف مجحف حقّ مُطيع.. فهل نحن واعون، معتبرون، عالمون، عاملون؟!

ويعود العيد، وقد عاد... وسيعود... وشريط البشر يمرُّ كطابور طويل، يشرع فيه المولود وهو الأخير في الصف، ثم- بعد أمد- يختفي إذا جاء أجله وحلّ يومُه، بموتٍ عاجل أو آجل.. كيفما كان السبب، وأينما كان المكان، وحيثما حلّ الزمان.

طابور طويل.. طويل.. غير أن بعضًا من الناس، سيكونون يومها سُعداء بالقرب من الخلاّق ومن رحمته؛ فلا يشعرون إلا وقد غمروا بريحان الجنان، وهم يتمرغون في سفوحها، ويطعمون أشهى ثمراتها، ويسمُرون مع أطيب خلاّنها.

أما الآخرون.. آهٍ من الآخرين.. فحالهم أبلغ من كلماتي، ومآلهم أسوأ من أن تدركه أوصافي!!

ويعود العيد، ونحن- فرادى، ومن معهدنا، ومن أكاديميتنا، ومن أوطاننا، ومن عالمنا- نحيّي كلّ أخ، وصديق، ورفيق، وعالم، وعامل، ومخلص، وصادق، ومجتهد، ومجاهد، وصابر، ومثابر... في أيّ مصر كان من العالم، وفي أيّ عصر وجد في الوجود.. ونقول للجميع: «جمعَنا الله في رحمته، وأظلّنا بظله.. بعد أن يُرينا نصرًا ونصرة للمؤمنين، وفجرًا وميلادًا جديدًا للمتقين، ويومًا ومصيرًا حقيقًا لديننا الحبيب: الإسلام».. ويومَها نقول جميعًا، ونردّد: عيدكم مبارك.. مبارك.. مبارك.

Ramadan kareem

click
integrated media solutions

كليك ميديا

+965 65129797 / +965 6699 1671 / +965 6699 1673

اقرأ في العدد الأول من

الوعي الشبابي

www.shabab.alwaei.com

- الفتية الذين آمنوا بربهم زادهم هدى .
- جرائم الإنترنت على مقاس الشباب .
- أجازة سعيدة بصحة أفضل .
- كيف تضع قدمك على أعتاب النجومية .
- في عطلة الصيف أتفرغ لمهاراتي .

والمزيد من الموضوعات والتحقيقات ..

الوعي الشبابي مجلة شبابية إلكترونية تصدر عن «الوعي الإسلامي»

رئيس التحرير : فيصل يوسف العلي

للتواصل زوروا موقعنا

www.shabab.alwaei.com

البريد الإلكتروني

info@shabab.alwaei.com